

التطور العمراني والمعماري لمدينة بيت المقدس في صدر الإسلام:

(16-132هـ / 637 - 750م)

دراسة تاريخية تحليلية

شريف أمين أبو شمالة

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا

كوالا لمبور

2016

التطور العمراني والمعماري لمدينة بيت المقدس في صدر الإسلام:

(132-16هـ / 637 - 750م)

دراسة تاريخية تحليلية

شريف أمين أبو شمالة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا

كوالا لمبور

2016

ملخص

تبحث هذه الدراسة -بفصولها الأربعة- في موضوعي العمارة والعمران في مدينة بيت المقدس وتطورهما في فترة صدر الإسلام، التي تمتد من الفتح الإسلامي للمدينة حتى نهاية العهد الأموي (16-132هـ / 637 - 750م)، في إطار من البحث التاريخي والمعماري، للتعرف على أهم مراحل ومظاهر هذا التطور الذي شهدته المدينة، ضمن سياقاته التاريخية والسياسية والاجتماعية، وللوقوف على فلسفة التجربة التاريخية للعهد الإسلامي الأول وتعامله مع الإرث الحضاري السابق على وجوده، وذلك من خلال دراسة أهم معالم مدينة بيت المقدس المعمارية والعمرانية في فترة الدراسة، وتناولها بالبحث والتحليل، سواء كانت العمارة دينية كالمسجد الأقصى ومرافقه مثل الجامع القبلي وقبة السلسلة وقبة الصخرة والأبواب، أو عمارة مدنية مثل دار الإمارة والبيوت السكنية، والمرافق الخدمية العامة كالنظام المائي وغيرها، ثم عملت الدراسة على تحديد مجموعة الصفات والخصائص التي ميّزت عمارة بيت المقدس في مستويات الشكل والهيكلي. وذلك باستخدام المنهجين: التاريخي التحليلي، والمعماري الأثري. وقد انتهت الدراسة إلى تحديد ملامح وخصائص عمارة وعمران المدينة، وكيفية نجاح المسلمين في حفظ وتحقيق الخصوصية والفاعلية الدينية والثقافية والسياسية لمدينة بيت المقدس، عبر تطبيق رسالتهم الحضارية العمرانية في ظل التحديات التي واجهت تلك العملية.

Abstrak

Tesis ini mengkaji Seni Bina dan Seni Bandar dan perkembangannya di Jerusalem pada masa awal Islam yang bermula dari Penaklukan Islam hingga akhir Umayyah (16-132 H / 637-750 A.D.) dalam rangka penyelidikan seni bina dan sejarah untuk mengenal pasti fasa-fasa dan ciri-ciri pembangunan di Kota Suci mengenai konteks sejarah, politik dan sosial dan untuk mengetahui dengan falsafah pengalaman sejarah Era Islam yang pertama dan bagaimana ia berkait dengan Warisan sebelumnya.

Ini boleh dicapai dengan mengkaji seni bina utama dan mercu tanda bandar Jerusalem dengan menggunakan carian dan analisis sama ada ia adalah satu seni bina keagamaan seperti: Masjid Al-Aqsa dan utilitinya, contohnya Masjid Qebli, Kubah Salsala, Kubah Batu dan Pagar atau seni bina awam seperti: rumah Al-Imara, bangunan kediaman dan utiliti utama seperti sistem air dan lain-lain.

Seterusnya, kajian ini bertujuan untuk menentukan ciri-ciri dan karakter-karakter yang membezakan seni bina Jerusalem secara rasmi dan struktur dengan menggunakan dua kaedah: pendekatan analisis sejarah dan pendekatan seni bina arkeologi.

Kajian ini menentukan ciri-ciri dan karakter-karakter seni bina dan urbanisme di bandar dan bagaimana umat Islam berjaya dalam melindungi dan mencapai kebebasan dan kebersanan politik, budaya dan agama ke Jerusalem dengan menggunakan mesej ketamadunan mereka di dalam cabaran yang dihadapi semasa operasi dilaksanakan.

Abstract

This thesis examines the development of architecture and urbanism arts in Jerusalem from the early Islamic period which started with the Islamic Conquest till the end of the Umayyad (16-132 H/ 637- 750 C.E) within the framework of architectural and historical research in order to recognize the phases and features of this development in the Holy City amongst its historical, political and social contexts and to get acquainted with the historical experience philosophy of the first Islamic Era and how it deals with previous Heritage.

The goal can be achieved by studying the main architectural and urban landmarks of Jerusalem, and dividing them into two groups for analysis: religious architecture such as Al-Aqsa Mosque, Qebli Mosque, Salsala Dome, the Dome of the Rock and the Gates, and civil architecture such as Umayyad Palaces Complex, residential buildings and important infrastructure such as the water system. Then this study categorizes the characteristics which distinguish the architecture of Jerusalem formally and structurally by using two methods: the historical analytical approach and the archaeological architectural approach.

This study of Jerusalem's architecture and urbanism illustrates how the Muslims succeeded in protecting and achieving their political, cultural and religious privacy by applying their civilized message in the face of many challenges at that time.

الإهداء

إلى القدس،
التي منحتنا ولا تزال..
إلى روح والديّ رحمهما الله...
إلى روح أخي الكبير "يوسف" رحمه الله،
الذي ودعني يوم سفري إلى ماليزيا، ولم أودعه يوم رحيله عن
دنيانا.
إلى رفيقة دربي ومؤنسة غربتي،
زوجتي العزيزة "ماجدة موسى عوض"،
التي احتملت وصبرت في سبيل إتمام هذه الرسالة.
إلى صغاري: "وائل" و"عمر"، والأميرة "سعاد".
إلى إخواني وأخواتي كل باسمه،
إلى أحبتي جميعاً،
أهديهم هذا الجهد وهذه الرسالة.

شكر وتقدير

يطيب لي أن أتقدم بالشكر إلى الدكتور طارق لعجال، الذي
تفصّل بالإشراف على رسالتي، وتشجيعه المستمر لي، ولم ييخل عليّ
بوقته وجهده وتوجيهاته.

والشكر كذلك إلى الدكتور فيصل بن عبد الحميد على جهده
الطيبة وتوجيهاته الكريمة، وتشجيعه الكبير، مما كان له أفضل الأثر في
نجاح هذه الرسالة.

وجزيل الشكر إلى أعضاء هيئة التدريس والإدارة في قسم
التاريخ، كل باسمه ولقبه، على جهودهم.

والشكر موصول، إلى كل من كان له فضل، قل أو كثير، في إنجاز
هذه الرسالة، فلجميع كل الشكر والعرفان.

الباحث

فهرس الموضوعات

أ.....	ملخص
ب.....	Abstrak
ج.....	Abstract
د.....	الإهداء
ه.....	شكر وتقدير
و.....	فهرس الموضوعات
ط.....	فهرس الأشكال
1.....	المقدمة
18.....	الفصل الأول: موقع بيت المقدس ونشأتها وتطورها العمراني قبل الفتح الإسلامي
19.....	المبحث الأول: الموقع والمناخ
19.....	- الموقع الجغرافي.
22.....	- طبوغرافية المدينة
27.....	- المناخ
30.....	المبحث الثاني: نشأة مدينة القدس
32.....	-العصر البرونزي المبكر (3200-2000 ق.م)
34.....	-العصر البرونزي الوسيط (2000-1550 ق.م)
40.....	-العصر البرونزي المتأخر (1550-1200 ق.م)
45.....	المبحث الثالث: التطور العمراني قبل الفتح الإسلامي
45.....	-عمران المدينة في العصر الحديدي
46.....	-العصر الحديدي الأول (1200-1000 ق.م):
47.....	-العصر الحديدي الثاني (1000-586 ق.م):
54.....	-العصر الحديدي الثالث (586-332 ق.م)

56	-تحت الحكم الإغريقي (332- 63 ق.م.)
59	-تحت الحكم الروماني (63 ق.م - 325م)
64	-تحت الحكم البيزنطي (325- 638م)
70	الفصل الثاني: التغيرات السياسية والاجتماعية وأثرها على عمران بيت المقدس في صدر الإسلام....
71	المبحث الأول: الفتح الإسلامي للمدينة.
71	-مكانة بيت المقدس في نفوس العرب والمسلمين قبل الفتح.
76	-أحداث الفتح.
83	المبحث الثاني: التغيرات السياسية والاجتماعية وأثرها على العمران في العهد الراشدي.
83	-التغيرات السياسية
89	-التغيرات الاجتماعية
96	-أثر التغيرات السياسية والاجتماعية على العمران.
100	المبحث الثالث: التغيرات السياسية وأثرها على العمران في العصر الأموي.
100	-بيت المقدس في مرحلة الفتنة.
108	-علاقة الأمويين ببيت المقدس.
114	-بيت المقدس في أواخر العهد الأموي.
117	الفصل الثالث: تطور عمران وعمارة بيت المقدس في صدر الإسلام.
118	المبحث الأول: عمران وعمارة بيت المقدس في العهد الراشدي
118	-الجامع: جامع عمر في المسجد الأقصى.
128	-التنظيم العمراني للمدينة في العهد الراشدي.
133	المبحث الثاني: عمران وعمارة بيت المقدس في العهد الأموي.
134	-تطور العمران في منطقة المسجد الأقصى .
171	-ثانياً: العمران المدني في مدينة بيت المقدس.
189	الفصل الرابع: الخصائص العمرانية والمعمارية لمدينة بيت المقدس في صدر الإسلام
190	المبحث الأول: الخصائص المعمارية.
190	-خصائص الشكل والهيكل:

225	-الخصائص الزخرفية .
233	-الأصول المعمارية لعمارة بيت المقدس .
236	المبحث الثاني: الخصائص العمرانية.....
236	-طبيعة عمران بيت المقدس كمدينة.....
239	-محورية المسجد في عمران المدينة
242	-مجاورة دار الإمارة للمسجد.
246	-تحقيق الاتصال بين مرافق المدينة.
249	-مراعاة خصوصيات السكان واحتياجاتهم.....
250	-المقياس الإنساني.
251	-ربط المدينة بالدولة (الخلافة).....
256	الخاتمة.....
261	الملاحق.....
274	المصادر والمراجع.....

فهرس الأشكال

- شكل 1.1: موقع بيت المقدس على خريطة فلسطين الطبيعية. 21
- شكل 1.2: طبوغرافية المدينة ومحيطها: الجبال والتلال والأودية. 27
- شكل 1.3: قطاع رأسي في النفق الكنعاني الممتد من داخل المدينة إلى عين جيحون. 39
- شكل 1.4: بيت المقدس في العصور البرونزية. 43
- شكل 1.5: أحد المخططات التخيلية لبيت الرب (المعبد) حسب الوصف الوارد في سفر الملوك. 52
- شكل 1.6: بيت المقدس في العصر الحديدي. 56
- شكل 1.7: أورشليم في العهد الحشموني (المكابي). 59
- شكل 1.8: نقش على قوس النصر الذي بناه تيتوس (Titus) بعد تدمير مدينة بيت المقدس والهيكل. 62
- شكل 1.9: إيليا كاييتولينا (135-326م). 64
- شكل 1.10: أورشليم العهد البيزنطي وتظهر التوسعة الجنوبية جنوب سور إيليا كاييتولينا. 67
- شكل 1.11: قطعة من خريطة مأدبة يظهر فيها مدينة القدس. 68
- شكل 1.12: نسخة عن خريطة مأدبا تظهر تفاصيل من عمران بيت المقدس في العهد البيزنطي. 68
- شكل 2.1: أقسام فلسطين في العهد البيزنطي. 84
- شكل 2.2: جند فلسطين بين أجناد الشام في صدر الإسلام. 87
- شكل 3.1: موقع مسجد عمر في منطقة المسجد الأقصى في العهد الراشدي. 124
- شكل 3.2: المسجد النبوي في المدينة المنورة في العهد الراشدي. 127
- شكل 3.3: منطقة الأحياء الجديدة في العهد الراشدي، وهي حيث وقف عين سلوان. 130
- شكل 3.4: موقع مقبرة الرحمة في العهد الراشدي. 131
- شكل 3.5: الجامع القبلي في الوقت الحالي. 137
- شكل 3.6: منظور تخيلي الجامع القبلي في العهد الأموي. 137
- شكل 3.7: موقع الجامع القبلي بالنسبة للمسجد الأقصى. 139
- شكل 3.8: صورة قبة السلسلة في الوقت الحالي. 150
- شكل 3.9: قبة بيت المال في المسجد الأموي بدمشق. 152
- شكل 3.10: قبة بيت المال في مسجد حماة الكبير (العصر الأموي). 152
- شكل 3.11: مسقط قبة السلسلة وقطاع في قبة السلسلة. 154
- شكل 3.12: منظور قبة الصخرة بعين الطائر من الجهة الجنوبية. 156

- شكل 3. 13: مخطط لسطح الصخرة المشرفة ويظهر عليه الأبعاد وقطر البائكة التي تحيط به. 157
- شكل 3. 14: صورة علوية للصخرة المشرفة التي أحاطت بها قبة الصخرة. 158
- شكل 3. 15: مسقط وقطاع في الكهف الذي تحت الصخرة المشرفة. 159
- شكل 3. 16: مخطط قبة الصخرة وموضح عليه موضع النقش. 161
- شكل 3. 17: صورة ضوئية عن النقش الفسيفسائي. 162
- شكل 3. 18: نسخة عن اللوحة المزورة بالخط الكوفي وموضع التزوير. 162
- شكل 3. 19: مخطط بيت المقدس وأهم معالمها في صدر الإسلام. 173
- شكل 3. 20: عملة عائدة لفترة الخليفة عبد الملك المبكرة. 176
- شكل 3. 21: الحفريات في الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد الأقصى. 181
- شكل 3. 22: منظور تخيلي للقصر والمجمع الإداري الأموي في صدر الإسلام. 182
- شكل 3. 23: مخطط المجمع الإداري وعلاقته بالزاوية الجنوبية الغربية للمسجد الأقصى. 183
- شكل 3. 24: منظور تخيلي للقصر الكبير (II) اعتماداً على مخططه المكتشف. 185
- شكل 3. 25: مخطط خربة المفجر. 186
- شكل 3. 26: مخطط قصر خربة المنيا. 186
- شكل 4. 1: أبعاد المسجد الأقصى بالأمتار. 191
- شكل 4. 2: موقع ومسقط التسوية الجنوبية الشرقية وعلاقتها بالتسويتين الأخريين. 193
- شكل 4. 3: صورة للتسوية الجنوبية الشرقية كما كانت تظهر مطلع القرن العشرين. 194
- شكل 4. 4: مواقع أبواب المسجد الأقصى في صدر الإسلام. 196
- شكل 4. 5: صورة من الجهة الشرقية لبوابة الرحمة والتوبة (الباب الذهبي). 198
- شكل 4. 6: الأعلى: الواجهة الشرقية لبوابة الرحمة والتوبة، الأسفل: الواجهة الغربية. 199
- شكل 4. 7: في الأعلى: قطاع في بوابة الرحمة والتوبة، وفي الأسفل: مسقط البوابة. 200
- شكل 4. 8: زخرفة على الواجهة الشرقية من البوابة الذهبية. 201
- شكل 4. 9: صورة من داخل البوابة (من الزاوية الشمالية الغربية). 202
- شكل 4. 10: قطاع في بوابة الرحمة والتوبة (الباب الذهبي). 203
- شكل 4. 11: صورة لأبواب محراب مريم (الباب الثلاثي). 204
- شكل 4. 12: الأعلى: مسقط للباب الثلاثي والنفق، الأسفل: قطاع يوضح النفق الصاعد. 205
- شكل 4. 13: الجدار الجنوبي للجامع القبلي ويظهر في وسط الصورة جزء من باب النبي. 207
- شكل 4. 14: قوس وزخارف الجزء الظاهر من الباب المزدوج كما بدت في منتصف القرن 19م. ... 208
- شكل 4. 15: صورة تظهر مخرج باب النبي (الباب المزدوج). 209

- شكل 4. 16: صورة للقبو الشرقي داخل الباب المزدوج بعد تهيئته كمصلى. 209
- شكل 4. 17: باب النبي (الباب المزدوج) كما كان يظهر في منتصف القرن 19م. 210
- شكل 4. 18: قطاع في الجامع القبلي وبوابة النبي (الباب المزدوج) 211
- شكل 4. 19: قطاع رأسي يمر بالجامع القبلي والرواق الغربي من البوابة المزدوجة 211
- شكل 4. 20: صورة توضح موقع باب دار أمير المؤمنين والجسر بينها وبين الجامع القبلي 213
- شكل 4. 21: منظور تخيلي للقصر الكبير (II) اعتماداً على مخططه المكتشف 214
- شكل 4. 22: في الأعلى طريقة إنشاء المسجد (الأروقة)، منظور افتراضي للجامع القبلي 216
- شكل 4. 24: مسقط أفقي لقبة الصخرة موضح عليه الأبعاد والأطوال (بالمتر). 218
- شكل 4. 25: قطاع رأسي في قبة الصخرة. 220
- شكل 4. 26: قطاع (من الشرق إلى الغرب) في قبة الصخرة يبين أجزاء المبنى والهيكال والفتحات 221
- شكل 4. 27: صورة من داخل قبة الصخرة ويظهر فيها الرواقين الداخلي والخارجي 222
- شكل 4. 27: نماذج من الزخارف النباتية والهندسية المحفورة على ألواح خشبية 227
- شكل 4. 28: نموذج من الزخرفة الفسيفسائية على الركيزة الجنوبية الغربية من القنطرة الدائرية 229
- شكل 4. 29: نموذج من الزخارف النباتية والهندسية على الوجه الداخلي للثمنية الداخلية 229
- شكل 4. 30: نموذج من زخارف بطنيات الأقواس في قنطرة الثمنية الداخلية. 230
- شكل 4. 31: زخرفة في واحدة من قباب باب النبي (الباب المزدوج) 231
- شكل 4. 33: مخطط يبين تعزيز محورية المسجد في كثافة الشوارع التي تتجه نحوه 242
- شكل 4. 33: الأعلى: مجاورة دار الإمارة للمسجد الجامع 244
- شكل 4. 34: مجاورة المجمع القصر والمجمع الإداري الأموي للمسجد الأقصى 245
- شكل 4. 35: صورة تبين المسافة بيت القصر الأموي (بمين) وحائط لمسجد الأقصى الجنوبي 246
- شكل 4. 37: الطرق المحدثة في صدر الإسلام 248
- شكل 4. 37: لوح حجري محفوظ في متحف اللوفر بباريس. 253
- شكل 4. 38: تجريد كتابي للنقش 254
- شكل 4. 39: الطريق بين دمشق وبيت المقدس. 254

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيد الخلق أجمعين، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما بعد.

فقد خص الله تعالى مدينة بيت المقدس بأن جعلها من المدن المقدسة لاحتوائها على المسجد الأقصى، وزادها من فضله فجعل البركة في المسجد الأقصى وما حوله، مصداقاً لقوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) مما جعلها مهبطاً للأفئدة وقبلة للعباد والطامعين، وقد تعرضت على مر تاريخها لعدد من الفتوح والغزوات والتخريب، تباينت نتائجه بتباين السبب والمسبب.

وقد تعرضت -ولا تزال- مدينة بيت المقدس، أولى القبلتين وثاني الحرمين الشريفين، إلى محاولات محمومة ومتسارعة لتزييف إرثها الحضاري من خلال مجموعة واسعة من الإجراءات الرامية لتهويد المدينة عملت على تمزيق النسيج الحضري للمدينة بإقحام عناصر عمرانية ومعمارية دخيلة وتفتيت الوحدة الجغرافية للتجمعات الفلسطينية، وكان من إجراءات التهويد:

- هدم وإزالة الآثار الإسلامية: مثل ما تم من إزالة حي المغاربة، بحجة المصلحة العامة، فهدمت منازل معظم الحي العربي (حارة الشوفة والمغاربة) وصودرت منازل قدرت بـ (700) مبنى حجري، وشمل الهدم أيضاً بعض المساجد والأديرة والمحلات والمدارس، رافق كل ذلك تهجير سكان الحي من المغاربة الذين وصل عددهم 6500 نسمة.

- إحلال منشآت صهيونية دخيلة عن تراث وثقافة المدينة المقدسة، مثل إقامة الحي اليهودي على أراضي حارة الشرف العربية، وأجزاء من حي المغاربة .

- تغيير أسماء معالم المدينة إطلاق أسماء توراتية وعبرية وذات صلة باليهودية على معالم المدينة التاريخية الإسلامية وشوارعها، فمثلاً سمي الحائط الغربي للمسجد الأقصى (حائط البراق) بحائط المبكى.

- تحويل وظيفة الآثار والعمائر الإسلامية لصالح المشروع والفكر الصهيوني، أو منع أصحابها والقائمين على رعايتها من صيانتها وترميمها للحفاظ عليها لتبقى شاهداً على عروبة المدينة وإسلاميتها.

ووازي هذه الإجراءات المادية القائمة على الأرض، عمليات تهويد بطريقة غير مباشرة لتزوير تاريخ وحضارة المدينة المقدسة بإنتاج ونشر أبحاث تعمل على قلب الحقائق، مستندة في مرجعيتها إلى الهوى الشخصي للكاتب بحثاً عن تاريخ مزعوم، ومحاولة لمحو وتزييف تاريخ المدينة الحقيقي، لتكون النتيجة ما يتمناه الباحث لا ما تؤيده الحقائق والوقائع التاريخية الثابتة.

ولا يزال يصاحب هذه العمليات التهودية في شقيها العملي والنظري، دعم كبير من صانعي القرار وقادة العمل الصهيوني، فضلاً عن الجامعات والمؤسسات الأكاديمية والبحثية مستخدمة الماكينة الإعلامية، التي أخذت على عاتقها ترويض ذلك.

ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على واحد من الجوانب الحضارية للمدينة المقدسة برصد التطور العمراني والمعماري للمدينة خلال الفترة الإسلامية المبكرة "صدر الإسلام"، في محاولة لفهم هذا التطور والعوامل المؤثرة فيه، لتقديم الصورة الأقرب للحقيقة عن ذلك التراث الحضاري في سياقه التاريخي والإنساني، وحفاظاً على الحق الإسلامي في حفظ إسهامه ودوره الحضاري، وكذلك للإفادة مستقبلاً بتقديم رؤية تخطيطية للمدينة الإسلامية، إذ تعاني المدن الإسلامية المعاصرة من غياب الشخصية والهوية الثقافية.

مشكلة البحث:

يعد التراث المعماري الواجهة الأبرز للمكان وساكنيه، فهو دليل على حالهم وما وصلوا إليه من قوة أو ضعف، أمان أو خوف، فقر أو غنى، اهتمام أو إهمال، فضلاً عن كونه يحمل في جنباته التعبير الحقيقي عن هوية المكان والإنسان، وفلسفته في الحياة.

وكان قدر فلسطين وعاصمتها القدس أن تقع تحت احتلال بريطاني (1917- 1948م) أعقبه احتلال صهيوني (1948- الآن) أغفل هذه الجوانب حيناً، أو عمل نقيضها حيناً آخر، وهذا الشأن الذي ينطبق على عمارة وعمران بيت المقدس، الذي يتعرض في الوقت الراهن لحملة من الطمس والتهويد والتزوير، وحين عجز الاحتلال عن إنكار صلة المسلمين بالقدس ذهب ليقبل من شأن اهتمام المسلمين في العصور الإسلامية المبكرة، مدعياً أن ابنت المقدس لم تكن مهمة للمسلمين الأوائل، وأنها لم تكن عاصمة لجند فلسطين، وأن اهتمام المسلمين بها متأخر وطاريء، مستنداً على تفسيره الخاص للتطور العمراني والمعماري للمدينة المقدسة.

ولم تحظ قضية التراث العمراني للقدس بالقدر الكافي من الدراسة العلمية المنهجية الشاملة من منظوري التاريخ والعمارة معاً، سواء من الناحية الرسمية لغياب المؤسسات وضعفها في ظل الاحتلال وقمعه لها، أو من الناحية الأكاديمية حيث لم تعالج الدراسات السابقة الموضوع الحضاري والعمراني لمدينة بيت المقدس في عصورها الإسلامية الأولى بالقدر المأمول، إذ اقتصر على التوصيف والرفع المعماري لبعض العماير البارزة، ولم تهتم بدراسة الظروف التاريخية والأبعاد الدينية والسياسية والاجتماعية والنفسية وأثرها على العمران، أو السياق التاريخي لهذا العمران وفلسفته، إذ ركزت الدراسات على عمران المدينة في المراحل التاريخية التالية للحروب الصليبية لغناها بالعمائر التي كانت محل دراستهم، وهي الفجوة التي ستحاول هذه

الدراسة سدها من خلال الاستناد إلى النصوص التاريخية وتراث الرحالة المسلمين والغربيين، والاكتشافات والتوثيقات المعمارية للعمائر القائمة.

أسئلة البحث:

سيحاول البحث تقديم الإجابة عن الأسئلة التالية:

- كيف كان عمران بيت المقدس قبل الفتح الإسلامي؟
- كيف انعكست التغيرات السياسية والاجتماعية على عمران المقدس خلال صدر الإسلام؟
- ما هو السياق التاريخي لتطور المدينة العمراني في صدر الإسلام؟ وما هي مظاهر هذا التطور؟
- ما هي خصائص عمران وعمارة بيت المقدس في صدر الإسلام؟

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق مجموعة من الأهداف والغايات، من خلال تناول موضوعات الدراسة بالتقصي والتحليل، ومنها:

- رصد تاريخ عمران المدينة السابق للفتح الإسلامي، ومعرفة السياق التاريخي والسياسي لما وصلت إليه من عمران قبل الفتح الإسلامي.
- الوقوف على التغيرات السياسية والاجتماعية التي عاصرتها مدينة بيت المقدس في صدر الإسلام، وبيان جوانب التأثير والتأثير بينهما.
- معرفة مراحل وظروف ومظاهر تطور المدينة العمراني والمعماري في صدر الإسلام ضمن السياقات التاريخية والمعمارية.

- البحث في فلسفة العمارة الإسلامية وخصائصها، ومدى علاقتها بالإنسان والمادة، ومدى تحقيقها لوظيفتها وقدرتها على تلبية متطلبات التطور الحضاري للإنسان في ظل احتكامه للضوابط الشرعية.

حدود الدراسة.

تغطي الدراسة في حدودها الزمنية ما يصطلح عليه المؤرخون فترة صدر الإسلام وهي تمتد من بعثة النبي مُحَمَّد ﷺ حتى نهاية الدولة الأموية، وفي دراستنا تمتد من الفتح الإسلامي لمدينة بيت المقدس حتى نهاية الدولة الأموية (16-132هـ/ 637 - 750م)، أما الحدود المكانية فهي تختص بمدينة بيت المقدس بخصائصها المدنية ومحيطها الحضري.

دوافع اختيار الموضوع.

تعددت الدوافع التي تشجع الباحث على اختيار الموضوع، ليكون محلاً للبحث والدراسة، ومنها دوافع موضوعية وأخرى ذاتية، وهي على الترتيب وبإيجاز:

أ. دوافع موضوعية.

- أهمية مدينة بيت المقدس ومكانتها عبر العصور عند أصحاب الديانات الثلاث (الإسلام - المسيحية - اليهودية)، ومحوريتها في الصراعات والتغيرات الكبرى في التاريخ مثل: (التمدد البيزنطي - الفتح الإسلامي - الحروب والحملات الصليبية... وصولاً لمرحلة الإحتلال الصهيوني إذ يصر الإحتلال على تشريع القوانين بصفقتها العاصمة الأبدية والموحدة لدولة "إسرائيل" مما يستدعي سبر غور كل زاوية فيها وإخضاعها للدراسة الموضوعية والمنهجية.

- قلة الدراسات التي تبحث في فلسفة التطور المعماري للمدينة الإسلامية ومدينة بيت المقدس، وعلى وجه الخصوص الفترة الأولى من تاريخها، إذ تركز الدراسات على الوصف المعماري أو الأحداث التاريخية بترتيبها المعهودة دون الغوص فيما وراء هذا الإنجاز الحضاري من دوافع ومؤثرات.

- وجود حالة من نقص المعرفة والتبأس في الحقائق تجاه المدينة المقدسة وخصوصاً باللغة العربية، لدى كثير من النخب المثقفة فضلاً عن العامة، نظراً لتعدد أيديولوجيات ومعتقدات الكتاب ووسائل الإعلام، فمثلاً استقر في عقول كثير من المثقفين والإعلاميين والناس أن حائط البراق هو "حائط المبكى" حسب ما تروج له الصهيونية وأذرعها الإعلامية، وأن المسجد الأقصى بني مكان "الهيكل" وغيرها من القضايا التي تحتم تبني مزيد من الدراسات حول القدس.

ب. دوافع ذاتية:

- يشعر الباحث بضرورة أن يقدم عملاً يخدم من خلاله قضية فلسطين، ووطنه وعاصمته، فحملات التهويد المستمرة والمنهجية فضلاً عن كثافة ما يتعرض له التراث الحضاري من طمس وتشويه تستدعي مني أن أكون على واحد من ثغور مقاومتها عبر دراستي العليا.

- شغف الباحث بالدراسات المتعددة التخصصات، ولرغبته في توظيف خلفيته المعمارية في الدراسة التاريخية الأكاديمية.

منهجية البحث:

نظراً لأن البحث يجمع بين الدراسة التاريخية والبحث المعماري والعمراني، انطلاقاً من فهمنا أن دراسة التطور العمراني للمدينة لا تتم إلا بفهم وإدراك للسياق التاريخي والاجتماعي، فيكون بحثنا متعدد التخصصات، مما يحتم على الباحث الجمع بين عدد من المناهج البحثية، ومنها:

- المنهج التاريخي التحليلي: الذي يعتمد على إيجاد تفسير منطقي للأحداث التاريخية بإيجاد علاقة جدلية بين الأسباب والنتائج وصولاً إلى رسم صورة واضحة لتلك الأحداث السياسية والتاريخية وأثرها في التطورات العمرانية والمعمارية خلال هذه الحقبة الزمنية محل الدراسة مستعينين بما يتقضيه هذا المنهج من جمع للمادة من مصادرها الأولية وتحليلها وفق أسس هذا المنهج.
- المنهج الاستقرائي: ومن خلاله نتناول الجوانب الدقيقة في البيئة الثقافية والاجتماعية لمدينة بيت المقدس وحكامها وسكانها والوافدين إليها وكل ما ساهم في تكوين خصوصيتها الدينية والاجتماعية، وعلاقتها بالأحداث السياسية والتاريخية ومدى تأثيرها أو تأثيرها في التطور العمراني سواء كان سلباً أو إيجاباً، وتكمن أهمية هذا المنهج كونه يساهم في تحديد معالم البيئة الحاضنة للعمران والعمارة التي ستعكس بالتأكيد على فلسفتها.
- المنهج المعماري الأثري الذي يبحث في التكوين والشكل والنمط الإنشائي فضلاً عن علاقة المكون بالبيئة والفراغ، ثم علاقات الفراغ الداخلي وفلسفة ذلك في إطار من المحددات والعلاقات المنطقية، وسنستفيد من ذلك في الوقوف على الخصائص المعمارية والعمرانية للمدينة ومدى قدرتها على تحقيق الخصوصية الدينية والاجتماعية للمدينة.

الدراسات السابقة:

حظي عمران مدينة بيت المقدس بعدد معتبر من الدراسات، غير أن جهود الباحثين - في حدود ما اطلع عليه الباحث - انصبحت في رصد ووصف العمائر الباقية في مدينة بيت المقدس مع التركيز على العمائر التي بنيت بعد تحرير المدينة من الاحتلال الصليبي في العهود الأيوبية والمملوكية والعثمانية، دون الغوص في الظروف التاريخية والمؤثرات السياسية والاجتماعية والطبيعية للعمران، فمن الدراسات:

أولاً: الدراسات باللغة العربية.

- كتاب: "التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس الشريف"، ليحيى وزيري، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2004).

وفيه تناول الباحث عمران المدينة في العصور السابقة للفتح الإسلامي مبيّناً عروبة بيت المقدس عبر التاريخ وصولاً لعهدي اليونان والبيزنطيين، ثم تحدث عن عمائر العصور الإسلامية الأولى (السابقة للاحتلال الصليبي للمدينة)، خصوصاً الحرم القدسي وقبة الصخرة والمسجد الأقصى، ثم تكلم عن الاحتلال الصليبي للمدينة والتغييرات الصليبية الطارئة عليها، ثم تناول بالتفصيل العمائر الباقية من العصور الإسلامية اللاحقة (الأيوبية - المملوكية - العثمانية) كالمدارس والزوايا والخوانق وبعض الجوامع، معتمداً على ما دون على تلك العمائر من لوحات تأسيسية في الغالب، وقد صاحب ذلك شروح وتفصيلات من خلال مخططات معمارية لبعض تلك العمائر، ثم قدم قائمة بتلك العمائر مرتبة حسب العصور.

والكاتب هنا تحدث عن الفترة الإسلامية الأولى (الحدود الزمانية لموضوع دراستنا): من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية (16-132هـ/637-750م)، بإيجاز شديد لا يعطي تلك الحقبة حقها، ولم يتناول بالبحث الظرف التاريخي السياسي والاجتماعي أو الحضاري ومؤثراتهم على العمران، ومن ناحية ثانية خلت قائمة المراجع التي اعتمدها الكاتب في دراسته من المصادر التاريخية المعتمدة، أو كتب الجغرافيين والرحالة العرب والأجانب، بل اعتمدها في جلها على مراجع حديثة، مما يفقد البحث جزءاً أساسياً من قيمته التاريخية، وهو ما سيقوم به الباحث بإظهاره ومناقشته من خلال هذه الدراسة.

- بحث: "التطور المعماري لمدينة القدس في الفترة الإسلامية"، لمروان أبو خلف، في: مجلة جامعة القدس

المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الثامن عشر، 2010.

وفيه تناول الكاتب التطور المعماري للمدينة منذ دخول عمر بن الخطاب لها (الفتح) حتى نهاية العصر العثماني، وقد قسم بحثه إلى عناصر بحيث بدأ بدراسة الحرم القدسي وأسواره وبعض معالمه كالمسجد الأقصى وقبة الصخرة والسلسلة، ثم بدأ في استعراض العمارة الثقافية والتعليمية كالمدارس والخوانق والزوايا، التي بدأت وظهرت بعد تحرير المدينة من الاحتلال الصليبي وكانت إيذاناً بدخول فلسطين العصر الأيوبي، مقدما وصفا لبعض النماذج من كل منها.

والباحث هنا، أجمل موضوعاً كبيراً في مقالته، إذ اقتضت طبيعة المقال وطول الفترة الزمنية محل الدراسة إلى إغفال أو إهمال جوانب مهمة جدية بالبحث، فقد أغفل الجانب التاريخي وركز على الجانب الأثري المعماري، وفي سياق ذلك فإنه لم يتطرق للنشاط العمراني في فترة مهمة من التاريخ الإسلامي وهي الفترة العباسية، وهو ما سيحاول الباحث تجنبه من خلال التركيز على فترة محددة فضلاً على الاهتمام بالجانب التاريخي مصاحباً للجانب المعماري.

- دراسة: "نظرية جديدة لتفسير التصميم والتخطيط الهندسي لقبة الصخرة والفكر التخطيطي الهندسي في الفترة الإسلامية المبكرة"، لهيثم الرطروط، رسالة ماجستير، 2002.

وفي هذه الدراسة يقدم الباحث نظرية تحاول تفسير طرق التخطيط المتبعة في الفترة الإسلامية المبكرة، ورصد الأفكار المعمارية التي اتسم بها ذلك التخطيط، بالإضافة إلى تقديم تطبيق عملي وملموس حول تلك الطرق تجسّد في إجراء دراسة تطبيقية حول تخطيط قبة الصخرة وأثبتت الدراسة أنه كان هناك منهج معماري إسلامي متبلور بالفعل عندما بدأ العمل في بناء القبة، وذلك بعكس ما تذهب إليه النظريات السائدة التي تقول إنها بُنيت وفقاً لأنماط البناء البيزنطي، وإن العمارة الإسلامية في فترة بناء القبة كانت لا تزال تقتبس أنماط البناء من مدارس هندسية أخرى.

- بحث: "خصائص العمارة والزخرفة الإسلامية في بيت المقدس"، للدكتور: حسن مُجد نعيّرات،

في: مؤتمر يوم القدس العاشر، جامعة النجاح.

وفيه تناول الكاتب لمحات عامة عن ما تمتع به المسجد الأقصى (المسجد القبلي) من اهتمام على مر تاريخه الإسلامي، ومراحل تطوره واختلاف بنائه، ثم تطرق إلى قبة الصخرة وما قيل فيها من دقة في النسب وأصاله في الزخرفة والتزيين احتوته عناصرها الإنشائية والتكميلية من أعمدة وسقف ومحراب وأبواب وشبابيك، ويلفت البحث الانتباه إلى ضرورة الانتباه لهذه العناصر والأنماط الزخرفية مما يساهم في عمليات الحفاظ والترميم، وإن كان العنوان قد تحدث عن خصائص العمارة فإنه لم يتحدث عنها إنما اقتصر اهتمامه على الزخرفة ووصفها في أثرين، إلا أنه يمكن الاستفادة منه في مواطن دراسة التكوين والشكل العمراني للمدينة.

- بحث: "العمارة والزخرفة في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي"، للدكتور عفيف البهنسي، في

الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، 1990م.

وفي هذا البحث تناول الكاتب العمارة الفلسطينية في جميع مراحلها بشكل عام بدءاً من عصور ما قبل التاريخ حتى عصرنا الحالي، معرجاً على تكوّن المدينة في فلسطين وأنماطها، مفرداً مباحث لبعض أشهر معالم فلسطين المعمارية مثل قبة الصخرة وجمالها وهندستها ورأي علماء الهندسة والآثار في تفردتها الجمالي مع دقة في بنائها وتميز في نسبها المعمارية، وتناول المسجد الأقصى وعناية الخلفاء به عقب تأثره بالزلازل، كما وصف قصر هشام في أريحا وقصر المفجر والحرم، وأفرد الكاتب في بحثه مبحثاً عن العمارة الثقافية والعسكرية في خلال العصور المتلاحقة.

ويبدو أن البحث جاء ليكون مادة تثقيفية فتناول المواضيع بالعموم والشمول دون البحث والغوص في التفاصيل ودون تحديد لهوية العمارة الفلسطينية بالوقوف على خصائصها، ولم تخصص فيه مدينة بيت

المقدس أو الفترة الزمنية محل الدراسة بكثير بحث أو تفصيل، إنما جاءت ضمن السرد العمراني الطويل الذي يتجاوز 14 قرناً في بحث واحد.

- كتاب: "تاريخ الحرم القدسي" لعارف العارف، (مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، القدس، 1947م).

وفيه يقدم الكاتب وصفاً تاريخياً مختصراً للمسجد الأقصى وقبة الصخرة منذ التأسيس حتى النكبة (1948م)، ثم قام الكاتب بتقديم وصف خارجي ووظيفي لمكونات الحرم من مآذن وأروقة وأبواب ومساطب، كما يقدم الكاتب مشاهداته الخاصة للحرم ومكوناته في العام 1947م.

والكتاب يفتقد التركيز على العمران في المدينة إذ تعرض لها عبر مذكرات وصفية قصيرة، حتى أصبح أقرب إلى السجل التوثيقي منه إلى الدراسة.

- بحث: "المقدسات والمآثر الإسلامية والمسيحية في القدس"، لمصطفى عبد الله شيحة، (بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي، منشورات أيسيسكو، 1995م).

وهو عرض وصفي مختصر لتاريخ المسجد الأقصى وقبة الصخرة وبعض الآثار المسيحية، لم تغطي الدراسة السياق التاريخي للعمران وإنما اكتفت بالحديث عن هذه المعالم.

- بحث: "المعالم الحضارية في مدينة القدس"، لمروان أبو خلف، (بحوث الندوة العالمية حول القدس - أيسيسكو، 1995م)، وهو وصف بسيط امتاز بالعمومية والاختصار الشديد، دون البحث في السياق التاريخي والحضاري أو تحليل للعمران.

ثانياً: الدراسات باللغة الإنجليزية .

"Bait Al-Maqdis within a Historical and Archaeological Context until the End of the Umayyad Period' Taleb Al Smadi, (journal of humanities and social sciences, Vol: 24, 2001.)

المقال يتناول مدينة بيت المقدس في سياق تاريخي وأثري حتى نهاية العصر الأموي، مركزاً على عروبة المدينة منذ 5000 عام ثم يدرس ثلاثة من المباني الأموية في القدس، هي المسجد الأقصى وقبة الصخرة والقصور التي تم اكتشافها في القرن العشرين عبر بعثة الجامعة العبرية، ثم يتحدث عن عمليات التهويد التي تعرض لها المدينة عن طريق تغيير الهوية المعمارية أو طمسها.

والمقال متميز باعتماده على المصادر التاريخية في عرض التطور الحضاري والوقوف عليه، لكنه لم يناقش التخطيط العمراني للمدينة والعوامل التي أثرت به، ولم يبحث في خصائص عمران تلك الفترة، واهتم بدراسة أثرية تاريخية لثلاثة من المعالم الأموية، وهي لا تف بتكوين صورة واضحة عن تلك الفترة، فضلاً عن أن البحث لم يشمل كل الفترة الإسلامية الأولى (محل دراستنا)، إذ ترك فترة الحكم الراشدي على أهميتها في فهم التطور التالي، كما أنه لم يتناول التغيرات الاجتماعية والسياسية وأثرها.

- The Architectural Development of Al-Aqsa Mosque in Islamic Jerusalem in the Early Islamic Period Sacred Architecture in the Shape of 'The Holy'. By: Haithem Al-Ratrout.

والكتاب في أصله رسالة دكتوراة، حول التطور المعماري للمسجد الأقصى في الفترة الإسلامية المبكرة، قام من خلالها الباحث بتقديم دراسة عن المسجد الأقصى فأفرد فصلاً لدراسة المصادر، ثم تحدث في فصل ثان عن المسجد الأقصى وبيت المقدس كمدخل لموضوع الدراسة، وتناول في فصل ثالث مكانة المسجد الأقصى في الإسلام وتأكيد المسلمين على ذلك، وفي تالي الفصول فصّل في الدراسة الهندسية المعمارية للمسجد الأقصى بشكل علمي هندسي.

والدراسة قوية في بنائها ودقتها، وقد ركزت على واحد من أعظم الآثار الإسلامية مكانة في نفوس المسلمين، وهو المسجد الأقصى ومرافقه، ولا شك أنها ستكون محل إفادة للباحث في موضوعه لكنها لم تتناول عمران المدينة ومؤثراته، بل اكتفت بالحديث عن واحد من المعالم في المدينة، وعليه فإننا سنتناولها من منظور أوسع لتشمل المدينة كنتاج بشري وحضاري للكل أكثر منه أثر معماري يتم دراسته من ناحية هندسية فقط.

- Mapping Islamic Jerusalem: A rediscovery of Geographical Boundaries, Khalid El-Awaisi, Dundee: Al-Maktoum Institute Academic Press, 2007.

وتناقش هذه الدراسة بيت المقدس كإقليم وامتداده الجغرافي عبر العصور الإسلامية، من خلال إجراء دراسة تحليلية لحدود هذا الإقليم، وتبرز أهمية الكتاب في أنه يفرق بين بيت المقدس المدينة والإقليم، ويرصد تطور التسمية خلال العصور الإسلامية، وعليه تكون الدراسة مفيدة لنا في تحديد المدينة من الخارج وتساعد في التفرقة بين الإقليم والمدينة، لكنها لا تقدم صورة عن التطور العمراني للمدينة من الداخل وهو ما تستهدفه دراستنا.

- Bayt Al-Maqdis: 'Abd al-Malik Jerusalem, Oxford Studies in Islamic art, Oxford university press, 1992.

وهي مجموعة من الأبحاث التاريخية والمعمارية التي تناولت قضايا تفصيلية في تاريخ عمران المدينة، مثل مناقشة أحد الأبحاث الدوافع التي حدثت بعبد الملك بن مروان لبناء قبة الصخرة استناداً لإحدى المخطوطات المحفوظة في المكتبة البريطانية، وفيها أن الدافع كان تحويل الناس للحج إلى بيت المقدس لسيطرة ابن الزبير على مكة، والبحث يقدم ويتبنى وجهة نظر واحدة دون مقارنتها بأخرى وأن يبحث في نصوص أخرى إعمالاً لمبدأي النقد الظاهري والباطني. وهو الأمر الذي سيتبعه الباحث في دراسته للبحث في أسباب عمران وفلسفته والعوامل المؤثرة على اختلاف الفترات. وناقش بحث آخر تاريخ بناء قبة الصخرة المشرفة ومدى دقة التاريخ المنقوش داخل المبنى نفسه، بينما تطرق بحث ثالث لرؤوس الأعمدة

(التيجان) الموجودة داخل المسجد الأقصى، وبحث رابع عن البوابات، وهي في مجموعها تقدم إسهامات معتبرة في موضوع دراستنا، سيستفيد منها الباحث في مواضعها المناسبة من دراسته.

-Early Muslim architecture, Creswell, K.A.C., (Oxford: Clarendon press, 1969)

وهو كتاب كبير ومرجع موثق في العمارة الإسلامية المبكرة في العالم الإسلامي، أفرد فيه كاتبه - وهو عالم آثار مستشرق - فصلاً عن عمارة قبة الصخرة بالتحديد وقدم خرائط وقياسات دقيقة، كما تناول الجامع القبلي بالدراسة وحاول أن يعيد تصور الجامع القبلي في العصر الأموي، واحتوى الكتاب على عدد من الآراء المعمارية والمقارنات حول أصول بناء قبة الصخرة، ونشر في الكتاب نفسه بحثاً للمستشرق فان ماكس برشيم (Van Max Berchem) حول زخارف قبة الصخرة، وإن ظهر في الكتاب نزعة غير علمية تمثلت في تجريد العرب والمسلمين من الإبداع المعماري إلا أن الكتاب من ناحية معمارية مجردة متميز في بابه، مما يتيح للباحث فرصة للبناء على المعلومات والقياسات والمخططات التي قدمها الكتاب.

ومما تقدم من عرض للدراسات السابقة تبين أنها في مجملها مهمة للباحث في دراسته، وسيستفيد منها البحث بأقدار متفاوتة، لكن لا تزال الدراسات المفردة قاصرة عن تحقيق أهداف وغايات البحث لعدة أسباب.

- بعضها لم يهتم بالسياق التاريخي والحضاري أو لم تعتمد الجانب التاريخي التحليلي. مثل دراسة (وزيري: التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس الشريف) و(شبيحة: المقدسات والمآثر الإسلامية والمسيحية في القدس) و (خلف: المعالم الحضارية في مدينة القدس).

- بعضها لم يعتن بالفترة الزمنية محل الدراسة بشكل يوفي الموضوع حقه، مثل دراسة (Bait Al-

(Maqdis within a historical and archaeological context

- جزء من الدراسات ركز على أثر معماري محدد، أو قضية جزئية مثل: (خصائص العمارة والزخرفة

الإسلامية)، (Why did Abd al-Mali build the Dome of the Rock?:Elad)

- كما أن بعض الدراسات تعد قديمة نسبياً، بحيث لم تستفد من الكتب المحققة حديثاً

والاكتشافات الأثرية المستجدة. مثل: (العارف: تاريخ الحرم القدسي)

وعليه، فإن الباحث سيسعى من خلال هذه الرسالة للاستفادة من الدراسات السابقة بما يخدم

أهداف البحث وأسئلته، والتركيز على الفترة الزمنية محل الدراسة، والاستفادة من المصادر التاريخية وكتب الرحلة والمراجع الحديثة والجهود الأثرية.

صعوبات البحث .

وقد واجهت الباحث بعض الصعوبات التي حاول التغلب عليها، ومنها:

- قلة المصادر والمراجع التاريخية في الجامعات الماليزية، مما تطلب من الباحث بذل جهد إضافي في

استقصائها، والعمل على توفيرها من جامعات ومكتبات خارج ماليزيا، إما بالسفر إلى تلك المكتبات أو استجلابها.

- شح المعلومات العمرانية في المصادر المتاحة سواء بالعربية أو الأجنبية، مما حدا بالباحث تتبع

الإشارات الواردة في مختلف النصوص التراثية، وربطها ببعض للحصول على الصورة الأقرب للحقيقة والواقع.

- عدم قدرة الباحث على السفر إلى مدينة بيت المقدس لمعاينة المواقع والعمارة، رغم أنه يحمل الجنسية الفلسطينية، نظراً لمنع سلطات الاحتلال الإسرائيلي، فلجأ الباحث إلى الاستعانة بأصدقاء من الداخل للتصوير والمناقشة والفحص ممن يعملون داخل المسجد الأقصى وممن يسمح لهم بالدخول إليه.

هيكل الدراسة.

جاءت الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تمكن الباحث من خلالها الإجابة على أسئلة الدراسة وتحقيق أهدافها بشكل متدرج، ففي أول الفصول ناقش -بشكل مركز- أحوال المدينة منذ النشأة، وكيف تكونت شخصيتها المعمارية والتجارب التاريخية التي مرت بها حتى وصلت لمرحلة عمرانها السابق للفتح الإسلامي، وفي الفصل الثاني، تناولت الدراسة الفتح الإسلامي للمدينة وما رافق ذلك من تغيرات اجتماعية وما لحق الفتح من تغيرات سياسية على المدينة في عصرها الراشدي والأموي، وبحث الفصل في أثر تلك المتغيرات على العمارة والعمران في المدينة، وفي الفصل الثالث تطرقت الدراسة إلى التطور العمراني والمعماري في المدينة بتناول مراحل ومنشآت هذا التطور بدراسة كل عنصر من هذه العناصر دراسة تاريخية ومعمارية وافية للوقوف على فلسفة تطوره وبنائه ضمن السياقات التاريخية، وفي هذا الفصل تم مناقشة الروايات التاريخية المتعلقة بعمران المدينة ومسجدها الأقصى وتناولها بالدراسة والتحليل باستخدام منهجية تداخل الحقول المعرفية.

أما رابع الفصول، ففيه تم دراسة الخصائص المعمارية والعمرانية التي شكلت هوية المدينة، ففي العمارة تم دراسة خصائص الهيكل والشكل وخصائص الزخارف والأصول والجذور لتلك العمارة، أما في العمران فتم تحديد خصائص العمران الحضري للمدينة ككل وبيان مدى تحقيق المدينة لخصائص المدينة الإسلامية.

ثم كانت الخاتمة التي أجمل بها الباحث أهم ما توصلت إليه الدراسة من حقائق ونتائج بشكل

مركز ومحدد.

University of Malaya

الفصل الأول

موقع بيت المقدس ونشأتها وتطورها العمراني قبل الفتح الإسلامي

المبحث الأول: الموقع والمناخ

المبحث الثاني: النشأة والتكوين

المبحث الثالث: التطور العمراني قبل الفتح الإسلامي

المبحث الأول:

الموقع والمناخ

تعد الأوضاع الجغرافية والطبوغرافية والمناخية من العوامل المهمة والمؤثرة في تكوين عمران المدن وعمارتها، وتزداد أهمية هذه العوامل في حالات المدن ذات الخصوصية كمدينة بيت المقدس، وخلال هذا المبحث سيتم الوقوف على هذه الأوضاع الثلاثة لمدينة بيت المقدس، لتساهم في تكوين الخلفية المعرفية للفصول اللاحقة.

- الموقع الجغرافي.

تشكل فلسطين، البالغ مساحتها 27 ألف كيلومتراً مربعاً، الجزء الغربي من بلاد الشام أو سورية الكبرى، وتنحصر بين البحر الأبيض المتوسط غرباً ونهر الأردن شرقاً، وهي بين دائرتي عرض ($30^{\circ}29$) و($33^{\circ}15$) وخطي طول ($34^{\circ}15$) و($35^{\circ}38$) شرقاً، وتقع على مفترق الطرق بين الإمبراطوريات القديمة التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ البشرية من التاريخ القديم حتى الثورة الصناعية في أوروبا. وتشكل الأرض الفلسطينية من ثلاث وحدات جغرافية رئيسية متميزة، تمتد طولياً من الشمال إلى الجنوب، وهي من الغرب إلى الشرق كالتالي:

1. السهل الساحلي الفلسطيني، وهو امتداد للسهل الساحلي السوري.

2. سلسلة مرتفعات الوسط، وتشكل امتداداً لسلسلة جبال سوريا الكبرى، وتشغل المساحة

الأكبر من الرقعة الأرضية للبلاد، وتشكلها ثلاث كتل جبلية أساسية هي: جبال الخليل،

وجبال بيت المقدس، وجبال نابلس.

3. الحفرة الصدعية للأخدود الأردني، وتعرف باسم (الغور) أو وادي نهر الأردن الذي يتوسط

تلك الحفرة الصدعية.⁽¹⁾ (انظر الشكل 1.1)

أما مدينة بيت المقدس فتقع وسط سلسلة مرتفعات وسط فلسطين، على تقاطع خط طول

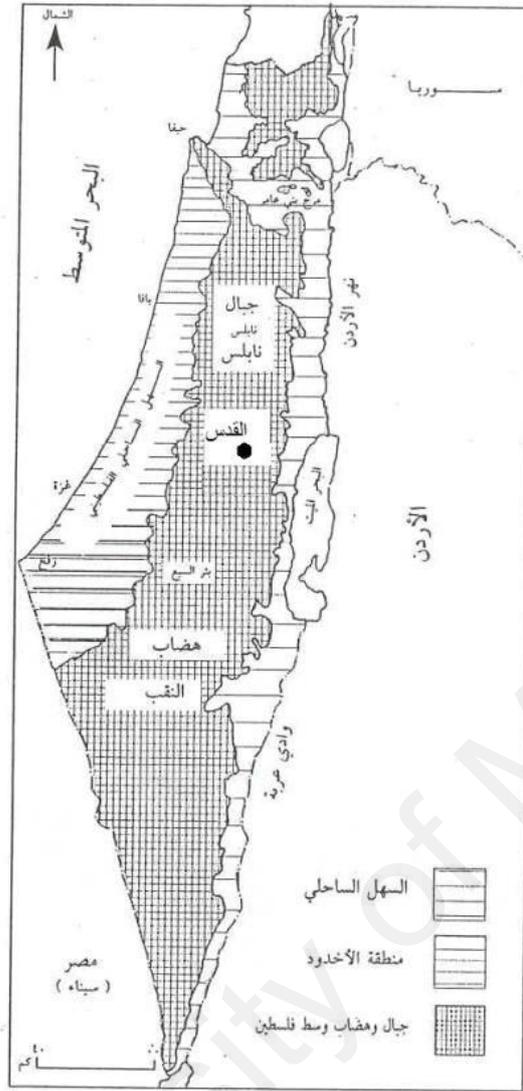
(35° 13) شرقي خط غرينتش، مع خط عرض (31° 47) شمالاً، وتبعد - في خطوط

مستقيمة - 52 كم عن البحر الأبيض المتوسط، و22 كم عن البحر الميت، و250 كم عن

البحر الأحمر⁽²⁾.

(1) صلاح الدين البحيري، **جغرافية فلسطين**، في: جغرافيا فلسطين وتاريخها، (عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، 2003)، ص21-28.

(2) مصطفى مراد الدباغ، **بلادنا فلسطين**، (كفر قرع، دار الهدى، 1991)، ج9، ق2، ص13.



شكل 11: موقع بيت المقدس على خريطة فلسطين الطبيعية.

المصدر: محسن صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، (كوالالمبور، Fajar Ulung، 2003)، ص 50.

وبذلك نرى أن موقع بيت المقدس قد مكنها من الاتصال بجميع الجهات، إذ ترتبط بطرق رئيسة تخترق المرتفعات من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، وبطرق عرضية تقطع هذه الطرق الرئيسية لترتبط وادي الأردن بالساحل الفلسطيني⁽¹⁾. وهو الأمر الذي لخصه جغرافي القرن الرابع ابن حوقل

(1) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 9، ق 2، ص 13.

(ت:331هـ/942م) واصفاً موقع المدينة بقوله: "وهي مدينة مرتفعة على جبال، يصعد إليها من كل مكان يقصدها القاصد من فلسطين"⁽¹⁾.

- طبوغرافية المدينة.

تقوم مدينة بيت المقدس التاريخية (محل الدراسة) على عدد من التلال يفصل بينها بعض الأودية، ويحيط بها مجموعة أخرى من الجبال والأودية، تشكل في مجموعها الحصانة الطبيعية للمدينة، وهي على النحو التالي:

- التلال داخل المدينة.

وهي ذات سفوح تميل إلى الشرق وإلى الغرب، ويبلغ ارتفاعها بين 720-780 متراً عن سطح البحر الأبيض المتوسط، و1150 متراً عن سطح البحر الميت، وهي:

- تل الضهور: وتسميه المصادر الغربية (Ophel)، وهو السفح المطل على قرية سلوان من جهة المسجد الأقصى، وعليه قامت أورشالم النواة الأولى لمدينة بيت المقدس، وينحدر هذا السفح من ارتفاع (720م) حتى (615م)، ويحده شرقاً وادي قَدْرُون وعين أم الدرج⁽²⁾، ومن الغرب وادي "الواد" أو الجبانة (Tyropoeon)، وشمالاً جبل الصخرة (المسجد

(1) مُجَدُّ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنِ حَوْقَلٍ، صُورَةُ الْأَرْضِ، (بيروت، دار صادر، 1938)، ص 171.

(2) عَيْنُ أُمِّ الدَّرَجِ: عَيْنٌ فِي قَرْيَةِ سُلْوَانَ، تَذَكَّرَهَا الْمَصَادِرُ بَعْدَ أَسْمَاءٍ مِثْلَ: عَيْنِ سَتْنَا مَرْمِمْ، عَيْنِ جِيحُونَ، عَيْنِ رُوجَلِ. وَسِيَّاقِي الْحَدِيثِ عَنْهَا فِي الْمَبْحَثِ التَّالِي.

الأقصى)، أما جنوباً فيحده التقاء وادي الجبانة مع وادي جهنم، وفيه عدد من المنشآت المائية والعمرانية التي تعود لعهد المدينة في العصر البرونزي (3200 ق.م – 1250 ق.م)⁽¹⁾.

- جبل الأقصى (الحرم)⁽²⁾: وهي صخرة بيت المقدس كما في المصادر الإسلامية، بينما تسميه المصادر الغربية (Moriah)⁽³⁾، وهي الأكمة التي يقوم عليها المسجد الأقصى، وتشكل الصخرة التي تغطيها قبة الصخرة ذروتها، وترتفع عن سطح البحر (743م)، يحدها من الشرق وادي قدرون، وغرباً وادي الجبانة (Tyropoeon)، ولا يظهر انحدار هذا الجبل نظراً لاختلافه ضمن التسوية البنائية (المصطبة الكبيرة) التي يقوم عليها المسجد الأقصى المبارك⁽⁴⁾.

- تل بيزيتا (Bezetha): ترتفع عن سطح البحر (765م)، وتقوم عليها في الوقت الحالي أحياء باب العمود وباب الساهرة، وتنحدر حتى باب حطة، وهي إلى الشمال من جبل الحرم (الأقصى).

- جبل صهيون (Zion): يقع في الجهة الغربية من المدينة، وتقوم عليه الآن حارة الأرمن⁽⁵⁾، ويرتفع عن سطح البحر (765م)، يفصله عن تلة الضهور وادي الجبانة، يحده من الشمال

(1) نشأت بمجت طهبوب، المصادر المائية في القدس وعمائرهما في العصور الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، (القدس، جامعة القدس، 2000)، ص14.

(2) تسميه المراجع الصهيونية جبل الهيكل (Temple mount) خدمة للأهداف الصهيونية الرامية لتهود المسجد الأقصى وبيت المقدس.

(3) انظر مثلاً:

Joseph A. Meen, Geography of Palestine; historical and descriptive, (London: Sunday school union, 1856), p.105.

I.W.J Hopkins, Jerusalem a study in urban geography (Michigan, Baker Book House, (4) 1970), p.34.

(5) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، (القدس، مطبعة المعارف، ط5، 1999)، ج1، ص3.

الغربي بركة السلطان ووادي الربابة (هَنُوم)، ومن الشرق والجنوب الشرقي قرية سلوان، ومن الجنوب وادي الربابة.

- تل عكرة (أكرا): تقع في الجهة الشمالية الغربية للمدينة، وهي على ارتفاع (780م) فوق سطح البحر، وتشكل التل حالياً ما يعرف بحارة النصارى والسوق الجديد، وتعتبر هذه المنطقة أعلى منطقة في المدينة المسورة⁽¹⁾.

الجبال المحيطة بالمدينة.

- جبل الزيتون: أو "جبل الطور" أو "طور زيتا" (Mount of Olives)، يقع شرقي المدينة المسورة، ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر حوالي (826م)، ويفصل بينه وبين البلدة القديمة وادي جهنم (قدرون)، وعلى سفحه تقوم عدد من الكنائس تعد من أهم المقدسات المسيحية وأقدمها مثل كنيسة المعصرة أو "جتسماني"⁽²⁾، وفيه دفن جماعة من شهداء المسلمين في الفتحين العمري والأيوبي. ويكتسب هذا الجبل أهمية أخرى تتمثل في كونه يمكن الصاعد عليه من كشف ورؤية المدينة.

- جبل المشارف: أو جبل المشهد، سمي بهذا الاسم نظراً لأنه يشرف على المدينة، ويسميه الغربيون سكوبس (Mount of Scopus) نسبة إلى الكلمة اليونانية (skopos) التي تعني "المراقب"، يقع إلى الشمال الشرقي بالنسبة لمدينة بيت المقدس، ويبدأ من شمال قرية شعفاط ويتصل بجبل الزيتون.

(1) طهبوب، المصادر المائية، ص14.

(2) عبد العليم عبد الرحمن خضر، التطور العمراني لمدينة القدس دراسة في جغرافية المدن، (الرياض، دار عكاظ، 1981)، ص85.

- جبل المكبر : أو جبل (أبي طور) (أبي ثور)، ويسميه الغربيون تل المؤامرة (Hill of evil counsel)⁽¹⁾ يقع في جنوب بيت المقدس، ومنه دخل عمر بن الخطاب إلى المدينة يوم فتحها، وتعلو قمته (795م) عن سطح البحر⁽²⁾.

- الأودية.

ساهم التكوين الطبوغرافي الجيولوجي لأرضية بيت المقدس، واتجاهات الانحدار التي أخذتها المدينة خاصة باتجاه الشرق، في تشكيل العديد من الأودية المهمة، ومن أهم هذه الأودية سواء كانت داخلية أو محيطة بها، هي:

- وادي جهنم: واسمه القديم (قدرون) (Kidron)، وتسميه النصارى (وادي مريم)⁽³⁾، ومن أسمائه وادي النار، ووادي سلوان، يبتدئ على بعد نحو 2500 متر إلى الشمال الغربي من بيت المقدس بالقرب من منطقة الشيخ جراح ويسير إلى الجنوب الشرقي، إلى أن يصل إلى زاوية سور المدينة الشمالية الشرقية، ثم ينحدر بين جبل الزيتون والمدينة ويستمر في انحداره حتى ينتهي في البحر الميت. ذكره ابن الفقيه (ت: نحو 340هـ / 951م)، باسم وادي جهنم، وأنه: "منه رفع عيسى (عليه السلام)، وعليه ينصب الصراط، وفيه مصلى عمر بن الخطاب، وفيه قبور الأنبياء"⁽⁴⁾، وقد وصفه الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار فلسطين في (438هـ/1046م) بأنه "وَادٍ عَظِيمٍ الانْخِفاضِ كَأَنَّهُ حُنْدَقٌ وَبِهِ أبنية كثيرة على نسق أبنية

(1) Hopkins, Jerusalem , p.36.

(2) مُجَدُّ مُجَدُّ حَسَن شَرَاب، بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى دَرَاةً تَارِيخِيَّةً مُوثَقَةً، (دمشق، دار القلم، ط1، 1994)، ص44 .

(3) العارف، المفصل، ج1، ص3.

(4) أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني ابن الفقيه، البلدان، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1996)، ص151، 152.

الأقدمين" وسأل "عَمَّنْ أَطْلَقَ هَذَا اللَّقْبَ عَلَيْهِ فَقِيلَ أَنَّ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْزَلَ جَيْشَهُ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ فِي سَهْلِ السَّاهِرَةِ هَذَا فَلَمَّا رَأَى الْوَادِي قَالَ هَذَا وَادِي جَهَنَّمَ". (1)

- وادي الربابة : واسمه القديم هِنُّوم (Hinnom)، يحد المدينة من جانبها الغربي، ينحدر من باب الخليل ماراً بالجنوب والغرب، ويفصل جبل صهيون عن تل أبو ثور، ويلتقي بوادي جهنم جنوبي جبل الضهور (أوفل) عند بئر أيوب⁽²⁾. ولا تشير المصادر إلى وجود عيون ماء بهذا الوادي⁽³⁾.

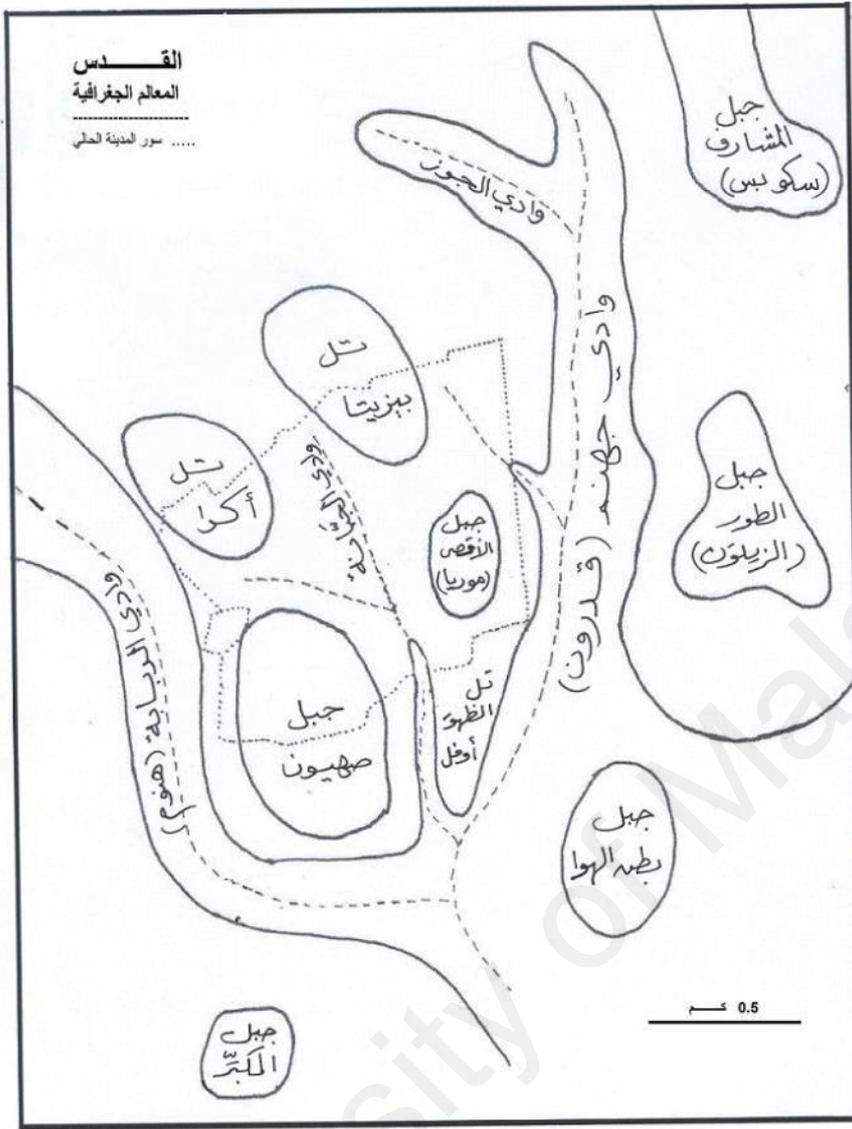
- وادي الجبانة: أو "الواد"، وقد ذكره المؤرخ يوسيفيوس (Josephus) (ت:100م) باسم التيريبون (Tyropoeon) ومعناه (صانعو الجبن) وهو يفصل تلال بيت المقدس الشرقية (المسجد الأقصى وبزيتا) والضهور عن الغربية (صهيون وأكرا)، وقد كان مستواه منخفضاً عما هو عليه الآن، لكن إلقاء مخلفات البناء فيه منذ زمن جعله يرتفع عن مستواه الطبيعي، ويقوم عليه هذه الأيام الطريق المعروفة باسم طريق الوادي⁽⁴⁾.

(1) ناصر خسرو، سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ط3، 1983)، ص52.

(2) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج9، ق2، ص13.

(3) طهبوب، المصادر المائتة، ص14.

(4) Hopkins, , Jerusalem, pp.40,41.



شكل 1. 2: طبوغرافية المدينة ومحيطها: الجبال والتلال والأودية.

المصدر: Hopkins, Jerusalem, p.36.

- المناخ

يعد المناخ أحد العوامل المؤثرة في اتجاه العمارة والعمران، فالكثير من العناصر المعمارية والاتجاهات العمرانية ترتبط بالأحوال المناخية، فشكل السقف ونظام التسقيف ومادة البناء، ترتبط بالمطر كأحد العوامل المؤثرة، ويرتبط موقع الشاييك وعددها بالحرارة وحركة الرياح وغيرها من العناصر المناخية المؤثرة.

يصنف مناخ مدينة بيت المقدس من النوع المتوسطي الجبلي، إذ ترتفع معدلات الأمطار السنوية والرطوبة في مدينة بيت المقدس، وبسبب ارتفاعها عما يجاورها من الوحدات الأرضية.

وفي مدينة بيت المقدس تتراوح المعدلات السنوية لدرجة الحرارة ما بين (17) درجة في الأعالي، و(21) درجة مئوية في السفوح الشرقية، وبين (19، 20) درجة مئوية في النهايات الغربية للجبال، ويصل متوسط أشد الشهور حرارة (في يوليو وأغسطس) إلى (24) درجة مئوية في الأعالي، وترتفع إلى (30) درجة في السفوح الشرقية، و(26-27) درجة في السفوح الغربية.

أما أشد الشهور برودة (يناير) تنخفض درجة الحرارة حتى (8-9) درجات في الأعالي، و(12-13) درجة في السفوح الشرقية والغربية وقد تنخفض درجات الحرارة في الشتاء إلى مادون الصفر، ولذلك تتساقط الثلوج في أعالي الجبال⁽¹⁾.

يبلغ المعدل السنوي للمطر في مدينة القدس (551) ملم، ويسقط أعلى معدل شهري للمطر في يناير: (153) ملم، وأقل معدل شهري في مايو: (2,7) ملم. ويتراوح معدل المطر السنوي على سفوح الحضيض الغربية بين 450-500 ملم، ويهبط إلى معدل يتراوح بين 200 و350 ملم في بركة بيت المقدس على أعالي السفوح المطلة على الغور، وترتفع معدلات التبخر إلى 1600 ملم في أشهر الصيف، وتخبط إلى 550 ملم في الشتاء، وبذا، تكون الموازنة المائية إيجابية في الشتاء مما يساعد على تكوين الجريان

(1) يحيى الفرحان، قصة مدينة القدس، (د. م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د. ت)، ص 41-42.

السطحي والفيضانات في الأودية ، ولكن الجريان السطحي لا يستمر طوال العام نتيجة ارتفاع نفاذية الصخور الكلسية وتسرب المياه المغذية للخزانات الجوفية، التي تنبتق منها الينابيع⁽¹⁾.

University of Malaya

(1) الفرغان، قصة مدينة القدس، ص 43.

المبحث الثاني:

نشأة مدينة بيت المقدس

تشكل المعرفة التاريخية لنشأة المدن واحدة من العوامل المهمة في فهم السياق التاريخي لما يطرأ عليها من تطور عمراني خلال مسيرتها، وتكتسب المعرفة التاريخية والأثرية لنشأة بيت المقدس أهمية إضافية لما تحتله المدينة من مكانة روحية وقدسية في الفكر والممارسة لدى اليهود والنصارى والمسلمين.

وفي هذا المبحث، يحاول الباحث الوقوف على نشأة المدينة بالمفهوم الحضري، وتكونها قبل ظهور الديانات التي تقدسها؛ اليهودية والمسيحية والإسلام الحمدي⁽¹⁾، مستنداً إلى الدراسات التاريخية والكشوفات الأثرية.

تشير الدراسات التاريخية والأثرية المهمة بتاريخ فلسطين القديم، أن الكنعانيين - وهم قبائل عربية - قد هاجروا من جزيرة العرب منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، وذلك على إثر الجفاف الذي حل بها بحثاً عن أماكن أخرى للإقامة تتوافر فيها المياه والأراضي الخصبة، وقد استقروا في الأراضي التي تشكلها فلسطين هذه الأيام، وقد أعطوها اسمهم فكانت تعرف بـ "أرض كنعان"⁽²⁾.

(1) استخدم الباحث هنا وصف الحمدي للإسلام للدلالة على الزمن فقط، إذ يفهم من مجموع الآيات أن الإسلام سابق لبعثة النبي محمد (ص)، والأنبياء السابقون جاءوا بنفس دين الإسلام الذي نادى به محمد (ص)، وما الاختلاف إلا في الشرائع، ومن تلك الآيات: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا) (آل عمران: 67)، وفي خطاب نوح لقومه (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (يونس: 72)، وعن موسى في خطابه لبني إسرائيل (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) (يونس: 84)، وأخبر تعالى أن الحواريين أشهدوا عيسى على إسلامهم، فقال: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: 52).

(2) فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: حداد، جورج؛ رافق، عبد الكريم، (بيروت، دار الثقافة، 1958)، ص 87؛ محمد حسين محاسنة، وآخرون، تاريخ مدينة القدس، (عمان، دار حنين، ط1، 2003)، ص 39-41؛ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، (دمشق، العربي للإعلان والطباعة والنشر، ط2، 1973) ص: ل؛ العارف، الفصل، ج1، 30

وقد كانت بلاد كنعان مليئة بالثروات، وكان سكانها يصيدون النبيذ والزيت وعسل النحل والقار والحبوب، كما كانت لها أهميتها الاستراتيجية لأنها كانت المعبر الذي يربط آسيا بإفريقيا، وهي الجسر الذي يربط بين حضارات مصر وسوريا وفينيقيا وبلاد ما بين النهرين.

واستطاع الكنعانيون بعد فترة من استقرارهم، أن ينشئوا عدداً من المدن الكنعانية في مناطق متعددة من فلسطين، وذلك في الفترة التي اصطلح عليها علماء الآثار بالعصر البرونزي المبكر (3200-2000 ق.م)، وأصبح تأسيس المدن ومرافقها الدفاعية والعامية والسكنية يستوجب شيئاً من التخطيط المسبق، حتى أصبحت المدن الرئيسية تمثل وحدات سياسية مستقلة، لها حاكمها الخاص وتسيطر على ما حولها من مناطق ريفية أشبه بدويلات المدن (City-states)، وقد كانت محصنة بأسوار ذات شرفات وأبراج للدفاع، يمكن لسكان الريف المحيط بها اللجوء إليها وقت الخطر، أما وقت السلم فكانت سوقاً ومركزاً اجتماعياً⁽¹⁾. واحتل عدد من هذه المدن هضاباً استراتيجية فضلاً عن السواحل، ولم يستطيعوا التوحد في دولة واحدة رغم أنهم كانوا يتكلمون لغة واحدة، ولهم آلهة كبيرة وكونية واحدة.

ومن أهم هذه المدن⁽²⁾ ما ظهر في مواقع تل المتسلم وتل تعنك وبيسان والعفولة في مرج ابن عامر، وتل الفارعة بالقرب من نابلس، وتل أبو شوشة في الجنوب، وخرية الكرك، وأريحا، وفي وسط فلسطين كانت النواة الأولى لمدينة بيت المقدس⁽³⁾.

ص3، ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، (بيروت، دار النفائس، ط3، 1981)، ص15.

(1) فيليب حتي، تاريخ، ص88.

(2) قدرت المواقع بحوالي 135 موقعاً، وللوقوف على قائمة المواقع في العصر البرونزي، انظر: شوقي شعث: فلسطين أرض الحضارات، (دمشق، دار الأوتل للنشر والتوزيع وخدمات الطباعة، ط1، 2000) ص19-20.

(3) خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية (عمان، دار الشروق، 2001)، ص23؛ معاوية إبراهيم وزيدان كفاي: العصر الحجري القديم حتى نهاية العصر البرونزي القديم، في: دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، وقائع الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية، (دمشق، الأوتل للنشر والتوزيع، 2001) مج 4، ص83؛ شعث، فلسطين أرض الحضارات، ص13-14.

- العصر البرونزي المبكر (3200-2000 ق.م)

ومن خلال الدراسة الأثرية عبر الطبقات الحفرية لمدينة بيت المقدس، وأهمها الطبقة (21) التي تعود إلى العصر الحجري النحاسي (4000 ق.م) ظهرت عدد من الآبار، كذلك أظهرت الطبقة (20) أن بيت المقدس بنيت مع بداية العصر البرونزي المبكر⁽¹⁾. وقد أسس الكنعانيون العرب نواة مدينة القدس⁽²⁾ على تل الضهور (أوفل - Ophel) المطلة على قرية سلوان إلى الجنوب الشرقي من موقع مدينة بيت المقدس المسورة حالياً، وقد تم اختيار هذا الموقع لأسباب تتعلق بالحماية الطبيعية للمدينة الناشئة، فالمدينة تقع على منطقة مرتفعة ويحيط بها واديان، هما: وادي جهنم (قدرون) من الجهة الشرقية والجنوبية، ووادي الجبانة (تريبون) من الجهة الغربية، فكانت بمثابة خطوط دفاعية طبيعية عن المدينة، خصوصاً أن تلك الأودية عميقة كما أن وجود مصدر للمياه تمثل في عين جيحون الواقعة شرقي التل كان عاملاً أساسياً في اختيار الموقع⁽³⁾.

وكان تأسيس المدينة، حسب ما تفيد البينات الأثرية، في العصر البرونزي القديم (3200 - 2000 ق.م)، إذ جاء أقدم اسم وصلنا للمدينة في الألواح الطينية التي تم اكتشافها في موقع تل المردخ المقام على حضارة إبلا (2400 - 2250 ق.م)⁽⁴⁾ في سياق التبادلات التجارية بين حضارة إبلا والقدس القديمة باسم "يورو شاليم" مكتوبة باللغة العربية القديمة⁽¹⁾.

(1) إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، (عمان، كنوز المعرفة، ط1، 2010)، ص21.

(2) اعتاد عدد من المؤرخين على تسمية القدس الأولى "بيوس" أو "القدس البيوسية"، لكن الدراسات الحديثة ترى أن القدس البيوسية قد ظهرت في العصر البرونزي المتأخر، وأن القدس في العصر البرونزي الأوسط أنشأها عموم الكنعانيين، وليس طبقتهم الأستقراطية التي تنزعها قبيلة بيوس الكنعانية، فقد تولى هؤلاء إعادة بنائها بعد دمارها في نهاية العصر البرونزي الأوسط. خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الاحتلال الروماني، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005)، ص72.

(3) عرفة عبده علي، القدس العتيقة مدينة التاريخ والمقدسات، (القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2007)، ص17.

(4) إبلا (Ebla): مدينة أثرية قديمة كانت حاضرة مملكة عريقة وقوية ازدهرت في شمالي سورية في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، فبسطة نفوذها على المناطق الواقعة بين هضبة الأناضول شمالاً وشبه جزيرة سيناء جنوباً، ووادي الفرات شرقاً وساحل المتوسط غرباً، وأقامت علاقات تجارية ودبلوماسية وثيقة مع دول المنطقة مثل مصر وبلاد الرافدين، وقد عثر على أنقاضها في موقع تل مردخ قرب بلدة سراقب

ويفيد علماء اللغة وأصولها أن اسم (أوروشاليم) أو (أوروسالم) أو (يوروشاليم) اسم عموري كنعاني (عربي قديم)⁽²⁾ ، والعموريون فرع من الكنعانيين العرب، وهي تعني حسب "أرجح الآراء من الناحية العلمية أنها مركبة من "أور" بمعنى مدينة، ومن [سالم] شالم" ، الذي هو معبود وثني للسكان"⁽³⁾، "الذي كان إله المدينة الحامي والرئيس لها"⁽⁴⁾.

وشهدت المرحلة الأخيرة من العصر البرونزي المبكر (2200-2000 ق.م) حالة من الغموض تمثلت في اختفاء المدن من جميع مناطق أرض كنعان تقريباً، وقد اتسمت تلك الحقبة بالاضطراب والزعزعة في شتى بقاع الشرق الأدنى. والشاهد الرئيس على هذه المرحلة مستمد من كثرة المدافن التي وجدت بأعداد كبيرة وقلة المواقع السكنية التي إن وجدت فإنها غالباً ما تكون أشبه بالمعسكرات أو القرى الزراعية الصغيرة والبسيطة⁽⁵⁾.

وقد اتجه الباحثون في تفسير هذه الظاهرة التي حلت بالمدن الكنعانية -ومنها أورشلیم- إلى اتجاهين:

الأول: تغير المناخ بشكل قاسي، تبعه الجفاف وارتفاع درجات الحرارة وقلة الأمطار وبالتالي انخفاض مناسيب المياه، مما سبب تناقص في عدد السكان، وتزايد في النشاط الرعوي على حساب النشاط الزراعي، فضلاً عن الدلائل الأثرية التي أفادت بحركة انتقال واسعة من فلسطين.

محافظه إدلب على مسافة نحو 55 كم جنوب غرب حلب هيئة الموسوعة العربية، إبلا (تل مردوخ)، الموسوعة العربية، مج1، (دمشق، الموسوعة العربية، 1998)، ص104.

(1) عفيف بمنسي، تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار، (دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009)، ص 82؛ خضر، التطور العمراني، ص25-26.

K. J. Asali, Jerusalem in history: notes on the origins of the city and its tradition of (2) tolerance, Arab Studies Quarterly, Vol. 16, No. 4 (Fall 1994), p. 38.

(3) أحمد محمود صابون، القدس أسماؤها بين الحقائق التاريخية وتحديد الهوية العربية، (مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، ع17، 2001) <http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad17partie5.htm>

(4) الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص72.

(5) زيدان كفاي، تاريخ فلسطين القديم، في: جغرافية فلسطين وتاريخها (عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط)، ص44.

الثاني: الغزو الأجنبي على يد قبائل بدوية ذات ارتباط بالعموريين (الأموريين).

وأدت جهود البحث والتنقيب وزيادة الدراسات الحضارية والأحفورية للمنطقة إلى تعزيز الاتجاه

الأول في التفسير القائل بتغير العوامل المناخية⁽¹⁾.

وقد أظهرت حفريات جرت في الطبقة الجيولوجية (20) من منطقة بيت المقدس، أن عمران

المدينة خلال هذه المرحلة تميز بالتالي:

1. التخطيط المعماري الدائري في شكل البيوت.

2. إدخال الشكل المربع في البيوت وحفر الآبار فيها.

3. الاعتماد على الأعمدة الكبيرة وسط البيوت.

4. الشكل الدائري للأسوار.

وفي تنقيبات لاحقة، عثر على قواعد الأعمدة التي حملت السقوف، إضافة إلى المواد الفخارية التي دلت

على حضارة تلك الحقبة⁽²⁾.

- العصر البرونزي الوسيط (2000-1550 ق.م)

رغم الانقطاع العمراني أو الخراب الكبير الذي حل بمدن أرض كنعان، إلا أن الكنعانيين استمروا

في العمل على إعادة إحياء مدنها التي تكفل لهم بيئة يسودها النظام والتخطيط والأمن، وهو الأمر الذي

تحقق في مطلع العصر البرونزي الوسيط، حيث عادت "دويلات المدن" كأحد النظم السياسية والعمرانية.

(1) توماس ل. طومسون، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح علي سوداح، (بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، 1995)، ص128-130.

(2) الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص65.

وفي هذا العصر، -حسب دراسات الأثاريين- وتحديداً في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، عاش النبي إبراهيم عليه السلام، وقد ثبتت هجرته من العراق إلى بيت المقدس، حاملاً عقيدة التوحيد، وهو ما تؤيده المدونات البابلية وروايات التوراة⁽¹⁾، بقدمه على ملك القدس "ملكي صادق"، وتعزيز قدسية المدينة، ولا بد أن إبراهيم عليه السلام قد تعبد الله في المسجد الأقصى الذي أفادت نصوص حديثة أنه بني بعد بناء الكعبة بأربعين عاماً، ففي حديث يرويه أبو ذر، أنه قال "قلت: يا رسول الله! أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة"، فالحديث يبين أن بناء المسجد الأقصى كان معاصراً لبناء الكعبة، وقد رجحت بعض الأراء الدينية أنها بنيت زمن آدم عليه السلام⁽²⁾.

وخلال هذا العصر يمكن بوضوح الوقوف على حالة بيت المقدس كمدينة، فقد عمّر البيوسيون، وهم فرع من الكنعانيين العرب، المدينة في الألف الثانية قبل الميلاد وسكنوها، ويمكن الاستدلال على ذلك بظهور بيت المقدس باسم أوشام (Awsamm) وقرئت Urusalim أورشليم في الوثائق المصرية القديمة المعروفة باسم "نصوص اللعنة"⁽³⁾ التي تنسب إلى فترة الأسرة الثانية عشرة، وتحديداً إلى فترة حكم سيزوستريس الثالث (Sisostris III) (1879-1842 ق.م)⁽⁴⁾.

(1) ينظر بتوسع: عبد الله معروف، المدخل إلى دراسة المسجد الأقصى المبارك، (بيروت، دار العلم للملايين، 2009)، ص 68-70.
(2) رجا عبد الحميد عرابي، الكافي في تاريخ القدس دراسة حول تاريخ القدس منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحاضر، (دمشق، دار الأوائل، ط 1، 2009م)، ص 150-153.
(3) نصوص اللعنة: عرفت بين علماء المصريات باسم Execration Texts؛ وكتبت بالخط الميراطيقي على أوان من الفخار وتمائيل من الطين لأسرى موثوقين، وكانت تكسر هذه الأشياء وتدفن بجوار الميت، وهي عبارة عن قوائم بأسماء أشخاص، وأشياء أخرى كان ينظر إليها على أنها ربما تضر المتوقِّ ومليكه.

Remler, Pat, Egyptian Mythology, A to Z, (USA, Infobase Publishing, 2010), p.58.

(4) هـ. ي. فرانكين، القدس في العصر البرونزي 3000-1000 ق.م، في: القدس في التاريخ، (عمان، الجامعة الأردنية، 1992)، ص 29.

أما عن عمران المدينة آنذاك، فمن الناحية الأثرية، اكتشفت عالمة الآثار البريطانية كاثلين كينيون (Kathleen Kenyon) عام 1961م، جداراً يبلغ سمكه حوالي المترين، يمتد بجذاء السفح الشرقي لتل الضهور وله بوابة كبيرة بالقرب من عين جيحون، واستنتجت أن ذلك سور المدينة في العصر البرونزي الوسيط، ولا بد أن تكون له بقية تلتف حول الطرف الجنوبي للتل وتستمر بجذاء السفح الغربي، محتفياً باتجاه الشمال تحت أحد الأسوار التي بنيت حول البلدة في مرحلة لاحقة، كما اكتشفت كينيون أوان فخارية بين الجدار والجرف الصخري يرجع تاريخها إلى نحو عام 1800 ق.م. وكانت أضعف المناطق في المدينة هي المنطقة الشمالية، وقد بنيت فيها قلعة في وقت لاحق، ومن المحتمل أن حصناً ما كان قائماً في الجانب الشمالي من المدينة إبان القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وكانت الأسوار منخفضة على السفح الشرقي للتل⁽¹⁾، وربما كان السبب ضرورة إعداد مدخل للنفق الممتد من عين جيحون، مصدر المياه الأكثر أهمية بالنسبة للمدينة.

وقد كشفت الحفريات التي أجراها المهندس البريطاني الكابتن تشارلز وارن (Charles Warren) عام 1867م، عن وجود نظام مائي دقيق لتزويد المدينة بالماء، وهو عبارة عن نفق مائي طويل قد حفره الكنعانيون في الصخر يوصل إلى عين مياه سلوان التي تسمى العذراء أو ستنا مريم وتسميها المصادر القديمة جيحون (Gihon) في أسفل تل الضهور (Ophel)⁽²⁾ وقد عرف هذا

(1) Kenyon, Kathleen M., Jerusalem, Excavating 3000 Years of History, (Thames and Hudson, 1967), p.22. كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاثة، ترجمة: فاطمة نصر، مُجدعاني، (القاهرة، سطور، 1998)، ص 25-26.

(2) انظر: Charles Warren, Underground Jerusalem: An Account of Some of the Principal Difficulties Encountered in Its Exploration and the Results Obtained. With a Narrative of an Expedition Through the Jordan Valley and a Visit to the Samaritans, (London, Richard Bentley and Son, 1876), p.p. 321-332.

النظام باسم مكتشفه، فتسميه المراجع الأجنبية اللاحقة (Warren's shaft)⁽¹⁾، وتسميه المراجع والترجمات العربية باسم "نفق وارين"⁽²⁾ أو "بئر وارين"⁽³⁾، وقد كان مثل هذا النظام المائي شائعاً في المدن الكنعانية التي نشأت في فلسطين مثل مجدو (Megiddo)⁽⁴⁾.

ويبدأ النفق عند فتحة يعلوها قبو (vault) داخل المدينة، ويهبط بميل إلى مسافة ما، ثم ينزل بزاوية عمودية للوصول إلى المياه التي تنقل عن طريق نفق أفقي آخر من عين جيحون، ويبدو أن هذا النظام المائي قد صمم ونفذ للاستخدام وقت الحروب وحصار المدينة، إذ خلت القدس اليبوسية من مصادر المياه الدائمة، فلا أنهار جارية ولا عيون متدفقة داخل المدينة المسورة، فكان طالب المياه -وقت الحصار- يدخل إلى النفق من داخل المدينة ثم ينزل عبر نفق مدرج مسافة (26 قدماً)، ثم ينزل عتبة مستخدماً السلم أو حبل، ثم ينحدر في نفق آخر مائل نحو الشرق (92 قدماً) إلى أن يصل إلى نقطة تقاطع -تحت الأرض وخارج سور المدينة- مع حفرة عمودية (بئر) (shaft) تمتد لمسافة 40 قدماً، وهناك يدلي دلوه ليسحب الماء المتدفق في نفق أفقي قد اتصل بعين جيحون⁽⁵⁾. (انظر شكل 3.1)

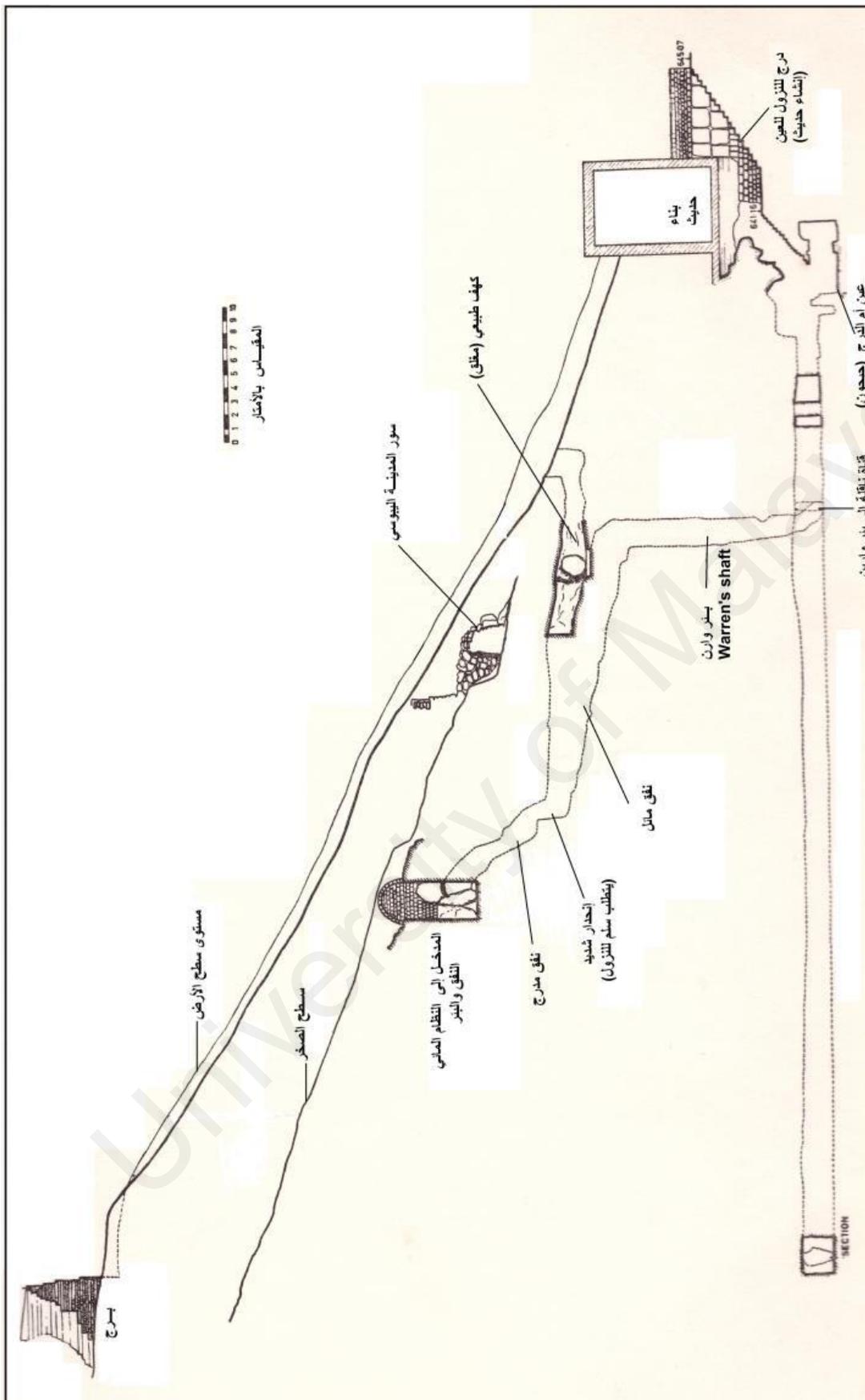
(1) انظر مثلاً: Joseph P. Free, Archaeology and Bible History, (Zondervan, 1992), p.134.

(2) انظر مثلاً: الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص78.

(3) انظر مثلاً: أرمسترونج، القدس، ص26.

(4) Kenyon, , Jerusalem, p.22.

(5) الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص79.



شكل 1.3: قطاع رأسي في النفق الكنعاني الممتد من داخل المدينة إلى عين جيحون.

المصدر: Kenyon, Jerusalem, p.21.

وقد شكك البعض أن يكون الكنعانيون (أهل بيت المقدس في العصر البرونزي) قد توصلوا إلى تقنية تمكنهم من بناء مثل هذا النظام المائي⁽¹⁾، لكن الاكتشافات الجيولوجية الحديثة تشير إلى أن النظام ليس برمته من صنع الإنسان، بل إن سلسلة من الصدوع الجيرية الطبيعية والأنفاق والممرات استخدمت ودمجت في شبكة المياه، وهو الأمر الذي يفسر لنا مظهرها غير المنتظم، كما يثبت أن النزول لجلب الماء كان متاحاً دائماً من خلال الصدوع والشقوق في الصخر، لكن قاطعي الحجارة في العصر البرونزي الأوسط والمتأخر قد سهلوا المرور خلال تلك الشقوق⁽²⁾.

وعليه، يتضح أن بيت المقدس قد عادت مدينة مزدهرة وحصينة في الألف الثانية قبل الميلاد على يد الكنعانيين العرب، الذين أقاموها على جبل الظهور، لقربه من مصدر المياه (عين جيحون) رغم وجود جبل صهيون الأفضل من الناحية الدفاعية، وقد بنوا مدينتهم كأى مدينة كنعانية وأقاموا حولها سوراً يضمن سلامتها من الأعداء ويحافظ على سكانها وقت الحروب، وفي سبيل الحصول على الماء فإنهم استخدموا تقنيات بناء متطورة ساعدتهم طبيعة الأرض على تحقيقها للوصول إلى الماء وقت الحروب أو الحصار.

لكن هذا العمران لم يستمر طيلة العصر البرونزي الأوسط، حيث شهد عمران المدينة انقطاعاً خلال النصف الثاني من العصر البرونزي الأوسط (1550-2000 ق.م) أفادت بذلك جهود التنقيب والاكتشافات في موقع قدس العصور البرونزية.

(1) أرمسترونج، القدس، ص26.

(2) فرانكين، القدس في العصر البرونزي، ص39-40.

فرغم أن أعمال التنقيب والبحث الأثري قد جرت في مناطق واسعة على المنحدر الشرقي لتل الظهور غربي السور- حيث ظهرت أورشاليم- ، فإنه لم يتم العثور على آثار للسكن أو بينات تفيد باستمرار المدينة الكنعانية أورشالم⁽¹⁾ يمكن إرجاعها إلى الفترة ما بين القرنين 17 و 15 ق.م، مع أن هذه الفترة تعد فترة ازدهار للمدن الكنعانية الأخرى، حسب ما أكدت ذلك اكتشاف الآثار المعمارية، والأواني المنزلية في المواقع الأخرى مثل مجدو وحاصور وشكيم⁽²⁾.

وتعددت تفسيرات العلماء لهذا الانقطاع العمراني للمدينة، فاتجه فريق للقول بأنه ربما قام الغزاة الهكسوس بتدمير المدينة حوالي عام 1700 ق.م ولم يعيدوا بنائها⁽³⁾، والهكسوس على الغالب أقوام خليط من الأموريين والبدو من مملكة (شوتو) في شرق الأردن الذين تحركوا إلى مصر وفلسطين وكونوا لهم إمبراطورية بدأت في مصر، وقد طردهم بعد ذلك المصريون إلى فلسطين، فاندفعوا نحو المدن الفلسطينية هرباً من المصريين مما أثر سلباً على المدن الفلسطينية، وربما كانت بيت المقدس واحدة منها⁽⁴⁾.

واتجه فريق آخر للقول بأن سبب الانقطاع هو تغير في المناخ أصاب فلسطين عموماً بعد القرن السادس عشر قبل الميلاد فأصبح أكثر جفافاً، وكان أثر ذلك واضحاً على اقتصاد فلسطين وحجم الاستيطان فيها بحسب المعطيات الأثرية والدراسات على المواقع الأخرى⁽⁵⁾.

- العصر البرونزي المتأخر (1200 - 1550 ق.م)

(1) نشر عالم الآثار سالر (S. J. saller) دراسة عن قبر كبير عثر عليه في المنطقة على المنحدر الغربي لجبل الزيتون (الطور) وبمقارنة أشكال الخزف أرجعه إلى القرن (16-14 ق.م) لكن العلماء يقولون أن قبراً واحداً يرجع بتاريخه إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد غير كاف للقول بأنه كانت هناك مدينة مسكونة وليست أطلال مدينة. فرانكين، القدس في العصر البرونزي ، ص47.

(2) أرمسترونج، القدس، ص35.

(3) فرانكين، القدس في العصر البرونزي، ص47.

(4) رباح، تاريخ القدس، ص25.

(5) الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص107.

رغم الانقطاع العمراني الطويل للمدينة إلى أن تمكن البيوسيون من إعادة بناء الموقع في أوائل القرن الرابع عشر وشغلوه طوال القرون الأربعة التالية، نجد أن اسم أورشالم/ أورشالم أصبح واضحاً ومكرراً في نصوص تل العمارنة التي تحمل دلالة تاريخية وتوثيقية عالية.

وقد كان تل العمارنة موقعاً لقربة بدوية قائمة على خرائب مدينة "أفق أتون" (Achet Aton) التي أسسها الفرعون أخناتون عام 1370 ق.م، ويقع التل في مصر الوسطى على الضفة الشرقية لنهر النيل على بعد حوالي 300 كم جنوب القاهرة، وقد اكتشفت الوثائق عام 1887م في أرشيف امنحوتب الرابع تتألف من رسائل كتبت بأحرف مسمارية على ألواح من الآجر، كان من ضمنها ست من الرسائل كتبها عبدي حيبا/ هيبا/ خيبا (Abdi-Heba) ملك أورشالم، إلى الفرعون إخناتون (1367 - 1350 ق.م)، كما ذكرت في غيرها من الرسائل التي عثر عليها في ذات التل⁽¹⁾.

ويمكن أن يستنتج من تلك الرسائل أن فلسطين كانت مقسمة إلى ممالك مدن صغيرة، تابعة للمصريين (الفراعنة) بحكم قوتهم، ويستنتج أيضاً اتساع نفوذ حاكم القدس "أورشالم"، فقد كانت تمتد إلى حدود أرض جازر في الغرب، وشكيم (نابلس) في الشمال⁽²⁾.

أما عمران المدينة، فقد ارتأت باحثة الآثار كينيون (Kenyon) أن سور المدينة البيوسي (العصر البرونزي الوسيط) كان هو نفسه سورها في العصر البرونزي المتأخر، أو أن السور البيوسي كان إعادةً لبناء هذا السور، وقد كان عبارة عن جدار محشو بقطع من الحجارة.

وكشفت الحفريات التي أجرتها كينيون (Kenyon) في الموقع عن عدد كبير من التكوينات الحجرية المتجاورة نواتها الأصلية عبارة عن حشوة (ردم) كلها تقريبا من الدبش الميني في سلسلة من الحجارة

(1) فرانكين، القدس في العصر البرونزي، ص 27، 28.

(2) المرجع السابق، ص 28.

المتجاورة التي تميزت بكسوة أمامية مؤلفة من مدماك واحد من الحجر، فأصبحت عبارة عن تكوين ضخم هو في النهاية عبارة عن مصطبة زادت من مساحة المنطقة الواقعة على قمة الجبل، وقد مكنت السكان من الإقامة في تلك المنطقة التي كانت تضاريسها تتميز بالمنخفضات والمرتفعات، واعتقدت كينيون أن هذه المصطبة جاءت محل المساكن القديمة المتفرقة والشوارع التي تمتاز بالانحدار الشديد. وأشارت إلى أن بناء هذه المصاطب قد استغرق وقتاً طويلاً، إذ بدأ العمل فيها في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ولم يكتمل إلا في مطلع القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وأدت جدران المصاطب التي كان يصل ارتفاعها إلى 33 قدماً (حوالي عشرة أمتار) وظيفتين: الأولى كتسوية للتضاريس غير المنتظمة من ارتفاع وانخفاض، فكانت قاعدة مستوية للمساكن الجديدة، والوظيفة الثانية كانت بمثابة تحصينات دفاعية للمدينة⁽¹⁾.

كذلك كشفت التنقيبات عن حصنين أنشأ على يد اليبوسيين في العصر البرونزي المتأخر، وهما:

الأول : في جهة الشرق، يقوم على المنحدر الشرقي من جبل الظهور (أوفل)، وقد بناه اليبوسيون

لحماية المدينة من الناحية الشرقية.

الثاني: وقد أنشأه اليبوسيون على جبل صهيون، الواقع غرب مدينة القدس اليبوسية، ولفظ

"صهيون" لم يكن يشير إلى مدينة أورشليم كلها، بل يشير إلى القلعة التي كانت تحمي المدينة من الجانب

الشمالي الأكثر عرضة للهجوم.⁽²⁾

ويظهر أن الميزة الأساسية لبيت المقدس اليبوسية عمرانياً في العصر البرونزي المتأخر، هي توسع

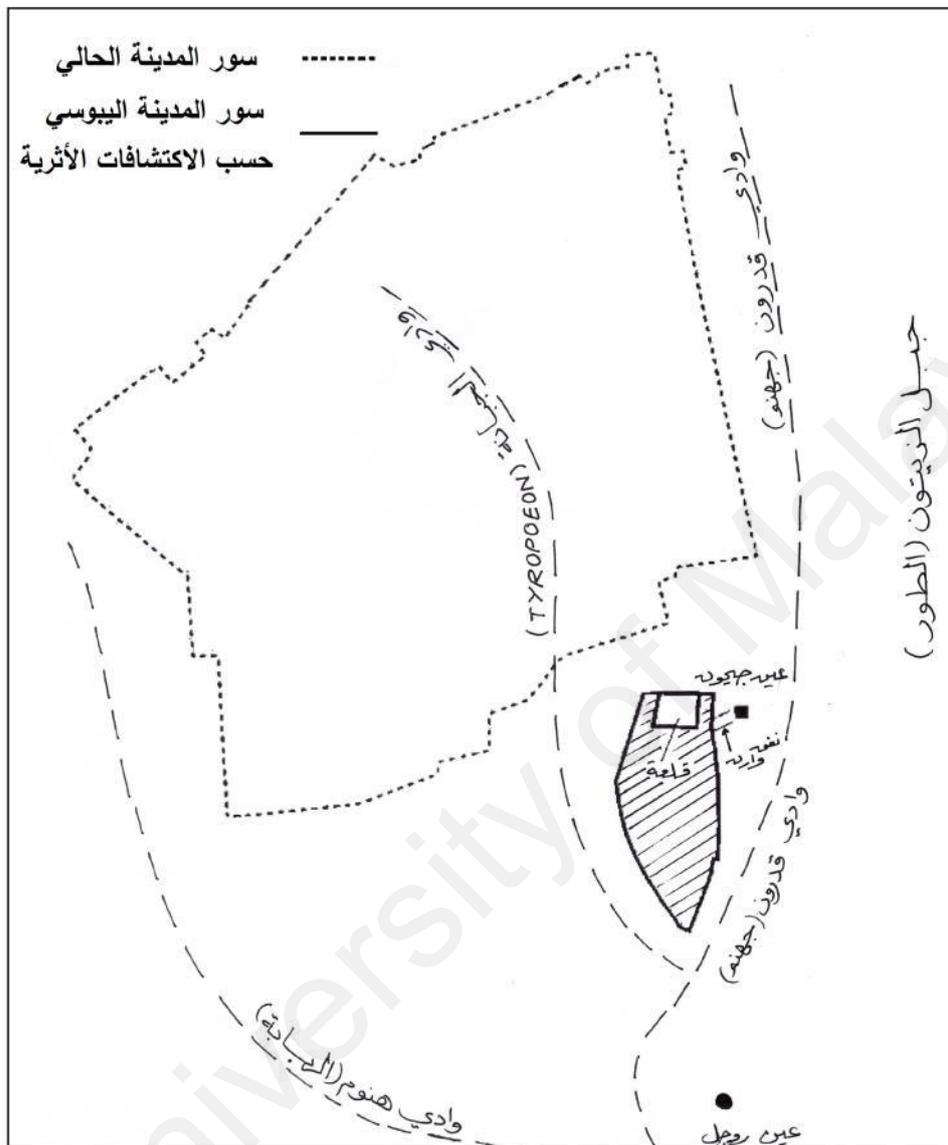
المدينة باتجاه الغرب، فضلاً عن بناء حصن جديد على جبل صهيون، أما السور الشرقي فقد تراجع عن

السور السابق (سور العصر البرونزي الأوسط)، ويقوى الاحتمال بأن اليبوسيين قد أصلحوا التحصينات

(1) أرمسترونج، القدس ، ص39-40؛ الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص114.

(2) فرانكين، القدس في العصر البرونزي، ص48.

القديمة على تل الضهور (أوفل) وقاموا بإنشاء الحي الجديد على سفح التل الشرقي بين السور وقمة التل⁽¹⁾. (انظر شكل 4.1).



شكل 4.1: بيت المقدس في العصور البرونزية.

المصدر: أرمسترونج، القدس، ص 25. (ترجمة وتصرف)

(1) الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص 112.

وفي ختام هذا المبحث، يتضح جلياً أن المدينة كانت نشأتها في سياق حركة أوسع وأكبر، قام بها الكنعانيون لبناء مدنها المستقلة عن بعضها رغم اتحادهم في المعتقد واللغة، ويتضح كذلك أن التل المرتفع الذي قامت عليه، وعين الماء المجاورة، كانا عاملين مهمين في تحديد موقعها والاستقرار فيها، وقد مكنتنا علم الآثار والتنقيبات في موقع المدينة الأول من تكوين صورة جلية عن المدينة التي كانت أصغر بكثير مقارنة بعصورها المتأخرة، وقد امتازت بالحصانة لتوفير الأمن والحماية لسكانها، كما كانت عمارتها محلية بعيدة عن التأثيرات الخارجية، وقد استخدمت تقنيات دقيقة وصعبة للحصول على الماء الذي عانت من شحه المدينة داخل أسوارها.

المبحث الثالث

التطور العمراني قبل الفتح الإسلامي

تطرقنا في المبحث السابق لنشأة المدينة الأولى في العصور البرونزية بشيء من التفصيل لأهميته في تحديد الهوية الثقافية والعمرانية الأولى، وفي هذا المبحث نستكمل تتبع التطور العمراني للمدينة في العصر الحديدي والعصور اللاحقة حتى العصر البيزنطي قبل الفتح الإسلامي للمدينة في مطلع القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد. وسيكون تناولها بوتيرة أسرع رغم كثرة التفصيلات والروايات المنتشرة حول هذه الفترة، إذ أن هذا المبحث بمثابة التمهيد لتكوين الخلفية المعرفية للانطلاق نحو صلب الدراسة.

ويمكن الوقوف على ملامح التطور العمراني للمدينة خلال تلك المراحل على النحو التالي:

- عمران المدينة في العصر الحديدي.

يعد العصر الحديدي لبيت المقدس (1200 - 332 ق.م) أكثر العصور جدلاً وأكثرها عرضة للتلفيق والتزوير، فهو عصر حاسم في تاريخ بيت المقدس، لذا شهد تاريخ تلك الفترة كما كبير من المبالغات والتهويل في كثير من أجزائها، حيث لعبت الدوافع السياسية والدينية دوراً واضحاً في تلك الروايات، حتى أن الكثير من علماء الآثار الذين عملوا على اكتشاف تاريخ المدينة من خلال التنقيبات كانوا قادمين بخلفيات توراثية ودينية حاولوا إسقاطها عنوة على المكتشفات والأعمال.

وعليه، سيعمد الباحث إلى الإجمال في الناحية التاريخية والتركيز على الأحداث المفصلية فضلاً عن الجانب العمراني، في الحدود التي تخدم الدراسة وهدفها، معتمداً على الدراسات الأثرية الأحدث والمتحررة من سلطة النص التوراتي، ومستفيداً من الرواية الإسلامية والتوراتية في حدودها الدنيا. والمقصود بالرواية الإسلامية -هنا- ما يقدمه القرآن والسنة، أما التفسير والتاريخ فيما يخص تلك الفترة فقد كانا متأثرين

بشكل كبير بروايات كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرها من رواة الإسرائيليات والتي ينطبق عليها ما ينطبق على روايات التوراة من حيث القيمة الوثائقية.

ويمكن تقسيم العصر الحديدي إلى عصور فرعية كالتالي:

- العصر الحديدي الأول (1200-1000 ق.م):

ويعد مرحلة انتقالية بين العصرين البرونزي المتأخر والعصر الحديدي الفعلي، وفيه شهدت فلسطين قدوم موجات من القبائل الفلستية (الفلسطينية) المهاجرة من جزر كريت في بحر إيجه، والتي استوطنت ساحل أرض كنعان، واندمجت معهم⁽¹⁾.

وعلى الجانب الآخر، استطاع بنو إسرائيل الخروج من مصر بعد أربعين سنة من التيه في الصحراء، وذلك حسب نص القرآن الكريم: "قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ"⁽²⁾، وخلال فترة التيه توفي نبيهم وزعيمهم موسى عليه السلام، وبعد انتهاء التيه قاد بني إسرائيل أحد أنبيائهم وهو يوشع بن نون (Josha) وتسميه المصادر التوراتية "يشوع"، وعبر بهم إلى الأرض المقدسة، وكان ذلك حوالي عام 1200 ق.م، وحاول فتح أورشليم (بيت المقدس) لكنه لم يستطع، وبعد يوشع عليه السلام تولى قيادة بني إسرائيل زعماء عرفوا باسم "القضاة" استمر عهدهم حوالي 150 عاماً استوطنوا خلالها الأراضي المرتفعة المحيطة ببيت المقدس، ثم طلبوا من أحد أنبيائهم ملكاً يقاتلون معه، فعين عليهم "طالوت" الذي قادهم بمعاناة كبيرة ذكرها القرآن الكريم⁽³⁾، ولم يثبت معه في النهاية إلا ثلة قليلة كان منهم داود -عليه

(1) وليم ف. اولبرايت، آثار فلسطين، ترجمة: زكي اسكندر، محمد عبد القادر محمد، (مصر، المجلس العلي للشئون الإسلامية، 1971)، ص115.

(2) سورة المائدة: آية 26.

(3) سورة المائدة: آية 26.

السلام- واستطاع قتل جالوت قائد الجيش المقابل المكون من الفلسطينيين (الفلسطينيين) والكنعانيين وغيرهم من الوثنيين⁽¹⁾.

- العصر الحديدي الثاني (1000-586 ق.م):

تولى داود الحكم بعد مقتل طالوت مطلع العام 1000 ق.م مؤسساً لمملكة بني إسرائيل، وهو يعد المؤسس الحقيقي لها، وخلال عهده فتح بيت المقدس حوالي 995 ق.م، فنقل عاصمته إليها وواصل حربه ضد الأقوام الوثنية في الأرض المقدسة حتى تمكن من إخضاعها⁽²⁾.

ورث النبي سليمان -عليه السلام- أباه داود في العلم والحكم والنبوة، وتشير الآيات القرآنية إلى منحه قوى عديدة، ففضلاً عن القوة البدنية، سُخِّرَت الجن والريح والطيور والحيوانات في خدمته، وأسأل الله له النحاس⁽³⁾، ولا بد أن ذلك مكنه من القيام بحركة بناء وعمران ضخمة.

وقد استمر حكمهما حوالي ثمانين عاماً، ويعد عصرهما العصر الذهبي الذي حكمت فيه فلسطين وبيت المقدس تحت راية التوحيد والإيمان قبل الفتح الإسلامي لها في القرن (الأول الهجري/ السابع الميلادي)⁽⁴⁾.

ويبالغ عدد من المؤرخين والدارسين المسلمين⁽¹⁾ وغير المسلمين⁽²⁾ في الاعتماد على التوراة ونصوصها أو الإسرائيلية، في تسجيل أحداث تلك الفترة وعمرانها، رغم شح الوثائق التاريخية والأثرية التي

(1) محسن صالح، الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الانبياء وحتى أواخر القرن العشرين، (بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط5، 2012)، ص30.

(2) محسن صالح، الطريق إلى القدس، ص30.

(3) قال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنْ اغْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11) وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ غَدُوًّا شَهَرَ وِرْوَاخَهَا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَمَتَائِلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اغْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ". سورة سبأ: الآيات 10-13.

(4) محسن صالح، الطريق إلى القدس، ص30.

تدعم هذه البيانات عن تاريخ تلك الحقبة، وبالذات ما يتعلق بالنبيين نفسيهما وعلاقتهم مع أهل الأرض (الكنعانيين العرب).

فالتوراة نفسها التي تعد المرجعية الوثائقية لأصحاب تلك الدراسات⁽³⁾، أصبحت موضع شك ورفض لدى كثير من المؤرخين المتحررين من سلطة التوجهات التوراتية، إذ تقوى القناعة لديهم بأن ما تذكره التوراة عن بني إسرائيل وتاريخهم قد كتبها جامعون ومحررون "لأساطير وحكايات شعبية مختلفة، متعددة الأصول والتواريخ".⁽⁴⁾

وعمرانياً، فقد شهد القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد من ذاك العصر ميلاد "مدينة داود" التي تتحدث عنها التوراة في سياق أنها عاصمة لمملكة متحدة، كبيرة، عظيمة الشأن والجمال، ذات تحصينات وقصور ومحازن، وبها معبد كبير متقن البناء كثير التفاصيل، حتى عدتها أرمسترونج "عاصمة إمبراطورية"⁽⁵⁾! في حين تشير واحدة من أحدث الدراسات المعتمدة على التنقيبات الأثرية والمتحررة من سلطة النص التوراتي، قدمتها مارغريت شتاينر (Margreet Steiner) تقول فيها إن أورشليم "كانت خلال القرن العاشر والقرن التاسع قبل الميلاد بلدة متواضعة تشغلها بصورة رئيسية الأبنية الإدارية، أما مساحتها فلم تزيد عن 30 أكراً⁽⁶⁾، ولم يسكن فيها أكثر من 2000 نسمة. أي أنه في زمن ما من القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد جرى تشييد بلدة جديدة تحتوي على أبنية عامة ولكن من دون منطقة سكنية واسعة... ومن

(1) كنموذج من تأثر المسلمين بالرواية التوراتية انظر ما يورده: مجير الدين العليمي الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق:

عدنان ابو تيانة، محمود عطا الله، (عمان، مكتبة دنديس، 1999)، ج1، ص107؛ وكذلك ما يورده: إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، (القاهرة، مكتبة وهبة، 1988)، ص46-56؛ وانظر ما يسوقه: العارف، الفصل، ص11 وما بعدها.

(2) انظر مثلاً ما يرد في: أرمسترونج، القدس، ص79-107؛ وكذلك ما يذكره جورج مندنجول، القدس من 1000-63 ق.م. في: القدس في التاريخ، ترجمة كامل العسلي، (عمان، الجامعة الأردنية، 1992)، ص55 وما بعدها.

(3) عن إختيار الفرضية الوثائقية للتوراة، ينظر بتوسع: طومسون، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ص9-25.

(4) طومسون، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ص13.

(5) أرمسترونج، القدس، ص95.

(6) الأكر: وحدة قياس مساحة، وتساوي بالنظام المتري (4046.85) متراً مربعاً، وعليه: (30 أكراً = 0.12 كيلو متراً مربعاً).

المستبعد أن هذه البلدة كانت عاصمة لدولة كبرى كتلك الموصوفة في النص التوراتي، مملكة إسرائيل الموحدة. ومن الجدير ذكره هنا أن أورشليم كانت تشبه إلى حد بعيد بقية البلدات الفلسطينية في القرنين التاسع والعاشر قبل الميلاد، مثل مجدو وحاصور وجازر وخليش.⁽¹⁾ وهو الأمر الذي تؤيده دراسات حديثة أخرى، تعتمد منهجية وثائقية وآثارية واضحة، كأبحاث توماس ل. طومسون التي استنتجت بأن أورشليم كانت بلدة صغيرة وليست عاصمة لمملكة سيطرت على الإقليم⁽²⁾.

ومن أهم القضايا التي تثار في تاريخ تلك الفترة، هي (معبد سليمان)، فحين يتمسك بعض الأثريين والدارسين برواية التوراة حول هذا المعبد ويلجأ لتخمين مكانه⁽³⁾، ينفي بعض الباحثين كل ما يتعلق بما يسمى معبد سليمان نتيجة لما "يقرره الأثريون جميعاً أن ليس هناك أي آثار تتعلق به"⁽⁴⁾.

والذي يراه الباحث أنه من الصعب نفي حدوث البناء (جملة وتفصيلاً) في ظل ورود الخبر عنه في عدد من المصادر الموثوقة، أهمها الحديث الصحيح، ولا بد أنه كان بناءً قوياً محكماً يتناسب مع قوة مملكة سليمان والقوى التي منحها الله له، لكن تبقى التفاصيل التي لا تؤيدها البينات الأدبية والتاريخية الموثوقة، أو الدراسات والكشوفات الأثرية، موضع مزيد من البحث والتثبت.

فقد مر بنا أن بناء المسجد الأقصى تم بعد بناء الكعبة بأربعين عاماً، وعليه ليس بعد زمن إبراهيم (أي قبل بداية هذه الحقبة التي ميزها ظهور النبي سليمان عليه السلام)، وحسب الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ لَمَّا فَرَعَ مِنْ بُنْيَانِ مَسْجِدِ

(1) مارغريت شتاينر، حدود متوسعة: تطور أورشليم في عصر الحديد، في: القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، تحرير:

توماس ل. تومبسون، سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: فراس السواح، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص 115-116.

(2) انظر: توماس ل. تومبسون، هل يمكن كتابة تاريخ لأورشليم وفلسطين؟، في: القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، تحرير:

توماس ل. تومبسون، سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: فراس السواح، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص 115-116؛

طومسون، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ص 282.

(3) انظر مثلاً: أرمسترونج، القدس، ص 100؛ 55، p. Kenyon, Jerusalem,

(4) انظر مثلاً: الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص 179.

بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهُ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا يَأْتِي هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ إِلَّا خَرَجَ مِنْ حَظِيَّتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ⁽¹⁾. فنجد أن أهم مظاهر عمران بيت المقدس في عهد سليمان عليه السلام، هو "مسجد بيت المقدس" أو "بيت الرب" الذي أحد مكوناته الرئيسية "المعبد" حسب التوراة، أو الهيكل حسب ترجمتها العربية⁽²⁾، وكلمة (هيكل) لفظة عربية مأخوذة عن الكنعانية بمعنى المعبد⁽³⁾، وفي معاجم اللغة العربية "الهيكل": الضخمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ⁽⁴⁾. وفي معجم تهذيب اللغة: "الهيكلُ هو البناءُ المُرتَفِعُ"⁽⁵⁾.

واستناداً إلى حديث آخر يبين أن المسجد الأقصى عليه يمكن القول، أن سليمان جدد بناء المسجد الأقصى الذي يسميه اليهود المعبد، - حيث إن المسجد الأقصى سابق لسليمان وإنما قام سليمان بإعادة بنائه.

وقد درس الباحث زكريا السنوار روايات هذا المعبد في التوراة ووقف على كم كبير من التناقضات في سبب بنائه، ومكانه، ومساحته، وثن الأرض التي قام عليها، والوسيط، والباني، ومواد البناء التي جمعت أو استخدمت في البناء، والعاملين في البناء⁽⁶⁾. وربما كان السبب في ذلك طول المسافة الزمنية بين بناء المعبد وتدوين التوراة كما هو مشهور.

(1) أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، المجتبى من السنن "السنن الصغرى"، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط2، 1986)، ج2، ص34؛ ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، (بيروت، المكتب الإسلامي، 1970)، ج2، ص288. والحديث صحيح حسب الألباني.

(2) انظر مثلاً: سفر الملوك، الإصحاح 6.

(3) زكريا السنوار، نقد أفكار هيكل سليمان من خلال النص التوراتي وعلم الآثار، المؤتمر الخامس لكلية الآداب - الجامعة الإسلامية بغزة، القدس تاريخاً وثقافة، (2011)، ص 917.

(4) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي "ابن سيده"، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2000)، ج4، ص138؛ محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور "ابن منظور"، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، 1414هـ)، ج11، ص700.

(5) محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور "الزهري"، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001)، ج6، ص12.

(6) ينظر بتوسع: السنوار، نقد أفكار، ص916-936.

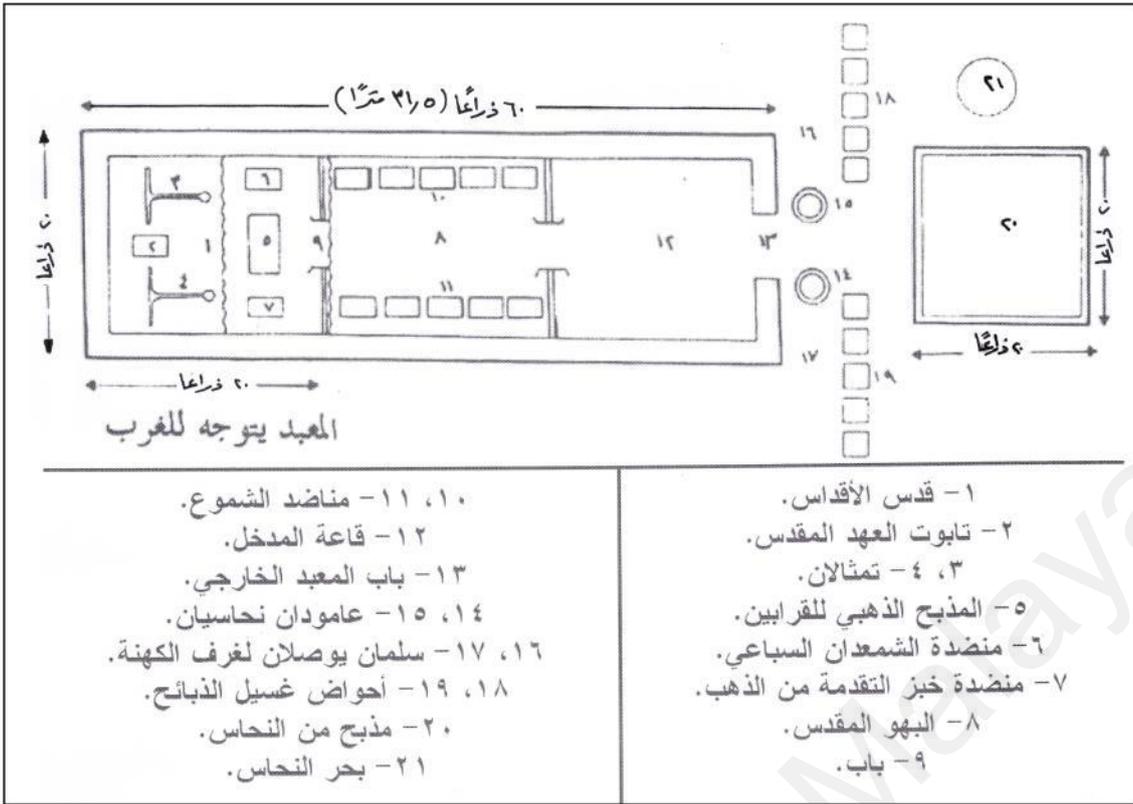
وتخلو المصادر من وصف للمعبد سوى ما يذكره مؤلف سفر الملوك الأول الذي قدم له وصفاً يجعله يتطابق في هويته المعمارية والتصميمية مع العمارة الكنعانية والفينيقية المعروفة في سوريا الشمالية⁽¹⁾، فضلاً عن انعدام البيئات والإشارات الأثرية للمعبد الموصوف رغم توالي الحفريات ذات الدوافع التوراتية للبحث عنه، كان هناك تناقض واضح في مرويات التوراة حوله.

ويتلخص وصف سفر الملوك الأول للمعبد بشكل عام أنه عبارة عن بيت طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً، وذكر ما به من غرف وقاعات ومداخل، متحدثاً عن البنائين، أما محتوياته فقد فصل فيها ذكراً تماثيل ورموز كثيرة وكميات ضخمة من النحاس، والذهب الذي غطيت به جدران البيت وأرضيته⁽²⁾، وهي كميات غير منطقية، ويمكن الوقوف على العناصر المعمارية المذكورة في السفر بالاطلاع على المخطط التخيلي (شكل 1. 5)، ونخلص من ذلك إلى أن سليمان قد بنى مسجداً وهو الذي يسميه اليهود المعبد أو الهيكل حسب أديانهم.

(1) انظر دراسة: David Ussishkin, King Solomon's Palaces, The Biblical Archaeologist, Vol.

36, No. 3 (Sep., 1973), pp. 78-105.

(2) انظر مثلاً: سفر الملوك، الإصحاح 6.



شكل 1. 5: أحد المخططات التخيلية لبيت الرب (المعبد) حسب الوصف الوارد في سفر الملوك، وهي تظهر شبهاً كبيراً

بمعابد سوريا الشمالية.

المصدر: يحيى وزيري، التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس، (القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 2005)،

ص 38.

وبعد موت سليمان عليه السلام، انقسمت مملكته إلى قسمين شكلا دولتين منفصلتين متعاديتين

في أكثر أوقاتهم، يسيطر عليهما الفساد الداخلي والضعف العسكري والسياسي فضلاً عن النفوذ

الخارجي.

عرفت الدولة الأولى باسم مملكة "إسرائيل" وقد كانت ضعيفة ذليلة انتهت في 712 ق.م على يد

الأشوريين الذين نقلوا سكان تلك المملكة إلى حران والخابور وكرديستان وفارس وأحلوا مكانهم جماعات من

الآراميين.

أما المملكة الثانية فعرفت باسم "يهودا"، وقد كانت ضعيفة واقعة تحت النفوذ الخارجي، حتى غزاها نبوخذ نصر "بختنصر" (Nebuchadnezzar) في (597-598 ق.م) وأخذ عدداً كبيراً من سكان المدينة إلى بابل فيما عرف باسم السبي البابلي الأول، وانتهى الحال بالمملكة لتكون تحت الوصاية البابلية، فعين نبوخذ نصر على يهوذا ملكاً تابعاً له، وقطع عليه عهداً بالولاء التام، لكن هذا الملك التابع أخل بالاتفاق بينهما وثار هو وشعبه على البابليين، فقام نبوخذ نصر بمحاصرة مدينة بيت المقدس 18 شهراً حتى سقطت في يد البابليين، فدخلوها ودمروها ودمروا الهيكل ونهبوا خزائنه، وساقوا اليهود أسرى إلى بابل فيما عرف بالسبي البابلي الثاني، وبذا، تكون قد انتهت مملكة يهوذا عام 586 ق.م على يد البابليين⁽¹⁾.

عمرانياً، تشير الدراسات الحديثة إلى وصول أورشليم إلى موقع مدينة رئيسية في الإقليم، وقوي دورها الاقتصادي والسياسي، فقد تضاعفت مساحتها، من 0.12 كيلومتر مربع إلى 0.51 كيلو متر مربع، وأحاط بها سور ضخمة - تراوح سمكه بين 5 و7 أمتار- بني في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، وكان تدمير المدينة من قبل البابليين 586 ق.م. قد خلف ردماً هائلاً احتوى على كميات كبيرة من المخلفات العمرانية واللقى الأثرية كالفخريات والجرار والأختام وأدوات المعيشة ساعدت على إعادة تصور حياة المدينة خلال الفترة السابقة للتدمير والسبي.

وقد كانت المدينة تزود بالماء من خلال أنظمة مائية سفلية معقدة (أنفاق ناقلية)، وقد شكلت الأحياء السكنية داخل السور القسم الأكبر من مساحة الموقع، وتركزت بشكل خاص في منطقة التوسعات على التل الجنوبي الغربي، كما شهدت المدينة حركة إعمار مدنية كبيرة تمثلت في عدد كبير من البيوت، وقد كانت معظم البيوت المكتشفة للنخبة الغنية من تجار وحرفيين، كان بعضها مجهزاً بالمراحيض⁽²⁾.

(1) محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ص 76؛ محسن صالح، الطريق إلى القدس، ص 30-33.

(2) مارغريت شتاينر، حدود متوسعة، ص 115-116؛ Kenyon, Jerusalem, p.78-105.

- العصر الحديدي الثالث (586-332 ق.م)

في 539 ق.م، تمكن الإمبراطور الفارسي قورش الثاني (الكبير) (Cyrus II) من إسقاط الدولة البابلية بمساعدة من اليهود (المسيبين)، ومد نفوذه إلى فلسطين التي دخلت عصر السيطرة الفارسية (539-332 ق.م)، ومكافأة لليهود، سمح لهم بالعودة إلى فلسطين، كما أصدر توجيهاً بإعادة بناء المعبد، لكن القليل من اليهود فضل العودة إلى فلسطين، لأن الكثير منهم كان قد أعجبته الحياة في بابل. وفي منطقة بيت المقدس، تمتع اليهود العائدون بنوع من الاستقلال الذاتي تحت الهيمنة الفارسية⁽¹⁾. وعمراًياً، بعد جملة من الخلافات الداخلية بين العائدين من السبي وأهل الأرض، والتوقفات، وبالسير البطيء، تمكنوا من إعادة بناء المعبد في 515 ق.م، على نفس شكل المعبد الأول لكن دون وجود تابوت العهد، وهو ما يعرف بالهيكل الثاني وينسب بناؤه عادةً إلى زرُّبابل (Zerubbabel)، حاكم المقاطعة المعين من الفُرس⁽²⁾.

وحسب التوراة، قام بعدها أحد زعماء بني إسرائيل ويدعى نحميا (Nehemiah) بإعادة بناء أسوار أورشليم بعد أن أصبح حاكماً للمدينة من قبل الفرس وموافقتهم، وفي سبيل تحقيق ذلك، عاين الموقع، وحث اليهود على بناء السور ومحو هذا العار، ثم قسم السكان والحرفيين والقبائل إلى مجموعات يتولى كل منهم بناء جزء من السور الذي تحلته ثمانية أبواب، هي: باب الدمن (الروث)، باب المياه، باب العين، باب الحصان، باب الغنم (الضأن)، باب السمك، باب الوادي، باب العتيق، كما قامت المجموعات بترميم وإصلاح وإنشاء أجزاء أخرى في المدينة⁽³⁾.

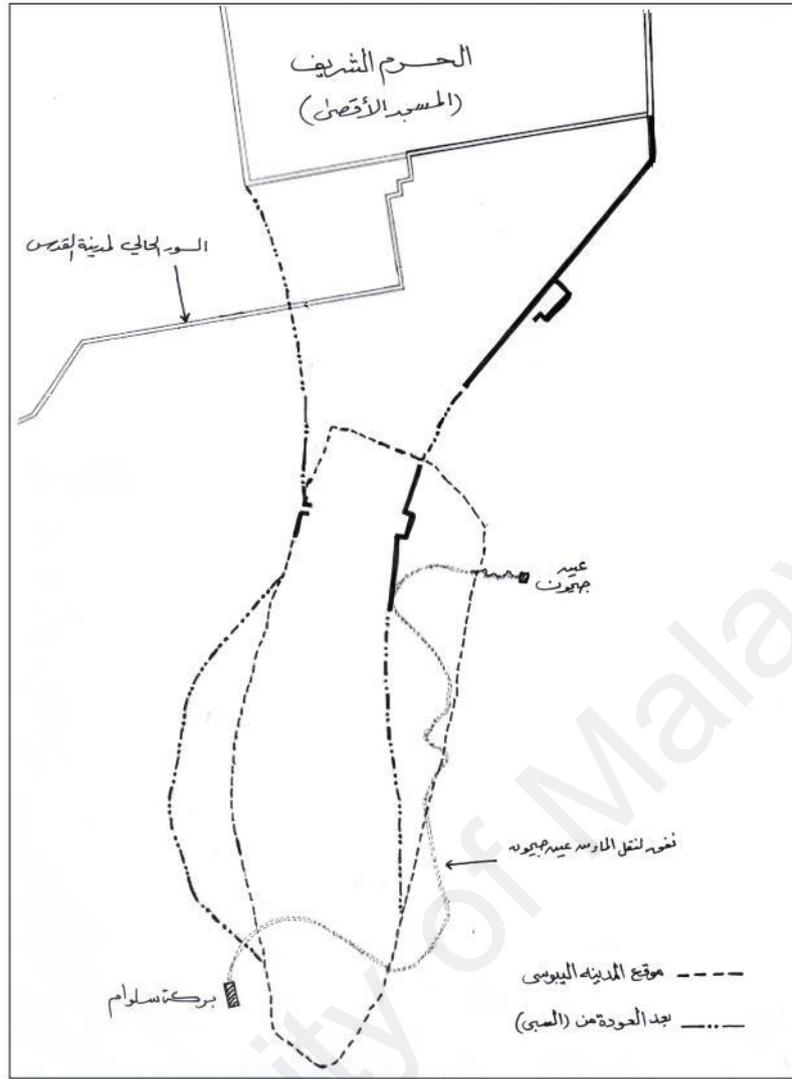
(1) محسن صالح، الطريق إلى القدس، ص30-33.

(2) أرمسترونج، القدس، ص170-171.

(3) سفر نحميا، الاصحاح 2.

وقد أشارت عالمة الآثار كاثلين كينيون (Kenyon) إلى صعوبة الربط بين الوصف الذي تقدمه التوراة لسور نحميا في الجهتين الشمالية والشرقية وبين السمات الطبوغرافية للمدينة⁽¹⁾، وحسب اكتشافات كينيون، ومن سبقها من الآثاريين، رسمت خرائطها التي أعادت من خلالها توقيع مسقط المدينة بعد العودة من السبي، وأصبح بالإمكان الملاحظة أن انحساراً أصاب المدينة من الجهة الشرقية على سفح تل الضهور (أوفل) إذ أزيحت أسوار نحميا عن السور اليبوسي وسور العهد الملكي الشرقيين، بينما توسعت المدينة باتجاه الغرب، كما حددت الحفريات الأثرية عدداً من أبواب المدينة، وقد أحاطت تلك الأسوار بنفس مكونات المدينة السابقة (قبل السبي) مثل عين جيحون، وجزء كبير من الموقع اليبوسي، والتوسعة الشمالية في عهد ما بعد سليمان، وموقع الهيكل المفترض. (شكل 1. 6)

(1) Kenyon, Jerusalem, p.110.



شكل 1.6: بيت المقدس في العصر الحديدي

المصدر: Kenyon, Jerusalem, p.109.

- تحت الحكم الإغريقي (332-63 ق.م.)

هزم الإسكندر المقدوني (Alexander III of Macedon) الفرس في 333 ق.م.، واحتل فلسطين في العام التالي (332 ق.م) خلال حملته التي ضم فيها بلاد الشام ومصر والعراق وإيران وأجزاء من الهند، وكان هذا الاحتلال إيذاناً بدخول بيت المقدس عصر السيطرة الهلنستية الإغريقية الذي

استمر طيلة الفترة (332 - 63 ق.م). وقد شكل الأمر في البداية صدمة لليهود القاطنين في أورشليم (بيت المقدس) لأنهم كانوا مخلصين للفرس وراضين باستمرار نفوذهم عليهم، ومن جهة أخرى فإن اليهود كانوا يعيشون في أورشليم في حالة من العزلة منطويين على أنفسهم، إذ عانت المدينة من الفقر، والبعد عن طرق التجارة، وانكفأت على معبدها وتوراتها.⁽¹⁾

تصدعت إمبراطورية الإسكندر بعد وفاته في 323 ق.م، وتم تقسيمها بين القادة، فألت السيطرة على فلسطين إلى القائد بطليموس الأول (Ptolemy I Soter) وسمي حكمه وحكم خلفائه بعصر البطالمة (البطالسة) وقد استمر في فلسطين من 302 ق.م حتى استطاع السلوقيون - وهم أحد ورثة إمبراطورية الإسكندر بعد موته، كالبطالمة - السيطرة على فلسطين إثر انتصار الملك السلوقي أنطيوخوس الثالث (Antiochus III the Great) نصراً كبيراً على البطالمة، عام 198 ق.م، وقد استمرت سيطرة السلوقيين على فلسطين والقدس حتى وقوعهما تحت الحكم الروماني عام 63 ق.م.⁽²⁾

وأهم التطورات العمرانية في هذا العصر، كانت نتيجة مباشرة لدخول فلسطين المرحلة الهلنستية أو (المرحلة الهلينية)⁽³⁾، وهي مرحلة عادة ما تحدد بتولي الإسكندر الحكم حتى سقوط مصر تحت الاحتلال الروماني (336 ق.م - 30 ق.م)، وتتميز تلك المرحلة بصبغ الإقليم بالصبغة الإغريقية سواء في اللغة والثقافة والأدب أو المعمار والنظم وأسلوب الحياة⁽⁴⁾.

(1) أرمسترونج، القدس، ص 170-171.

(2) جون ستينج، الملك هيرود وأورشليم: هلينة مدينة مشرقية، في: القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، تحرير: توماس ل. تومبسون، سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: فراس السواح، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص 147.

(3) الهلينية: وهي مستمدة من كلمة هِلين وهي الاسم العرقي الذي يطلقه اليونانيون على أنفسهم، في هذه الحقبة أصبحت الثقافة الإغريقية ملكاً مشتركاً بين جميع بلدان البحر المتوسط وكانت اليونانية لغة العلم في ذلك الوقت والهيلينستية هي ثقافة مركبة من عناصر يونانية وشرقية حل فيها الإغريقيون إلى الشرق الفلسفة ولقح فيها الشرقيون حضارة اليونان بروحانية الشرق ونظمه وعلمه.

(4) زياد منى، مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص 110.

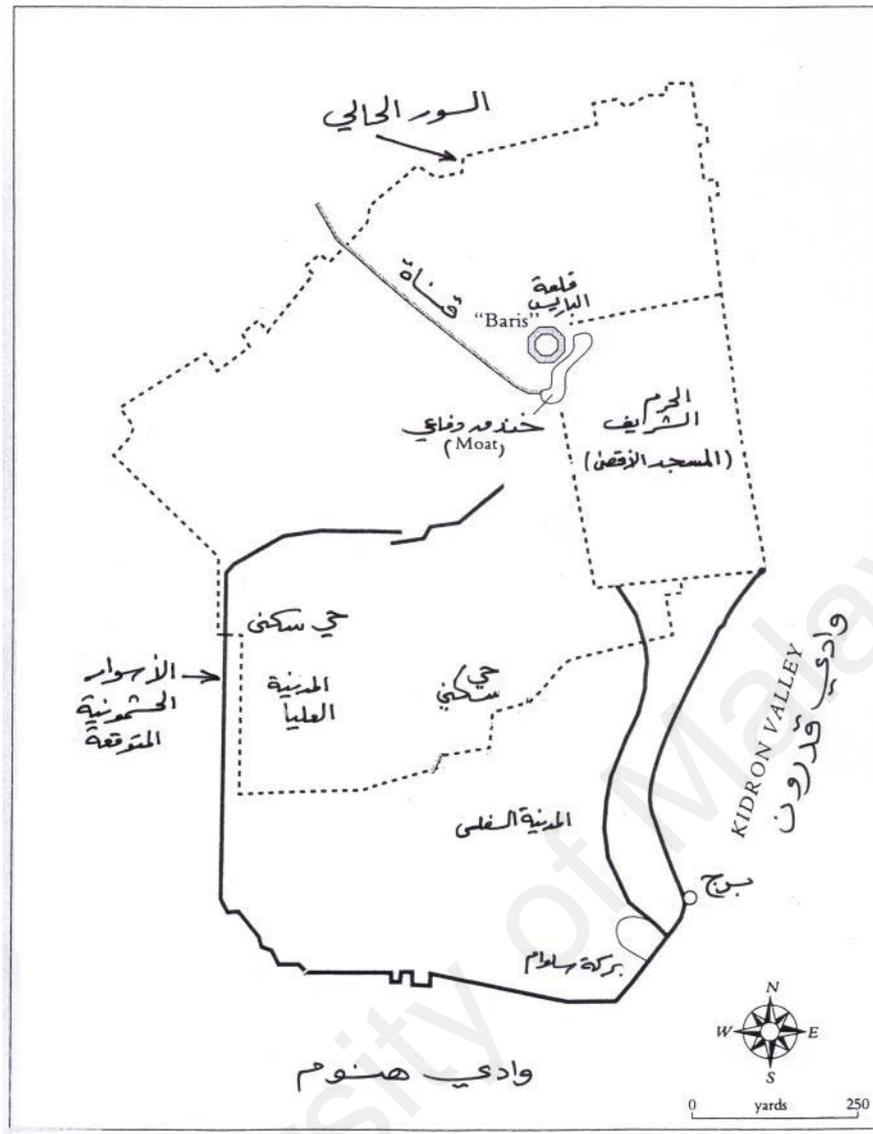
ففي عهد الملك السلوقي أنطيوخوس الرابع أيبفانيس (Antiochus IV Epiphanes) (175-163 ق.م) تم إعلان أورشليم كدولة - مدينة (بوليس - Polis)، وأعاد تسميتها إلى "أنطاكية في منطقة يهودا"، وعين منيلاوس كاهناً أعلى للمدينة بعد عزل الكاهن السابق ياسون، وكان منيلاوس متحمساً للهلينة مثل أنطيوخوس الرابع، فعمل على إدخال عادات وقيم ومؤسسات الإغريق ونظمهم، فتقدم بطلب رسمي للسماح له بتأسيس الجمانيزيوم (دار الرياضة) في أورشليم⁽¹⁾، وأقام كذلك الإيفيات (مركز التدريب العسكري للشباب)، والألعاب على الطراز اليوناني.

ونتيجة للصراع على السلطة بين الرموز الدينية - الزمنية اليهودية، وقعت حرب بين ياسون ومنيلاوس، عدها أنطيوخوس الرابع عصياناً وتمرداً، ونتيجة لذلك نهب كنوز الهيكل عام 169 ق.م.، وهدم سور المدينة في العام التالي، ثم تلا ذلك إهانة للرموز الدينية اليهودية مثل تكريس الهيكل لعبادة زفس (زيوس - Zeus)، وتقديم الخنازير قرابين على المذبح.

ووجهت إجراءات السلوقيين بمعارضة يهودية قاومت هذه الطقوس وإجراءات الهلينة قادتها الأسرة الحشمونية، واشتهر منهم المكابي (أي المطرقة)، فقاد ثورة على السلوقيين انتصر فيها مما دفع أنطيوخوس الرابع إلى إصدار مرسوم بالعفو العام عن اليهود وإعادة تكريس الهيكل، عام 164 ق.م، ولا يزال اليهود يحتفلون بهذه المناسبة تحت اسم عيد الأنوار (حانوكا - Hanukkah)⁽²⁾. وعليه استلم المكابيون/ الحشمونيون الحكم الذي استمر طيلة الفترة اللاحقة حتى 37 ق.م.

(1) سارة منديل، رومة وسوريا والكاهن الأعلى، ص 147.

(2) مندنهول، القدس، ص 86-87.



شكل 7.1: 7: أورشليم في العهد الحشموني (المكابي)

المصدر: : أرمسترونج،: القدس، ص212.

- تحت الحكم الروماني (63 ق.م - 325م)

دخلت بيت المقدس العصر الروماني بعد أن حاصرها القائد الروماني بومبي (Pompey) ودكَّ

أسوارها حتى دخلها في 63 ق.م، وأبقى على حكم الأسرة المكابية تابعة للرومان، وفي العام 40 ق.م،

هاجم الفرس فلسطين وأبقوا على حكم المكابيين في القدس، ولم تدم سيطرة الفرس طويلاً إذ عاود الرومان الحرب، واستعادوا السيطرة على فلسطين، ونصبوا هيروود الآدومي (Herod) ملكاً في عام 37 ق.م، وبذلك انتهى حكم الأسرة المكابية على القدس⁽¹⁾.

كان هيروود آدومياً⁽²⁾، ويشير الباحث زياد منى إليه بـ(حرد العربي)⁽³⁾، وقد تهوّد والده إرضاءً لليهود، إلا إنه ظل مكروها من قبلهم، طاغية ظالماً، وشديد الولاء للرومان فأطلقوا عليه لقب ملك، واستمر حكمه حتى العام 4 ق.م، وقد عاصره من الأنبياء زكريا عليه السلام ويحيى، وفي آخر عهده كان ميلاد المسيح عليه السلام في 4 ق.م⁽⁴⁾.

عمرانياً، في إطار سياسة الهلينة التي تبناها هيروود بقوة طيلة حياته، سواء في الثقافة أو الإدارة، شهدت على ذلك أعماله الكثيرة والكبيرة في العديد من المناطق التي امتد إليها نفوذه، سواء داخل فلسطين أو خارجها وقد اشتهر بحبه للبناء والتشييد⁽⁵⁾.

كما شهدت اورشليم (بيت المقدس) في عهده نهضة عمرانية مميزة، فكانت أولى أعماله العمرانية بناء قلعة أطلق عليها اسم أنطونيا تيمناً باسم راعيه الروماني أنطونيوس، من أجل إحكام قبضته على المدينة ومراقبة التحركات المعارضة لسياسته، وأعاد بناء قصر الحشمونيين، وبني قصرًا آخر في المدينة العليا قرب السور الغربي الحالي للقدس وكان محصناً بثلاثة أبراج. واكتشف في الحي الأرمني في بيت المقدس منصة ذات أبراج نسبت له، ولا يزال أحد أبراجها بادياً قرب بوابة يافا (في السور الحالي)، وبني هيروود كذلك مقبرة

(1) جون ولكنسون، القدس تحت حكم روما وبيزنطة 63 ق.م - 637 ب.م، في: القدس في التاريخ، ترجمة كامل العسلي، (عمان، الجامعة الأردنية، 1992)، ص 95-128.

(2) الإدميون (Edomites): هم سكان منطقة جنوب وشرق البحر الميت القدماء (جنوب شرقي الأردن وجنوب وادي الحسا) قطنوها منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، وهم من العرب ينتسبون إلى "إدوم" وهو عيسى ابن اسحاق بن إبراهيم. انظر: الموسوعة العربية، الإدميون.

(3) زياد منى، مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص 151.

(4) محسن صالح، الطريق إلى القدس، ص 35.

(5) اولبرايت، آثار فلسطين، ص 115.

لعائلته تقع إلى الشمال من بوابة دمشق، وأقام مبنى الهيروديوم ليكون بمثابة ضريح ملكي لشخصه. وفي الوقت نفسه، فإنه أنشأ مبان هيلنستية صرفة، كان منها: مسرحاً دثرياً مدرجاً، ومسرحاً نصف دائري، وحلبة لسباق الخيل⁽¹⁾.

أما أسوار المدينة فقد شهدت إعادة بناء لتضم منطقة جديدة في الجهة الشمالية، ولا يزال هناك خلاف بين الباحثين والدارسين حول مسار هذه الأسوار. ويعتقد البعض أنها ضمت منطقة جديدة تمثلت في القسم الواقع إلى الشمال من شارع داود (الحالي) بين المسجد الأقصى شرقاً وخان الزيت غرباً.

وتعد أكثر آثار هيرود أهمية وديمومة، هي شبكة المياه التي زودت المدينة بحاجتها من الماء، وقد احتوت الشبكة على البرك والأحواض المائية وقنوات مرفوعة على قناطر، وأنشأ خارج المدينة خزانات مياه كبيرة جنوب بيت لحم ينتقل منها الماء بقنوات مرفوعة على قناطر إلى أورشليم⁽²⁾.

ومن أعماله العمرانية العظيمة في أورشليم، بناء المعبد، الذي يصطلح عليه بالمعبد الثاني، ويعتقد كثير من الباحثين والآثاريين أن منصة المسجد الأقصى الحالية كانت المنصة التي أقام عليها هيرود المعبد، في المقابل فإن علماء آثار آخرين يقولون أن منطقة المعبد (هيكل هيرود) لا تتجاوز المربع كل ضلع من أضلاعه (182م) تقع في الزاوية الجنوبية الغربية من منطقة المسجد الأقصى (المنصة) الحالية، وفي السنوات الأخيرة تزداد الخلافات بين العلماء في تحديد موقع المعبد، فهناك أكثر من ثلاثة آراء لثلاثة مواقع مفترضة وكل منها يقدم مجموعة كبيرة من الوثائق والبيانات لدعم وجهة نظره بخصوص الموقع⁽³⁾.

(1) سترينج، الملك هيرود، ص158-159.

John Wilkinson, Ancient Jerusalem its water supply and population, Palestine Exploration Quarterly, vol. 106 (1974), pp.33-51. (2)

Haitham F. Al-Ratout, The Architectural Development of Al Aqsa Mosque in the Early Islamic Period: Sacred Architecture in the Shape of the 'Holy', (UK., Al-Maktoum Institute Academic Press, 2004). pp.99-106. (3)

وتشير الدراسات أن بداية العمل في الهيكل كانت بين عامي 20 و 19 ق.م، ولكن هيرود توفني

قبل تنفيذ التصاميم الكاملة للبناء، ولم ينتهي من البناء إلا في عام 64م .

وفي عام 66م ثار اليهود على حكم الرومان في عهد الإمبراطور نيرون، واستطاع القائد الروماني

تيتوس (Titus) إخماد هذه الثورة عام 70 م فدخل بيت المقدس بعد حصار شديد وأعمل القتل

والنهب والحرق ودمر المعبد الذي بناه هيرود وسواه بالأرض، والشيء الوحيد الذي أبقاه كان السور الغربي

من أجل توفير الحماية للفيلق العاشر الذي أبقاه كحامية للمدينة، والأبراج الثلاثة شمال القصر: فصايل،

ومريامة وهيبيكوس⁽¹⁾. وبنى في روما قوساً تخليداً لذلك الانتصار، ولا يزال هذا القوس قائماً إلى الآن عليه

نقوش تصور نقل مقتنيات المعبد إلى روما، ويظهر منها جلياً الأبواق والشمعدان ذي الرؤوس السبعة.

(شكل 1. 8).



شكل 1. 8: نقش على قوس النصر الذي بناه تيتوس (Titus) بعد تدمير مدينة بيت المقدس والهيكل.

المصدر: <http://en.wikipedia.org/wiki/Titus>

(1) ولكنسون، القدس تحت حكم روما وبيزنطة، ص 104.

أمضى اليهود حوالي 60 عاماً يستجمعون قوتهم بعد تدمير تيتس للمدينة، وفي عام 132 أعلنوا ثورة أخرى على الرومان بقيادة باركوكبا (Bar Kokhba) فأرسل الإمبراطور الروماني هادريان (Hadrian) جيشاً كبيراً استطاع إخماد الثورة عام 135م، فهزم اليهود وهربوا إلى منطقة بتيير، ودمر أورشليم وحرث موقعها الذي كانت قائمة عليه، وقتل وسبى عدداً كبيراً منهم، ثم منعهم من دخول بيت المقدس أو السكن فيها، بل والدنو منها، وأقام فوق خرائب أورشليم مدينة جديدة سماها إيليا كايبتولينا (Aelia Capitolina) على الاسم الأول لهادريان وقد عرفت بعد ذلك باسم "إيلياء"⁽¹⁾

من ناحية معمارية، صارت إيليا مدينة جديدة، فبعد أن حرثت بالمحراث حسب الطقوس الرومانية في إنشاء المستوطنات الجديدة، لم يقيم هادريان ببناء أسوار جديدة للمدينة، بل أقام سلسلة من الأقواس التذكارية كان أحدها في الموقع الذي يشغله الآن باب العمود المعروف بالمصادر الغربية (Damascus Gate)، وآخر على بعد 350 م شمال قوس باب العمود اكتشف عام 1964م، وكذلك قوس "انظرو الرجل/ هاهو الرجل" (Eco Homo)⁽²⁾.

وكان باب الدخول الرئيسي للمدينة شمالي إيليا يؤدي إلى ميدان أقيم فيه عمود على رأسه تمثال الإمبراطور، وكان الشارعان الرئيسان في إيليا يخرجان من الميدان، وسمي كل منها بالكاردو (المفصل = Cardo)، أحدهما يسير بجذاء الشارع المسمى اليوم (طريق الواد)، أما الثاني فيسمى المفصل الكبير (Cordo Maximus)، كما أنشأ هادريان مجموعة من الشوارع تعتبر بصفة عامة أساس الطرقات الموجودة في المدينة اليوم، وأقام فيها عدداً من المعابد الوثنية المكرسة لآلهة رومانية مثل جوبيتر وأفروديت، ونصب تماثلان على منصة هادريان أحدهما لهادريان نفسه والآخر لخليفته، وهكذا أصبحت إيليا مدينة

(1) محسن صالح، الطريق إلى القدس، ص39.

(2) رائف يوسف نجم، الحفريات الأثرية في القدس، (عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 2009)، ص33.

وثنية أهمية تماماً، يتعذر التمييز بينها وبين أي مستوطنة استعمارية رومانية أخرى، أما السور، ففي عام 289م، رحل الفيلق العاشر من الجيش الروماني الذي كان يحمي المدينة، فبنى الرومان سوراً جديداً للمدينة⁽¹⁾. (شكل 1.9)



شكل 1.9: إيليا كاييتولينا (135-326م). المصدر: أرمسترونج، القدس، ص276.

- تحت الحكم البيزنطي (325-638م)

(1) انظر: أرمسترونج، القدس، ص278-279؛ ولكنسون، القدس تحت حكم روما وبيزنطة، ص95-128، Kenyon, Jerusalem, pp.187-193.

كان اعتلاء الإمبراطور قسطنطين الكبير (Constantine The Great) عرش الإمبراطورية الرومانية عام 306م، إيداناً بمرحلة جديدة في تاريخ العالم وبيت المقدس، ففي عهده تم الاعتراف بالمسيحية في المرسوم الشهير بمرسوم ميلان (Edict of Milan) الصادر عام 313م⁽¹⁾، وكان من نتائج هذا القرار على بيت المقدس أن تدخل مرحلة جديدة اقتضت التخلص من الرموز الوثنية ليحل محلها موجة من التنصير في الثقافة والعمران.

وقد انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: شرقي وغربي، وذلك بعد موت الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (Theodosius I) في 395م، فتكونت الإمبراطورية الرومانية الشرقية (الدولة البيزنطية) وعاصمتها القسطنطينية، والإمبراطورية الرومانية الغربية، وعاصمتها روما، وما لبثت الإمبراطورية الغربية أن سقطت عام 476م، لكن الإمبراطورية الشرقية (الدولة البيزنطية) حافظت على وجودها وهيمنتها على فلسطين حتى جاء الفتح الإسلامي (16 هـ / 637م)⁽²⁾.

كانت أولى حركات العمران وأهمها في سياق التنصير ما قامت به الملكة هيلانة (Helena of Constantinople) والدة الإمبراطور قسطنطين، عندما زارت بيت المقدس وبنّت كنيسة القيامة (Church of Holy Sepulchre) عام 326م والتي تعد من أعظم الكنائس مكانة في العالم.⁽³⁾ وقد حولت مكان الهيكل الهيروودي المدمر إلى مكان للنفايات والقمامة.

وقد شهدت إيلياء (بيت المقدس) خلال تلك الفترة حركة عمرانية ارتبطت بعلاقة السيد المسيح وأتباعه بالمدينة، وما لاقوه من عنت وتعذيب من الرومان واليهود، وانتهاءً بصلبه وقاتله حسب المعتقد المسيحي، كما شرع المسيحيون في وضع الأساطير حول كل ما يتعلق بتلك الفترة مما أكسب المدينة قيمة

(1) علي عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، (إربد، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، 1991)، ص205-211.

(2) عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، ص205-211.

(3) Kenyon, Jerusalem, p.191.

وأهمية روحية، وأضحى الحجاج يفدون إلى المدينة من جميع أرجاء ونواحي الإمبراطورية، تبع ذلك إنشاء العديد من الكنائس والأديرة داخل المدينة وحوّلها بدعم من الأباطرة والأمراء. وشهد القرن التالي استمراراً للبناء وخصوصاً في منتصف القرن الخامس الميلادي اثناء حكم الإمبراطورة أودوكيا (Eudokia) لفلسطين، حيث تم بناء كثير من المواقع المسيحية بعد أن تم نفيها إلى بيت المقدس، وكانت تحب المدينة فأنفقت الكثير من الأموال في حركة الإعمار تلك، وكان الإمبراطور جستنيان الأول (Justinian I) (483 - 565م) آخر ملك يبني كنيسة في بيت المقدس، وهي كنيسة العذراء الجديدة⁽¹⁾، كما بنى مستشفى آخر في المدينة.

واتسعت حدود مدينة بيت المقدس إلى الجنوب من حدود إيلياء (في العصر الروماني)، وتم بناء سور ليحيط بالمنطقة المضافة، وقد عثر في تلك المنطقة على العديد من المباني التي تعود لتلك الفترة وأغلبها مبان خاصة⁽²⁾.

(1) ولكنسون، القدس تحت حكم روما وبيزنطة، ص 95-128.

(2) وزيري، التطور العمراني، ص 38.



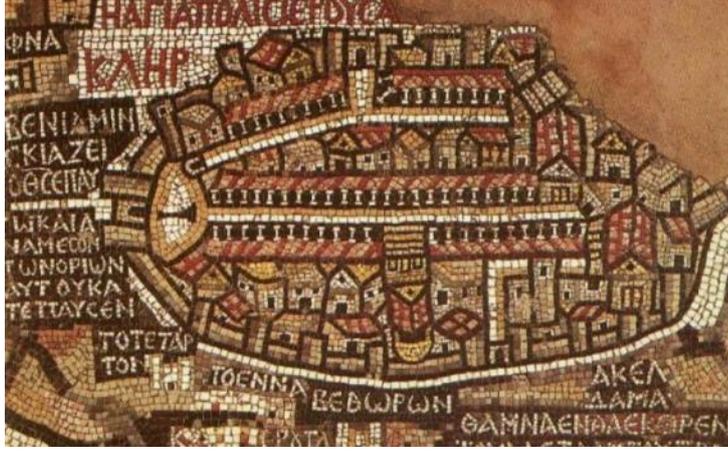
شكل 1. 10: أورشليم العهد البيزنطي وتظهر التوسعة الجنوبية جنوب سور إيليا كابتولينا العصر الروماني.

المصدر: : أرمسترونج، القدس، ص 334.

ومن أهم الوثائق عن عمران بيت المقدس في العهد البيزنطي، هي خريطة مادبا الفسيفسائية، التي

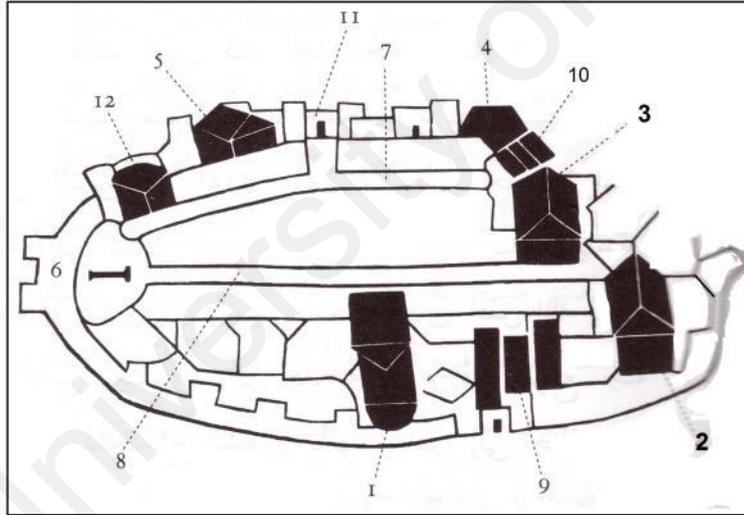
عثر عليها في أرضية كنيسة بيزنطية في مدينة مادبا في الأردن عام 1897م، وقد وضعت هذه الخريطة

حوالي عام 575م أي أواخر العهد البيزنطي بالنسبة للقدس⁽¹⁾، ويظهر في منتصفها خريطة بيت المقدس بين مواقع أخرى من فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ومصر⁽²⁾. (شكل 1. 11)



شكل 1. 11: قطعة من خريطة مادبا يظهر فيها مدينة القدس

المصدر: <http://www.christusrex.org/www1/ofm/mad/sections/section11.html>



شكل 1. 12: نسخة عن خريطة مادبا تظهر تفاصيل من عمران بيت المقدس في العهد البيزنطي، ومنها: (1) مباني الجلجثة (2) باسليكا صهيون المقدسة (3) كنيسة نيا (4) كنيسة الحكمة (5) بيت حسدا (6) باب العامود (7) كاركو (8) كاركو ماكسيموس (9) قباب هيروود وباب يافا (10) (11) باب استيفانس (ستنا مريم).

(1) استمرت الإمبراطورية البيزنطية حتى سقطت على يد العثمانيين في 1453م.

C. Raymond Beazley, Madaba Map, The Geographical Journal, Vol. 17, No. 5 (May, (2) 1901), pp. 516-520

وعند اقتطاع خريطة بيت المقدس من الخريطة الكلية (شكل 1. 12) يمكن الملاحظة بأن الجزء العلوي من الخريطة يشير إلى جهة الشرق، وقد دارت حول المدينة الأسوار في شكل بيضاوي تنقصه الزاوية اليسرى من الأعلى (في الواقع: الزاوية الجنوبية الشرقية)، ويظهر فيها الكنائس والبوابات والشارعان الرئيسان: الكاردو، والكاردو الأكبر بأعمدهما الشهيرة، وهي تظهر بجلاء أن منطقة المسجد الأقصى خارج حدود المدينة البيزنطية.

بعد العرض السابق للتطور العمراني للمدينة بدءاً من النشأة وحتى نهايات العصر البيزنطي، نلاحظ جلياً الظروف والسياقات التاريخية التي شكلت المدينة وتكوينها العمراني والمعماري في إطار من القداسة والتبجيل في غالبية حقبةما التاريخية، وتم استجلاء بوضوح الحقبة الأخيرة من تاريخ المدينة كمدينة مسيحية مقدسة تحتل مركزاً روحياً عالياً لدى عدد كبير من المؤمنين النصارى الذين كانت تساندهم أعظم إمبراطورية آنذاك، الأمر الذي انعكس على المدينة من خلال نهضة عمرانية مليئة بالكنائس والمنشآت الدينية التي حملت أسلوب وروح بيزنطية في مدينة عربية مشرقية.

الفصل الثاني

التغيرات السياسية والاجتماعية وأثرها على عمران بيت المقدس في صدر الإسلام

المبحث الأول: الفتح الإسلامي للمدينة.

المبحث الثاني: التغيرات السياسية والاجتماعية وأثرها على العمران في العهد الراشدي.

المبحث الثالث: التغيرات السياسية وأثرها على العمران في العهد الأموي.

المبحث الأول

الفتح الإسلامي للمدينة

يتضح من دراسة تاريخ مدينة بيت المقدس في الفصل السابق، وبالتحديد في حقبتها البيزنطية الأخيرة، مدى المكانة الدينية والمعنوية التي حازتها المدينة، كمدينة مسيحية مقدسة تحتل مركزاً روحياً سامياً لدى عدد كبير من المؤمنين النصارى، الذين كانت تساندهم إحدى أعظم إمبراطوريتين آنذاك، وهي الإمبراطورية البيزنطية، وهو الأمر الذي سيكون له شأنه في أحداث حركة الفتح الإسلامي، وما تلى ذلك من تفاعلات، على المستويات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والعمرانية.

في هذا المبحث، سيتناول الباحث أحداث الفتح الإسلامي، والسياق التاريخي له، بعيداً عن الغوص في تحليل الروايات التاريخية ونقدها، إلا بما يخدم موضوع دراستنا، بل سيركز على أهمية الحدث من الناحية السياسية والثقافية والعمرانية، والتي ستنعكس على المدينة عمرانياً كما سيتبين ذلك بالدراسة والتحليل في المبحث الثاني من هذا الفصل.

- مكانة بيت المقدس في نفوس العرب والمسلمين قبل الفتح.

يأتي تفاعل حركة الفتح الإسلامي مع بيت المقدس، في مراحل مبكرة من تاريخ الإسلام كدين، أي قبل أن يشكل دولة ذات سيادة تمارس الفتح واقعاً على الأرض، ولم يكن من الصعب على المسلمين أن يتفاعلوا مع بيت المقدس في طورهم التكويني الأول، إذ كان للمدينة حضور وصلته وجدانية مع الأجيال العربية على امتداد عصور وجودها، كما كشفت عنها وحددتها الروايات الدينية المكتوبة في العهدين القديم والجديد، أو كما تناقلتها الروايات الشعبية الشفوية التي آلت إلينا جيلاً بعد جيل، إذ ارتكزت هذه الصلة الوجدانية على ركيزتين أساسيتين:

الركيزة الأولى: التراث الديني والروحي الذي خلفه نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، عبر عقيدة التوحيد التي لاقت قبولاً وانتشاراً واسعاً بين العرب، من خلال أبيهم إسماعيل عليه السلام، فأورثهم تلك العقيدة التي اصطلح الرواة على تسميتها بدين إبراهيم، والتي كان من أبرز معالمها نشوء الارتباط الديني بين إبراهيم عليه السلام وبيت المقدس، التي أضيفت لها صفة القداسة عندما قدمها مهاجراً من بلاد الرافدين في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، حتى أضحت محور القداسة حين اختار الله له أن يستقر بها ويقوم على أرضها ويدفن فيها.

الركيزة الثانية: المسيحية التي بشر بها السيد المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام منطلقاً من بيت المقدس لتنتشر رسالته في بلاد الشام والجزيرة العربية، إذ استمالت رسالته أفئدة قطاعات متعددة وواسعة من أبناء القبائل العربية في مختلف مواطنها في الشام والجزيرة، فقد اعتنق المسيحية ثلثة من سادة القبائل ورؤساء البطون والأفخاذ، فضلاً عن عدد كبير من الوجهاء والأشراف والنخب المجتمعية التي كان على رأسها الخطباء والشعراء⁽¹⁾.

إذن، لم تكن الصلات الوجدانية بين المسلمين في عصرهم الأول وبيت المقدس بالأمر الجديد عليهم، وهم الذين يؤمنون بنبوة الأنبياء السابقين، وعزز من ذلك بصورة كبيرة الإشارات والدلالات الصريحة التي تزيد من قداسة المدينة وأهميتها في الإسلام والتي كان منها رحلة الإسراء والمعراج بالنبي محمد ﷺ التي حدثت قبل الهجرة النبوية بعام⁽²⁾ أو ستة عشر شهراً⁽³⁾، مما يوافق العام (621م)، وكانت بيت المقدس ومسجدها الأقصى محطة رئيسة فيها، إذ دلت روايات السيرة على أن النبي ﷺ قد أسري به من

(1) انظر بتوسع: خليل عثمانة، القدس والإسلام دراسة في قداستها من المنظور الإسلامي، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 2013) ص5-12.

(2) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهلي، الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2000)، ج3، ص259.

(3) محمد بن إسحاق بن يسار المظلي بالولاء، المدني، سيرة ابن إسحق كتاب السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1978م)، ص297.

المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى بإيلياء (بيت المقدس)، حيث ربط دابته البراق عند الباب وصلى في قبلته، ومن المسجد الأقصى عرج إلى السماء ثم عاد إليه فصلى بالأنبياء ثم رجع إلى مكة على البراق مرة أخرى، وفي الحادثة تفاصيل كثيرة وروايات عديدة انتشرت في كتب التفسير والسير⁽¹⁾، وبهنا منها في دراستنا هذه، فضلاً عن الجوانب العمرانية التي تضمنتها الحادثة، الدلالة المباشرة على مكانة مسجد بيت المقدس في الإسلام وارتباطه ارتباطاً وثيقاً بالمسجد الحرام، والتي كان أبرز مظاهرها ما جاء ذكرها في القرآن الكريم وربطها بالبركة والقداسة وذلك في مطلع سورة الإسراء، في قوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"⁽²⁾.

وكان مسجد بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى سواء وهم في مكة أو المدينة المنورة، وقد قارب ذلك على العام والنصف، فروى ابن عباس رضي الله عنه أنه "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَ مَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ"⁽³⁾.

ولم يؤثر تحويل القبلة إلى مكة في تقليل شأن بيت المقدس⁽⁴⁾، إذ استمرت مكانتها تتعزز بين

المسلمين طيلة حياة النبي ﷺ وارتباطهم بها كمدينة مقدسة تزداد قوة ومكانة، وقد تعددت الشواهد على

(1) ابن إسحاق، سيرة، ص296؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، (دمشق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م)، ج17، ص350-352؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م)، ج5، ص42-44.

(2) سورة الإسراء : آية 1.

(3) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (دمشق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001)، ج5، ص136؛ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الكبير "سنن الترمذي"، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998)، ج5، ص57.

(4) يقدم ابن قيم الجوزية تفسيراً منطقياً لبقاء تعظيم شأن بيت المقدس، "وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا وَلَمْ يَأْمُرْ بِشَيْءٍ ثُمَّ ابْطَلَهُ وَأَعْدَمَهُ بِالْكَؤُوبَةِ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُبْتِئَهُ بِوَجْهِ مَا لِأَنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَهُ لِحِكْمَةٍ لَهُ فِي خَلْقِهِ وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ بِهِ وَشَرَعَهُ إِتْيَاهُ هُوَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ... فَمَنْ ذَلِكَ نَسَخَ الْقِبْلَةَ وَبَقِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ مُعْظَمًا مُحْتَرَمًا تَشَدُّ إِلَيْهِ الرِّجَالُ وَيَقْصِدُ بِالسَّفَرِ إِلَيْهِ وَحَطَّ الْأَوْزَارَ عِنْدَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْجِهَاتِ فِي السَّفَرِ فَلَمْ يَبْطُلْ تَعْظِيمُهُ وَاحْتِرَامُهُ بِالْكَؤُوبَةِ وَإِنْ بَطُلَ حُصُوصَ اسْتِقْبَالِهِ بِالصَّلَاةِ فَالْقَصْدُ إِلَيْهِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ بَاقِي وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَشْرِيفِهِ بِالصَّلَاةِ فِيهِ وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِ قَصْدًا لِفَضِيلَتِهِ وَشَرَعَهُ لَهُ نِسْبَةٌ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ بِالاسْتِقْبَالِ بِالصَّلَاةِ فَتَقَدَّمَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ عَلَيْهِ فِي الْاسْتِقْبَالِ لِأَنَّ مَصْلَحَتَهُ أَعْظَمُ

ذلك؛ ففي حفر الخندق (5هـ/627م) يبشر النبي ﷺ المسلمين بفتح الشام قاطبة⁽¹⁾، وفي غزوة تبوك عام (9هـ/630م) يبشرهم النبي ﷺ بفتح بيت المقدس وأنها من علامات الساعة القادمة لا محالة، ففي الحديث يقول النبي ﷺ لعوف بن مالك: "اعُدُّ يَا عَوْفُ، اعدد سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ"⁽²⁾. كما أن النبي بشر الصحابي شداد بن أوس بفتح بيت المقدس، حين قال له: "أَلَا أَنْ الشَّامَ سَتَفْتَحُ، وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ سَيَفْتَحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَتَكُونُ أَنْتَ وَوَلَدُكَ مِنْ بَعْدِكَ أُمَّةً بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى"⁽³⁾، وقد شهد شداد فتح الشام وبيت المقدس وسكنها، حتى توفي ودفن فيها عام (58هـ/677م)، وبقي عقبه في المدينة.

وفي مواقف أخرى، يخبر النبي ﷺ صحابته بعظيم مكانة المسجد الأقصى كثنائي بيت وضع في الأرض، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَتَيْنَا أَدْرَكْتِكَ الصَّلَاةُ بَعْدَ فَصْلِهِ، فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ»⁽⁴⁾، وفي حديث آخر يجعله النبي ضمن الثلاثة

وأكمل وبقي قصده وشد الرحال إليه والصلاة فيه منشأ للمصلحة تمت للأمة المحمدية المصلحتان المتعلقتان بهذين البيتين وهذا بحاية ما يكون من اللطف وتخصيص المصالح وتكميلها". محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (بيروت، دار الكتب العلمية) ج2، ص32-33.

(1) أحمد بن حنبل، المسند، ج30، ص626.

(2) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه "صحيح البخاري"، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت، دار طوق النجاة، ط1، 2001)، ج4، ص101؛ ابن حنبل، المسند، ج39، ص411. وقام الحديث: عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَقَالَ: "اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَفَعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِيفَاةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَطْلُ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَنْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تُكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّ الْأَصْفَرِ، فَيَعْدُرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا". (لفظ البخاري).

(3) مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص244.

(4) البخاري، صحيح، ج4، ص145؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ "صحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث، ط2، 1972)، ج1، ص370.

مساجد الأكثر تعظيماً في الإسلام في قوله : "لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى" (1).

إضافة إلى ما سبق، فقد دلت الأحاديث والوثائق (2)، أن أرض الخليل كانت أول وقف إسلامي ليس في بيت المقدس فحسب، بل في تاريخ الإسلام، فهي تشير أن النبي ﷺ أوقف جزءاً من بيت المقدس للصحابي تميم بن أوس الداري وإخوته وأعقابهم إلى يوم القيامة (3)، وبالفعل ومنذ الفتح الإسلامي للمدينة تعاقب خلفاء المسلمين على تأييد هذا الوقف وإقراره وتنفيذه (4). وهذا التصرف من النبي ﷺ، إنما يدل على أنه كان عازماً على فتح بيت المقدس، ويبدل كل جهد ممكن في سبيل ذلك، وفيه حث للمسلمين على إنفاذ فتح فلسطين وبيت المقدس، وإعطاء الوقف لتميم ﷺ.

ويمكن للباحث أن يلحظ الأثر المباشر لمكانة المدينة عند الصحابة والمسلمين في سلوك الفاتحين وشوقهم إلى فتح بيت المقدس بعد وفاة النبي ﷺ، ولعل رسالة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق (ت: 13 هـ/ 634م) إلى خالد بن الوليد وهو في العراق يستحثه على اللحاق بجيش الفتح في الشام، تبين ذلك، إذ يقول له: "أن أعجل إلى إخوانكم بالشام، فوالله لقرية من قرى أرض القدس يفتتحها الله تعالى أحب إلي من رستاق (5) عظيم من رساتيق العراق" (6).

(1) البخاري، صحيح، ج2، ص61؛ مسلم، صحيح، ج2، ص1014؛ ابن حنبل، المسند، ج12، ص116.

(2) انظر ملحق رقم (1).

(3) علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، (دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م)، ج11، ص64-66.

(4) عبد الفتاح العويسي (المقدسي)، تقديم بيت المقدس، سلسلة دراسات بيت المقدس (5)، (القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2006م)، ص56.

(5) الرستاق: لفظ فارسي معناه القرية، دخل العربية في العصر الإسلامي ليصبح بمعنى الموضع المشتمل على مزارع وقرى كثيرة، يلفظ أحياناً رزداق. انظر: مصطفى عبد الكريم خطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996م)، ص210.

(6) أبو المعالي المشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسي، فضائل بيت المقدس، تحقيق: أيمن نصر الدين الأزهرى، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002)، ص67.

ويرى الباحث أن مجموعة كبيرة من الآثار والأحاديث المنسوبة للنبي ﷺ والصحابة، وما يمكن تسميته "أدب فضائل بيت المقدس" أخذ بالنمو والتكاثر في القرون التالية⁽¹⁾، وليس من الصعب التأكد، بتتبع مصادرها وفحصها، بأن معظمها من الأحاديث الموضوعة والواهية أو الإسرائيلية، وهي رغم كثرتها، لا تمتلك قيمة دينية أو تاريخية، إذ في كتب السنة الموثوقة من الأحاديث ما يدل على تلك المكانة بصورة منطقية، ومؤخراً، في (2013م) أصدر الباحث أحمد بن سليمان بن أيوب ومجموعة من طلبة العلم "موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية"⁽²⁾ جمعوا فيها تلك الأحاديث والآثار، وقاموا بتخريجها والحكم عليها، فكانت النتائج تؤكد ما ذكر من ضعف الجزء الأكبر منها⁽³⁾.

وخلاصة القول؛ إن المسلمين قد فتحوا بيت المقدس ودخلوها بقلوبهم وأرواحهم قبل أن يتحركوا بأجسامهم وخيولهم نحوها، في حركة الفتوح التي توجهت إليها في مطلع العصر الراشدي.

- أحداث الفتح.

وعن إجراءات ومراحل وأحداث فتح بيت المقدس، فإنه يمكن القول بأنها كانت متميزة عن غيرها من فتوح مدن الشام، وتعدد روايات الفتح وتختلف باختلاف رواها وخلفياتهم السياسية والدينية، وهذا مؤشر على المركز الخاص الذي تحتله المدينة.

(1) من أمثالها: الضياء المقدسي، فضائل بيت المقدس، تحقيق: مجد مطيع الحافظ، (دمشق، دار الفكر، 1988م)، ص 39-96؛ شهاب الدين أبي محمود ابن تميم المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، (بيروت، دار الجيل، ط1، 1994م)، ص 65-105؛ ابن المرجى، فضائل؛ مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص 226-240.

(2) أحمد بن سليمان بن أيوب، وآخرون، موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية، (قبرص، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، ط1، 2013).

(3) لم يقدم الباحثون إحصائيات بأعداد الصحيح وغير الصحيح من تلك الأحاديث، والنتيجة المذكورة من اطلاع الباحث على الكتاب وأحكام الباحثين في الحواشي.

وبعيداً عن تفاصيل حركة فتوح بلاد الشام، التي جاء فتح بيت المقدس كنتيجة لها، فإنه يمكن إجمالها بأن البدايات الفعلية لفتح الشام انطلقت منذ عهد النبي ﷺ بإرسال رسالته إلى قيصر الروم (الإمبراطور البيزنطي) هرقل (Heraclius) عام (7هـ/ 628م) عندما كان هرقل نازلاً في إيلياء (بيت المقدس)⁽¹⁾ شكراً لله على نصره في معركته مع الفرس⁽²⁾. وومن البدايات كذلك، المعارك والفتوحات؛ كغزوة مؤتة التي وقعت معركتها في شرق نهر الأردن، ثم غزوة تبوك التي قادها الرسول ﷺ بنفسه، عام (9هـ/630م)، ووطدت سلطة المسلمين في تلك المناطق، وصالحه أهل أيلة (على خليج العقبة) وأذرح وتيماء وجرباء⁽³⁾ على أداء الجزية⁽⁴⁾.

وبعد تولى أبو بكر الخلافة، وتحديدًا في العام (12هـ/ 633م)، عقد الألوية، وجهاز الجيوش، وأرسلها لفتح الشام، وقد حققت هذه الجيوش انتصارات متتالية، وفتوحات متتابعة، فبدأت مدن الشام بالسقوط في يد المسلمين في مقابل انحسار السيطرة البيزنطية، وكان أبرز تلك الانتصارات في معركة أجنادين عام (13هـ/634م)، على أرض فلسطين. وفي العام نفسه، توفي أبو بكر الصديق وتولى بعده الخلافة عمر بن الخطاب، الذي استمرت في عهده حركة الفتوح.

وقد استشعر البيزنطيون قوة تيار الفتح الإسلامي المندفع نحو بلاد الشام، وأدركوا خطورة سقوط مدينة بيت المقدس، فأرسلوا إليها جيشاً يساند حاميتها، وجيشاً آخر إلى قيسارية لأهميتهما الإستراتيجية

(1) البخاري، صحيح، ج1، ص8.

(2) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، (دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط1، 1988 م)، ج4، ص381.

(3) بلدات في الجهة الشمالية من بلاد الشام.

(4) محمد بن عمر بن واقد السهمي "الواقدي"، كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس (بيروت، دار الأعلمي، ط3، 1989م)، ج3، 1031؛ عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية "سيرة ابن هشام"، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1955 م)، ج2، ص525.

كمركز ديني وميناء بحري وقاعدة إمداد⁽¹⁾، كما أن العديد من فلول الفرق والمجموعات العسكرية البيزنطية التي هزمت في معركة أجنادين (13هـ/634م) قد فرت إلى ذات المدينتين، وغيرها من مدن الشام العظيمة⁽²⁾، في المقابل، فرض المسلمون حصاراً عسكرياً على مدينة إيلياء (بيت المقدس)، تعاقب عليه عدد من قادة الفتح منذ العام (13هـ/634م) حتى فتحها عام (16هـ/637م)⁽³⁾.

وهذا الزمن الطويل من جولات الحصار يدل على ما تمتعت به المدينة من حصانة ومنعة أهلتها للصوص هذه المدة في وجه حصار قوات الفتح، وكان انتصار المسلمين الكبير في معركة اليرموك (13هـ/633م) قد فتح الباب أمامهم للانطلاق نحوها بشكل قوي وحاسم، إذ تولى عمرو بن العاص فتح العديد من المدن في فلسطين ففتح سبسطية ونابلس، ثم اللد ونواحيها، ثم بينى وعمواس وبيت جبرين، ورفح، وحاصر بيت المقدس⁽⁴⁾.

وعلى الجانب الآخر من قيادة الفتح الإسلامي، كان قائد جيوش المسلمين في الشام، أبو عبيدة عامر بن الجراح، يعي خصوصية بيت المقدس وصعوبة فتحها، فباشر بإرسال أمراء جنده إلى بيت المقدس حتى بلغوا سبعة جيوش، قوام كل جيش خمسة آلاف، قد سُيِّرت إلى المدينة تباعاً في سبعة أيام، فأحاطوا بها ثم دعوا أهلها إلى الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب، فرفض البيزنطيون وقيادة المدينة الدخول في الإسلام أو الصلح، مستهزئين بجيش الفتح رغم توالي قدوم كتائبه وتنامي عدده، فضرب المسلمون الحصار على المدينة الذي استمر أربعة أشهر، دارت خلالها المعارك التي أرهقت الطرفين، وزاد من معاناة المسلمين ما أصابهم من البرد والثلج والأمطار، لكنهم كانوا مصممين على الاستمرار فيما ابتدؤوه، فاستبسوا في

(1) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، فتوح الشام، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م)، ج1، ص148.

(2) سليمان بن موسى الحميري، أبو الربيع، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - ﷺ - والثلاثة الخلفاء، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م)، ج2، ص204.

(3) عفامنة، القدس والإسلام، ص13.

(4) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، فتوح البلدان، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988م)، ص140.

معاركهم حتى أيقن قادة المدينة وبطركها صفرونيوس (Sophronius) أن المسلمين غير منفيكين عنهم، فتنازلوا وطلبوا الصلح بشرط أن يقدم على المدينة خليفة المسلمين عمر بن الخطاب بنفسه ليعطيهم عهد الصلح، فلما تأكد أبو عبيدة من صدق توجههم ورجبتهم في الصلح، وأنهم لن يخذلوه عند قدوم الخليفة إليهم، أرسل إلى الخليفة يعرض عليه الأمر ويوصيه ويرغبه بالقدوم، إذ في ذلك حقن لدماء المسلمين. وفي المدينة المنورة، شاور الخليفة أصحابه حتى استقر رأيه على تلبية دعوة أبي عبيدة، وأعلن ذلك أمام جميع المسلمين في المدينة طالباً ممن يرغب بمرافقته التأهب والتجهز، ثم انطلق صوب وجهته في جمع من أصحابه والمسلمين، وسار بهم إلى الشام، بعد أن استخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁽¹⁾، وفي الشام، نزل بالجابية⁽²⁾، وهناك رتب أمور بلاد الشام وأحوالها، ومنها ذهب إلى بيت المقدس، وأنفذ الصلح مع سكانها، وكتب لهم به عهداً، ودخل المدينة فاتحاً⁽³⁾.

وتشير رواية أخرى، أن عمر بن الخطاب إنما قدم إلى الجابية في العام (16هـ/637م)، بناءً على رغبة أمراء الجند ليقسم الفيء والغنائم، ويرتب أحوال بلاد الشام، وهناك جند الأجناد ومصر الأمصار، وفرض أعطيات الرزق وأجور العاملين⁽⁴⁾، وفي أحد روايات الطبري (ت: 310هـ/922م) أن سبب قدوم عمر بن الخطاب إلى الجابية كان بناء على طلب من عمرو بن العاص كمدد ونجدة عسكرية، إذ أتعبه قتال بيت المقدس والرملة، فخرج إليه عمر بن الخطاب في جمع من المسلمين، وقد كاتب أمراء الأجناد أن يوافوه في الجابية، وبينما هو هناك قدم وفد من أهل بيت المقدس يطلب من عمر أن يصالحهم على إعطاء الجزية

(1) الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص219-227؛ ابن المرجي، فضائل بيت المقدس، ص57-72.

(2) الجابية: قرية من أعمال دمشق، من ناحية الجولان، ولها ينسب أحد أبواب دمشق: "باب الجابية"، واشتهرت بنزول عمر بن الخطاب فيها، وتسمى جابية الجولان كذلك. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ط2، 1995م)، ج2، ص91.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص140؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح المعروف باليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، (بيروت، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 2001) ج2، ص36-37.

(4) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج2، ص167-169.

مقابل عهد أعطاهم إياه⁽¹⁾، وبناءً عليه فتحت له المدينة ودخلها في حشد كبير من الصحابة والتابعين، قدرته بعض المصادر بأربعة آلاف⁽²⁾.

ويذهب كل من المؤرخ عبد العزيز الدوري (ت:2010م) وخليل عثمانة أن اشتراط حضور الخليفة ليس بالأمر المنطقي في ظل المعطيات الميدانية، سواء العسكرية أو السياسية، إذ كانت المدينة محاصرة وتحيط بها القوات الإسلامية، وكانت الهزائم تتوالى على الدولة البيزنطية وتغيب شمسها من بلاد الشام⁽³⁾.

وبغض النظر عن هذا الخلاف في سبب قدوم عمر إلى الجابية، ما يهمنا هنا تقرير حقيقة أن المدينة قد فتحت على يد رأس الهرم في الدولة الإسلامية الخليفة عمر بن الخطاب، وهذه خصيصة تفردت بها مدينة بيت المقدس عن سائر المدن التي افتتحت في ذلك العهد، وهي دلالة على علو مكانة المدينة وأهميتها التي حافظ عليها المسلمون.

أما الروايات التي تتحدث عن لقاء أحد أبحار اليهود وعلمائهم بعمر بن الخطاب في الجابية أو غيرها، وحثه على فتح بيت المقدس أو التنبؤ بأنه سيكون فاتح المدينة⁽⁴⁾، أو تلك الروايات التي تتحدث عن استعانته بكعب الأبحار، اليهودي الذي أسلم عام فتح بيت المقدس⁽⁵⁾، في تحديد مكان المسجد الذي سيقممه، أو الصخرة، واستشارته في مكان إقامة المسجد الأول للمدينة بعد الفتح⁽⁶⁾، فيمكن نفيها

(1) مُجَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تاريخ الرسل والملوك "تاريخ الطبري"، (بيروت، دار التراث، ط2، 1387هـ)، ج3، ص607-609.

(2) ابن المرجى، فضائل بيت المقدس، ص63.

(3) ينظر: عبد العزيز الدوري، القدس في الفترة الإسلامية الأولى من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر، ضمن: القدس في التاريخ، ترجمة كامل العسلي، (عمان، الجامعة الأردنية، 1992)، ص132؛ عثمانة، القدس والإسلام، ص13.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص607-608.

(5) الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص235.

(6) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م)، ج7، ص68.

بسهولة بعد تقرير حقيقة أن إيلياء (بيت المقدس) لم تكن مجهولة بالنسبة لعرب الجزيرة الفاتحين، فهي أحد وجهاتهم في رحلتي الشتاء والصيف المذكورة في القرآن، وكذلك حين أرادوا أن يجتبروا صدق ادعاء النبي ﷺ، بأنه أسري به إلى المسجد الأقصى، طلبوا منه وصفه لهم، لأن صورته منطبعة في أذهانهم مسبقاً⁽¹⁾، فهم ليسوا بحاجة لشخصية تخرج فجأة بين النصوص والروايات لتفحم نفسها في دائرة أحداث الفتح ومجرياتة.

إذن، فهي روايات لا تعدو أن تكون من الأدبيات الطارئة والمتأثرة بالإسرائيليات، التي تهدف لخلق دور لليهود في فتح بيت المقدس، وتحاول ربطهم بالمكان الذي لم يكونوا جزءاً منه إلا فترة قصيرة عابرة.

وتوجت أحداث الفتح، بما اتفقت عليه المصادر الإسلامية والمسيحية، من عهد أعطاه عمر بن الخطاب لأهل إيلياء، يؤمنهم فيه على دمائهم وأموالهم وكنائسهم بحيث لا تسكن ولا تهدم⁽²⁾، "ولا ينتقص منها ولا من حيزها"⁽³⁾. وفي هذه العهدة، وما جاء فيها، من التعهد بحفظ الكنائس ومحيطها ومرافقها وعدم التدخل فيها، إشارة صريحة وواضحة على الحالة العمرانية التي سيستلم فيها الفاتحون المدينة، فهي تحفظ للسابقين مبانيهم وعمائرهم، وتحفظ للمدينة هويتها وخصائصها، مما يجعل الفتح الإسلامي لها فتحاً مختلفاً عن فتوح الأمم السابقة، والتي اتسم معظمها بالتدمير والاجتثاث العمراني والمعماري، كما مر بنا في الفصل السابق من هذه الدراسة.

(1) راجع ما ذكر في المبحث السابق عن رحلة الإسراء والمعراج.

(2) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص37؛ عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، ط2، 1998)، ج2، ص268؛ البطريك أفثيشيوس المكنى سعيد بن البطريق، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق كتبه إلى أخيه عيسى في معرفة التواريخ الكلية من عهد آدم إلى سني الهجرة الإسلامية، تحقيق: لويس شيخو، (بيروت، مطبعة الآباء اليوسوعيين، 1905م) ج2، ص17.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص609.

وقد كان سلوك الفاتحين المسلمين هذا موضع ملاحظة المؤرخة الإنجليزية الشهيرة كارين أرمسترونج (Karen Armstrong)، فتقول معقبة على أحداث الفتح الإسلامي للقدس: "عبر عمر أيضاً عن مبدأ التراحم التوحيدي أكثر من أي ممن فتحوا أورشليم قبله، ربما باستثناء الملك داود، فقد أشرف على أكثر غزو للمدينة سلاماً ودون أي إراقة للدماء، لقد كان فتحاً لم تشهد المدينة مثله في تاريخها الطويل والمأساوي في غالب الأحوال. فبمجرد أن استسلم المسيحيون لم يحدث قتل، أو تدمير للممتلكات، أو إحراق للرموز الدينية المنافسة، وأيضاً لم يكن هناك طرد للسكان أو نزع للملكية، أو محاولة لإجبار السكان على اعتناق الإسلام. ولو أخذنا احترام سكان المدينة السابقين معياراً لسلامة وقوة العقيدة التوحيدية، يمكننا القول هنا إن الإسلام قد بدأ ولايته الطويلة هناك بداية حسنة جداً".⁽¹⁾

(1) أرمسترونج، القدس، ص386.

المبحث الثاني

التغيرات السياسية والاجتماعية وأثرها على العمران في العهد الراشدي.

يمكن القول أن طلب بطريك بيت المقدس صفرونيوس، الصلح مع الفاتحين، وما لحق هذا الطلب من إجراءات؛ كإعطاء خليفة المسلمين سكان المدينة عهداً بحفظ حقوقهم وممتلكاتهم الدينية والشخصية، ودخوله المدينة، بصفته رأس الدولة الإسلامية فاتحاً، كان بمثابة الإعلان الرسمي عن نهاية العصر البيزنطي عن بيت المقدس والشام قاطبة، وهو - بوجه آخر - إعلان البداية لدخول المدينة في عصرها الإسلامي المبكر.

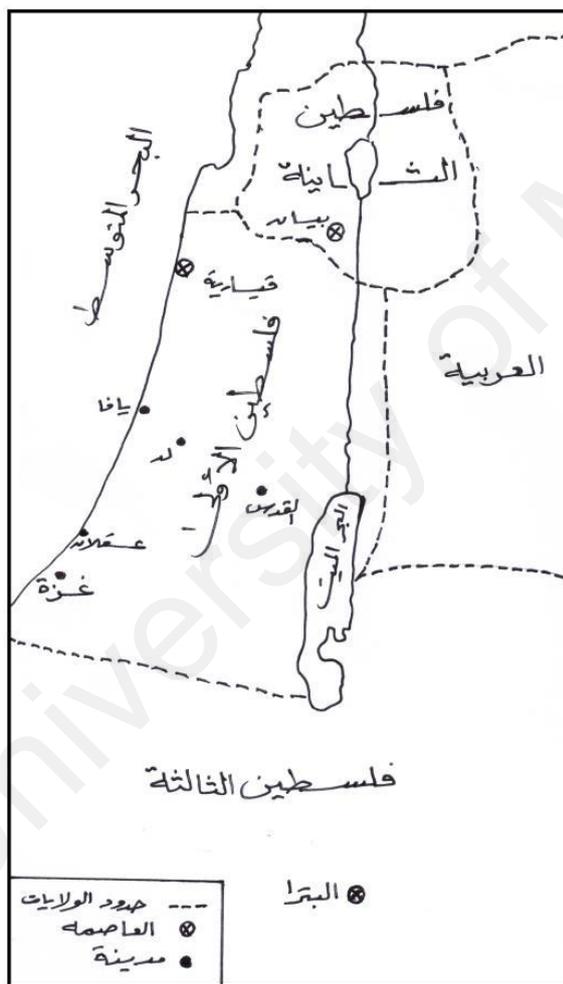
كان العصر الإسلامي بالنسبة للمدينة عصراً جديداً ومختلفاً في شتى جوانبه ووجوهه، إذ اختلف عن سابقه ديناً وثقافةً ولغةً وطبيعةً، مما يقتضي بالضرورة دخول المدينة - برمزيتها وقداستها بالنسبة للعهد البيزنطي والإسلامي - في سلسلة من التفاعلات والتغيرات السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والعمرانية التي يؤثر بعضها في بعض.

وفي هذا المبحث، سيتناول الباحث تأثير مجموعة من تلك المتغيرات على عمارة وعمران المدينة خلال العصر الراشدي، الذي يمتد من الفتح العمري حتى تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان (16-41 هـ / 637-662م).

- التغيرات السياسية.

كانت زيارة عمر بن الخطاب لإيلياء (بيت المقدس) فريدة من نوعها، ولم تعقبها زيارة مماثلة لأي من المدن في الشام أو العراق أو بلاد فارس أو مصر أو شمال إفريقيا، إذ لم تكن بيت المقدس حين زارها الخليفة أهم المدن في جند فلسطين من حيث السكان والأهمية الاستراتيجية الحربية، حيث تفوقت عليها في

ذلك مدينة قيسارية، وقد كانت العاصمة والمركز الإداري والتجاري لفلسطين الأولى (Palaestina Prima) حسب التقسيمات الإدارية للعهد البيزنطي⁽¹⁾، (شكل 2. 1) وقد اكتست تلك الزيارة بالطابع السياسي والديني الواضح، إذ توجه الخليفة للمدينة في جيش كبير قدر بأربعة آلاف، وعسكر على جبل طور زيتا (الزيتون)⁽²⁾ الذي يطل على المدينة من جهتها الشرقية، قبل أن ينحدر إلى المدينة ويستقبله بطيركها ويسلمه المدينة، نظير ما تم الاتفاق عليه من إعطاء سكان المدينة عهداً بالأمان، وهو ما عرف لاحقاً باسم "العهد العمرية".



شكل 2. 1: أقسام فلسطين في العهد البيزنطي

Gideon Avni, The Byzantine-Islamic Transition in Palestine: An Archaeological (1) Approach, (Oxford University Press, 2014), p.41.

(2) الشهاب المقدسي، مثير الغرام، ص 165، 167.

وقد رافق تلك المنزلة السياسية التي منحت للمدينة، بزيارة عمر بصفتيه السياسية والدينية؛ كخليفة للرسول ﷺ، وأمير للمؤمنين، ترفيع شأنها إدارياً بجعلها المركز الإداري لإقليمها، فحين قام الخليفة بترتيب شأن البلاد المفتوحة، وهو في الجابية، قسم بلاد الشام المفتوحة إلى وحدات إدارية عرفت بالأجناد؛ جعل فلسطين جنداً، وقسمها إلى قسمين: الأول مركزه الرملة وولّى عليه علقمة بن حكيم، وهو أحد قادة الفتح، والثاني مركزه إيلياء (بيت المقدس)، وجعل عليه علقمة بن مجزز المدلجي والياً⁽¹⁾، وكان هذا الإجراء لضرورة عسكرية، إذ لم يكن فتح فلسطين قد اكتمل، بل كانت أجزاء من الساحل تحت سيطرة البيزنطيين، مما يعني أنها تشكل خطراً عسكرياً محتملاً على باقي الجند حديث الفتح، فلما تمكن المسلمون من إتمام فتح الساحل الفلسطيني وخضعت أجزاء الجند جميعها لسيادتهم، تم إلغاء التقسيم وأقر علقمة بن مجزز والياً على فلسطين كلها، وقد كان من الصحابة القادة الذين ولّاهم الرسول ﷺ قيادة بعض جيوشه، كما ولاه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب قيادة واحد من الجيوش التي أرسلت لفتح فلسطين، وفي ولايته جعل مدينة بيت المقدس مقراً لولايته حتى وفاته في العام (20هـ/641م)⁽²⁾.

ولم يكن علقمة الوحيد من الصحابة الذين تولوا إمرة بيت المقدس، بل كان من ولاية فلسطين وبيت المقدس في عهدها الراشدي كبار الصحابة مثل تميم الداري الذي كان "الياً على بيت المقدس"⁽³⁾، وعبادة بن الصامت الذي تولى قضاء بيت المقدس وكما عيّن على ولايتها⁽¹⁾.

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص610.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص67؛ علي بن محمد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1997م) ج2، ص359؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج41، ص191-196؛ عثمانة، القدس والإسلام، ص22.

(3) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت، دار الجليل، ط1، 1992م)، ج2، ص503؛ مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص262.

ومنح الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جند فلسطين خصوصية في ترتيباته الإدارية والسياسية، فحين جمع أجناد الشام وجعلها ولاية واحدة، وأسند ولايتها لمعاوية بن أبي سفيان، وذلك بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان، استثنى جند فلسطين وأبقاه جنداً مستقلاً، وبقيت صلاحية تعيين والي جند فلسطين يختص بها الخليفة في المدينة المنورة، وهكذا ظل الأمر حتى توفي والي فلسطين عبد الرحمن بن علقمة في عهد الخليفة عثمان بن عفان، فضمت فلسطين إلى ولاية معاوية في الشام وصار هو من يعين واليها⁽²⁾.

ويبقى في دراسة المكانة السياسية التي اكتسبتها بيت المقدس في صدر الإسلام مسألة تتعلق بكونها إن كان تم تعيينها عاصمة لجند فلسطين أم لا، ويظهر هذا التساؤل واضحاً فيما يقوم به الباحثون الصهاينة من نفي كونها عاصمة كوسيلة للتدليل على أن المسلمين لم يكونوا يهتمون بها، وإنما جاء الاهتمام بها متأخراً، والافتراض بأن المدينة تفقد أهميتها أو مكانتها أو رمزيتها إذا لم تكن عاصمة، فرضية ينقصها المنطق، ويعوزها الإسناد التاريخي، فحين لم تكن مكة عاصمة للدولة الإسلامية في صدر الإسلام لم ينف ذلك اهتمام المسلمين بها، وعلو مكانتها، وفي المقابل نجد من الباحثين من يؤكد على أن بيت المقدس كانت عاصمة لجند فلسطين مستعينا بذلك بما توفره المصادر من إشارات، وما تجود به الآثار من دلائل ولا سيما مجمع القصور الإدارية الأموية المجاور للمسجد الأقصى من الجهة الجنوبية⁽³⁾، وتظل الحقيقة الثابتة أن اهتمام المسلمين ببيت المقدس وعلو مكانتها ومعاملتها برمزية وخصوصية عالية سياسياً وإدارياً كان من قبل الفتح وظل على مدار العصور اللاحقة..

(1) عبد الرحمن بن عمرو النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي، تاريخ أبي زرعة الدمشقي رواية أبي الميمون بن راشد، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني، (دمشق، مجمع اللغة العربية)، ص205

(2) للمزيد حول هذه المسألة، انظر: عبد الفتاح العويس (المقدسي)، صناعة التاريخ المستقبلي: نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة وتوجيهها، (الجزائر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، 20113)، ص238-242.

(3) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م)، ج7، ص285؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص23؛ خليل عثمان، فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلامي حتى الغزو الفرنسي (634-1099)، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 2000) ص213.



شكل 2.2: جند فلسطين بين أجناد الشام في صدر الإسلام

المصدر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، (القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1987م)، ص142 (بتصرف).

هذه المكانة السياسية التي منحتها الخلافة الإسلامية لبيت المقدس لم تكن بمعزل عن المكانة الدينية للمدينة في الوجدان الإسلامي، كما مرَّ بنا في مطلع المبحث السابق، وفتح المدينة قلبياً حين بشرَّ النبي بفتحها دون باقي المدن سواء في إسرائه إليها ومعراجه منها إلى السماء، أو قوله صراحة بقرب فتحها.

وفي عهد معاوية كوالٍ على بلاد الشام (21- 41 هـ/642-661م)، نالت منه بيت المقدس رعاية تميزت على باقي مراكز الأجناد في الشام كحمص ودمشق وطبرية، فكان يكثر من زيارتها والتردد عليها وربما أقام فيها المدد الطويلة، وكان حريصاً على أن يؤم المسجد الأقصى يقيم صلاة الجمعة فيه ويخطب على منبره⁽¹⁾. ومن المعلوم في التاريخ الإسلامي ما كانت تمثله خطبة الجمعة والعيد من رموز السيادة في البعد السياسي، وإكساب الشرعية لصاحبها.

وفي مرحلة الفتنة التي أصابت الأمة الإسلامية بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، استفاد معاوية بن أبي سفيان مما مثلته بيت المقدس من رمزية دينية وثقل سياسي لبلاد الشام، فاتكأ عليها معاوية واتخذها قاعدة لحركته، وتصعيد مطالبته بتسليم قتلة عثمان، حين أخذ معاوية بحشد المؤيدين والمناصرين له من زعماء القبائل العربية في جندي الأردن وفلسطين، وكانت بيت المقدس مسرح نشاط حركته الدعائية ووجهة القادمين لتأييده والتحالف معه، فاتخذها مركزاً سياسياً له؛ يدير منها حركته وتمرده على علي بن أبي طالب، التي انتهت بإعلان نفسه خليفة للمسلمين بعد استشهاد الخليفة علي رضي الله عنه، مما سيتم تفصيله في المبحث التالي.

نخلص من العرض السابق إلى أن مجموعة من المتغيرات السياسية السريعة قد حلت ببيت المقدس منذ الفتح حتى نهاية العصر الراشدي، كانت فيها بيت المقدس محوراً مؤثراً في مجريات تلك الأحداث والمتغيرات، فبدءاً من دخول الخليفة بنفسه فاتحاً لها، وتعيينها جنداً وتسمية والٍ عليها، واتخاذها مقراً للوالي

(1) ابن عساکر، تاریخ دمشق، ج 1، ص 77؛ ابن المرجی، فضائل بیت المقدس، ص 199.

والإدارة، وانتهاءً بكونها مقر حركة معاوية ومركزاً لنشاطه المعارض، مستفيداً من مكانتها الدينية لتعزيز وضعه السياسي، ثم مبايعته خليفة بها.

- التغيرات الاجتماعية

منذ اللحظة الأولى للفتح الإسلامي، ظهر جلياً أن تغيرات اجتماعية وسكانية ستطرأ على المدينة وتؤثر في بنيتها العمرانية، ويبدو ذلك أكثر وضوحاً بمراجعة بنود العهدة العمرية، التي أعطاها عمر بن الخطاب لسكان بيت المقدس حين فتحها في (16هـ/637م)، وهي على اختلاف رواياتها وناقليها، إلا أنها تتفق في الإطار العام، ويبدو النص الذي يقدمه المؤرخ الطبري (ت: 310هـ/922م)، أكثر تفصيلاً من الروايات الواردة لنا في مصادر سبقتة زمنياً، كالتي أوردها الواقدي (ت: 207هـ/822م)، والبلاذري (ت: 279هـ/892م)، وقد وردت عندهم الإشارة إلى العهدة بالمعنى الإجمالي دون أن يهتموا بإيراد نصها، أو رواية اليعقوبي (ت: 284هـ/897م)، التي كانت من أوائل الروايات التي نقلت نص العهدة، وجاء نصها مختصراً، وهو كالتالي: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس، إنكم آمنون على دماءكم وأموالكم، وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب، إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً⁽¹⁾ وهو يشبه إلى حد بعيد النص الذي ساقه المؤرخ النصراني ابن البطريق (ت: 328هـ/940م)، وهو: "بسم الله من عمر بن الخطاب لأهل مدينة إيلياء، أنهم آمنون على دماءهم وأولادهم وأموالهم وكنائسهم ألا تخدم ولا تسكن"⁽²⁾.

ويتميز نص العهدة عند الطبري بأنه يقدم تفصيلات تتعلق بالمجتمع المقدسي بعد الفتح وإعادة

تشكيله، فضلاً عن تنظيم الإقامة في المدينة والخروج منها، وجاء نصها كالتالي: "بسم الله الرحمن الرحيم

(1) اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص37؛

(2) ابن البطريق، التاريخ، ج2، ص17.

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تخدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص [الصوص]، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة⁽¹⁾.

وبإعادة قراءة نصوص تلك العهدة، نجدتها تحدد علاقة الفاتحين المسلمين بسكان بيت المقدس المتواجدين فيها قبل وأثناء الفتح، كما تصنف السكان إلى فئات ثلاث، لاختلاف الموقف والإجراءات التي سيتم اتخاذها تجاه كل فئة، وهم، حسب العهدة، ثلاث فئات: الروم، وأهل إيلياء، وأهل الأرض.

- الروم :

خلال الفتح الإسلامي، كان يعيش في إيلياء (بيت المقدس) أهلها والمحتلون الروم الأجانب، الذين لم يكونوا ينتمون إلى نفس الحضارة أو الثقافة أو الخلفية الدينية لسكان إيلياء، وميزت العهدة بين صنفين من الروم، الصنف الأول يتكون من أفراد الحامية الرومانية (البيزنطية) الذين

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص309.

كانوا يحاربون باسم الإمبراطورية البيزنطية وأضيف إليهم اللصوص، ويبدو هذا منطقياً إذ كان كلاهما يعد سارقاً فالبيزنطيون محتل للأرض وسارق لإرادة السكان وسارق لخيرات الأرض، والثاني سارق لحاجيات أهل المدينة⁽¹⁾، وكان كلاهما عاملاً رئيسياً في خلق المشكلات والاعتداء على مصالح السكان، وتقليل فرص الاستقرار للمجتمع وهو يدخل مرحلة جديدة. وكان الإجراء الملزم حسب العهدة هو طرد هذه الفئة (الروم واللصوص) من المدينة لتحقيق غايات الاستقرار.

أما الفئة الثانية من الروم (البيزنطيين)؛ فقد كانوا من الزائرين أو التجار القادمين للمدينة للعبادة أو الحج أو زيارة أقاربهم وأصدقائهم أو قضاء مصالحهم ووافق توقيت زيارتهم ودخولهم المدينة مع فترة الفتح. وهذه الفئة تم تخييرها بين البقاء وأداء الواجبات المالية (الجزية) التي عليهم كسكان محليين، أو الرحيل بسلام والعودة إلى مواطنهم.

- أهل إيلياء.

وهم سكان المدينة الدائمين، كالمدينين والزعماء الدينيين، وأعطتهم العهدة الخيار؛ إما البقاء في المدينة وتأدية الجزية مع ضمان حقهم في حرية دينهم وعقيدتهم، وصيانة أنفسهم وأموالهم ومسكنهم ودور عبادتهم، بغض النظر عن المذهب الديني لأي منهم "سائر ملتها"، والخيار الثاني هو الرحيل مع الروم بأمان، وللواحد منهم الحق في أخذ ماله المنقول "يسير بنفسه وماله مع الروم"، أما دور العبادة فقد اشترط إخلائها "يخلي بيعهم وصلبيهم".

- أهل الأرض.

وهؤلاء هم الفلاحين والعامّة، الذين يبدو أنهم وفدوا إلى إيلياء كمركز لإقليمهم، ومدينة مسورة محصنة، ينشدون الأمان فيها قبيل حصارها وفتحها، وكان تصنيفهم فئتين: الأولى قدمت إلى المدينة قبل مقتل "فلان" ولا يظهر النص اسم ذلك الشخص، ويبدو أنه إما

(1) العويسي، تقديم بيت المقدس، ص76.

شخص مشهور آنذاك بمحاثة قتله أو تحريفاً لاسمه وقع أثناء نسخ مخطوطات تاريخ الطبري كأن يكون اسمه فلاك أو فلاج كما يفترض الباحث عبد الفتاح العويسي (المقدس)⁽¹⁾. ويقدم ماهر أبو منشار بحثاً أحدث لا يوافق فيه تفسير العويسي، ويستدل على رأيه بأن اسم "فلان" كان معروفاً كأب لأحد قادة الفتح الإسلامي الذين تعاقبوا على حصار إيلياء (بيت المقدس)، كما تذكر ذلك رواية الطبري في تاريخه أن عمرو بن العاص استعمل على حصار إيلياء كل من علقمة بن حكيم الفراسي، ومسروق بن فلان العكي، وذلك في مراحل الحصار الأولى التي زامت فتح بيسان وأجنادين (13هـ/634م)⁽²⁾، وعليه، حسب أبو منشار، ففلان ليس من سكان إيلياء أو من البيزنطيين أو من اللصوص⁽³⁾.

والذي يراه الباحث أن "فلان" بغض النظر عن شخصيته، هو أحد الضحايا الذين قتلوا غدرًا على يد مجموعة من "أهل الأرض" فاقتضت عقوبتهم أن يستثنوا من الخيارات الممنوحة لأهل الأرض السابقين في دخول المدينة على تلك المجموعة القتالة.

وقد منحت العهدة أهل الأرض خيارات ثلاثة: إما البقاء في المدينة ودفع الجزية كسكان المدينة، أو الرحيل مع الروم آمنين، أو الرجوع إلى قراهم في ريف بيت المقدس، وجرت طمأننتهم بخصوص ما عليهم من ضرائب للدولة، "فلا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم"، وفي هذا عدل وإحسان ومراعاة لحالمهم إذ أنهم يعتمدون في رزقهم ودخلهم على الزراعة التي لا تحصل أرباحها إلا حسب مواسمها.

(1) العويسي، تقديم بيت المقدس، ص 77-78.

(2) الطبري، تاريخ، ج 3، ص 605.

Maher Y. Abu-Munshar, Islamic Jerusalem and Its Christians: A History of Tolerance (3) and Tensions, (London, Tauris Academic Studies, 2007), pp.98,99.

- وضع اليهود عقب الفتح.

ما تذكره رواية الطبري حول اليهود، بنص "ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود" فيبدو على هذا الجملة الضعف، وأنها مضافة وليست أصيلة، وهو ما تنبه له المؤرخ عبد العزيز الدوري (ت:2010)، ويدلل على رأيه بأن تفصيلات كهذه القيود "تخرج عن اتجاه نماذج الصلح في ذاك الوقت، ولا تعكس سوى اتجاهات متأخرة"⁽¹⁾ كما لم يرد إشارة إلى تلك القيود في النصوص السابقة لرواية الطبري، ولا تؤيدها أية رواية تاريخية في المصادر العربية تؤكد أن عمر بن الخطاب قد منع اليهود من سكنى بيت المقدس. ولا يمكن أن يكون هذا شرطاً اشترطه عمر بن الخطاب في عهده ثم لا يقوم بتنفيذه، ويفسر الدوري ورود هذه الجملة في نص الطبري أنها ربما تكون من إنشاء مؤلفين مسيحيين تسللت إلى رواة العهدة، حيث انفرد بذكر هذا الشرط المؤرخ المسيحي ميخائيل السرياني (Michael I, The Syrian). المتوفى في (595هـ/1199م)⁽²⁾.

ومن المعلوم تاريخياً، أن اليهود كانوا في مرحلة الفتح الإسلامي في أضعف حالاتهم وأكثرها ضآلة، ولم يكن لهم أي ثقل سياسي أو اجتماعي أو عددي، مما يعني غياب أي تأثير في الأحداث، وهو الأمر الذي يفسر إهمال روايات الفتح الإسلامي للعنصر اليهودي في فلسطين، ومرجع هذا الغياب ما تعرض له اليهود في فلسطين من ضربات قاصمة متتالية ومنعهم من دخول مدينة بيت المقدس منذ القرن الأول للميلاد، وما تعرضوا له من ذبح على يد الرومان والبيزنطيين في تالي القرون، وعندما غزا الفرس بلاد الشام عام 613م، انحاز اليهود إليهم، وارتكبوا المذابح تجاه المسيحيين في بيت المقدس وغيرها من المدن، فلما استعاد الإمبراطور هرقل فلسطين وبلاد الشام من الساسانيين الفرس، (7هـ/629م)، ووقف على حجم المذابح والتنكيل الذي مارسه اليهود على المسيحيين، وبتشجيع من الكنيسة، أصدر في العام

(1) عبد العزيز الدوري، القدس في الفترة الإسلامية الأولى، ص 133.

(2) المرجع نفسه.

(8هـ/630م) قراراً إمبراطورياً بقتل اليهود أينما وجدوا في فلسطين وفي غيرها من ولايات الإمبراطورية، ولم تتوقف هذه العملية إلا بظهور طلائع الجيوش الإسلامية التي دخلت الشام وأخرجت البيزنطيين منها⁽¹⁾، وهذا ما يفسر موقف اليهود تجاه الفتح، فكان موقف اليهود إيجابياً بشكل نسبي تجاه حركة الفتح. وقد دلت الروايات على وجود بعض اليهود في بيت المقدس بعد الفتح الإسلامي بمدة من الزمن، وتحديدًا في العصر الأموي كمجموعة صغيرة ضمن طاقم الخدمات في المسجد الأقصى، وكان من مهامهم كنس الأوساخ وترتيب عملية إضاءة القناديل، وما تحتاجه من عناية، وذلك في عهد عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م)⁽²⁾، وهي لا تحدد زمان ابتداء إقامتهم، إن كان في العصر الراشدي أم بعده. بعد العرض السابق لأوضاع سكان بيت المقدس عقب الفتح، يظهر جلياً أن المدينة حصلت على فرصة ذهبية في الحفاظ على قدر كبير من نسيجها الاجتماعي السابق دون تدخل واضح في تغيير البنية الاجتماعية من قبل الفاتحين، إلا باشتراط خروج المقاتلين البيزنطيين الذين هم في الأصل أغراب عن ذلك التكوين العربي، وفتح الباب لمن أراد ترك المدينة برغبته دون إكراه، أما اليهود، فتم التعامل معهم حسب مبدأ أنهم رعايا الدولة ومن أهل الذمة شأنهم في ذلك شأن المسيحيين.

- وضع المسلمين عقب الفتح.

كانت سياسة الخلفاء الراشدين في الفتح؛ ألا يتركوا البلاد المفتوحة دون إدماج الفاتحين فيها، ولم يكن هذا الإجراء مختلفاً مع بيت المقدس، وقد وردت إشارات في المصادر أن الخليفة عمر بن الخطاب قد أشرف بنفسه على إسكان الفاتحين في بيت المقدس، حيث قام عقب الفتح بتقسيم فلسطين إلى وحدتين "فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة، وعلقمة بن مجزز على نصفها وأنزله إيلياء، فنزل كل

(1) عثمانة، فلسطين في خمسة قرون، ص 161-164؛ عبد الله الشريف، موقف يهود الشام من الفتح الإسلامي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج 16، ع 80، ص 498-499.

(2) ابن المرجي، فضائل بيت المقدس، ص 74-75.

واحد منهما في عمله في الجنود التي معه"⁽¹⁾، و في موضع آخر تشير المصادر أنه "أن عمر رضى الله عنه، لما بعث بأمان أهل إيلياء، وأسكنها الجند شخص إلى بيت المقدس من الجابية"⁽²⁾. وفي ترجمة الصحابي ثوبان بن بجدد أنه "من المدد الذين نزلوا الشام ببيت المقدس"⁽³⁾، وترد إشارات أخرى أن موجات محدودة من الهجرة من المواليين لمعاوية قدمت من العراق إلى بيت المقدس في زمن الفتنة بين معاوية وعلي⁽⁴⁾.

وتحفل المصادر الإسلامية بذكر أفراد الصحابة والتابعين الذين أقاموا ببيت المقدس، وشكلوا النواة الأولى للتواجد الإسلامي المستقر في المدينة، واجتهد الباحث أسامة جمعة الأشقر في تتبع ما أسماه "العائلات المقدسية الإسلامية الأولى"، وحصر مجموعةً من هؤلاء الصحابة، مثل قاضي بيت المقدس وفقهها، الصحابي عبادة بن الصامت الذي امتد نسله فيها، ووقد كان له إسهامات تعليمية وإدارية واضحة هناك، ومنهم الصحابي شداد بن أوس، الذي كانت له ذرية كبيرة ببيت المقدس، وعائلة فيروز الديلمي، وعائلة أبي ربحانة، وأبي سودة، وسواد بن غزية، وسلامة بن قيصر الحضرمي، وذوي الأصابع، وأبي حفصة الحبشي، وعائلة أم الدرداء الصغرى، وغيرهم من العوائل⁽⁵⁾.

ويجدد بنا، حين الحديث عن المسلمين الوافدين لبيت المقدس عقب الفتح، أن نتذكر أن هذا العنصر الاجتماعي-الديني الجديد، لم يكن غريباً أو مختلفاً كثيراً عن بيئة سكان بيت المقدس، فالجزء الأوسع من سكان بيت المقدس وريفها المفتوح كان من العرب أمثالهم، وعليه فهم يشتركون مع الفاتحين في جوانب كثيرة، وربما كان الاختلاف الوحيد هو الدين، أما اللغة؛ فكانت اللغة العربية هي السائدة، ولا

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص610؛ أبو الربيع الحميري، الاكتفاء، ج2، ص312، 313.

(2) المصادر نفسها.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج7، ص296.

(4) عثمانة، فلسطين في خمسة قرون، ص27.

(5) لمزيد من التفصيل، انظر: أسامة جمعة الأشقر، مدينة بيت المقدس في القرن الإسلامي الأول، ظلال الصحابة والتابعين وأهل الحكم والديانة في بيت المقدس، (دمشق، مؤسسة فلسطين للثقافة، ط1، 2012)، ص181-217.

يعني ذلك عدم وجود لغات أخرى كالسريانية واليونانية التي استخدمت لأغراض دينية في الكنائس والطقوس⁽¹⁾.

- أثر التغيرات السياسية والاجتماعية على العمران.

بعد استعراضنا لجملة من المتغيرات السياسية والاجتماعية التي حلت ببيت المقدس خلال عهدها الراشدي، يمكن الوقوف على جملة من آثار هذه التغيرات على العمران بشكل عام، ويمكن القول أن المصادر الإسلامية لم تقدم صورة واضحة ومباشرة عن أثر تلك المتغيرات، مما استدعى استقراء الإشارات القليلة الواردة في المصادر الإسلامية، وربطها بالفهم العام للسياق التاريخي، لنخلص إلى الآثار التالية:

أولاً: في الجانب السياسي.

- كان فتح المدينة صلحاً، عاملاً مهماً، في منح المدينة فرصة فريدة في الحفاظ على مقوماتها العمرانية الدفاعية كالسور والحصون، وباقي مبانيها وكنائسها العظيمة، التي حافظت على عظمتها وأناقته لفترات طويلة، بعد الفتح، ففي معرض تحليل المؤرخ والرحالة البشاري المقدسي (ت: نحو 380هـ/ 990م) لبناء عبد الملك قبة الصخرة على هيئتها الأخاذة جمالاً وزخرفةً وعظمةً، يذكر أن ذلك كان خشية افتتاح الناس بعظمة قبة كنيسة القيامة داخل بيت المقدس⁽²⁾.

- لم يستوجب التغير السياسي الحاصل للمدينة، تغيراً في طبيعة المدينة العمرانية كما حدث في فتوحات سابقة للمدينة، كانت تأتي على المدينة وتفرض هويتها العمرانية والمعمارية⁽³⁾، بل

(1) الأشقر، مدينة بيت المقدس، ص 122-128.

(2) محمد بن أحمد البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (لیدن، مطبعة بريل، 1788م)، ص 159.

(3) لمزيد من التفصيل، انظر: المبحث الثالث من الفصل الأول من الدراسة: "التطور العمراني قبل الفتح الإسلامي".

حافظ الفاتحون على عمرانها، وأبقوا على الطراز المعماري للمدينة، بما يحتويه من رموز وإشارات تخالف ديانة الفاتحين وعقيدتهم، حيث لم نجد في المصادر المسيحية أو الإسلامية ما يدل على تدخل في طابع المدينة المعماري التنظيمي أو الديني. في المقابل، بدأ الفاتحون بممارسة حقهم السيادي والديني في تنظيف مكان الصخرة وإنشاء المسجد، بيت عبادتهم وصلاتهم، دون الاعتداء على أي من المباني القائمة، نجد ذلك واضحاً في الأخبار المتعلقة ببناء عمر بن الخطاب المسجد الأول (مسجد عمر)⁽¹⁾.

- ساهم نمو المكانة السياسية للمدينة، في عهدها الراشدي، في استحداث عناصر عمرانية جديدة، وبرز مصطلحات عمرانية ذات دلالة إدارية وسيادية، مثل "دار معاوية" وهو واحد من أهم الذين تولوا إدارة بلاد الشام في تاريخها الإسلامي، وجاءت الإشارة إليها عند مجير الدين الحنبلي، في كتابه الموسوعي "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل"، عند حديثه عن الزاوية الوفائية أنها كانت تعرف قديماً بدار معاوية⁽²⁾، وكانت الدار عبارة عن مجمع عمراني يضم مؤسسات الحكم والإدارة الأساسية، بالإضافة إلى جناح خاص لسكن الأمير وأهله، وهي تذكر بدار عثمان التي كانت مقر الخلافة في المدينة، والتي ارتبطت في التاريخ الإسلامي واشتهرت "بيوم الدار"⁽³⁾.

- لا بد أن المسلمين قد استفادوا من المباني والعمائر التي أخلاها البيزنطيون حسب العهد الممنوح لبيت المقدس (العهد العمرية)، ويعتقد الباحث أن هذه الاستفادة كانت محدودة، لأن القدس حافظت على سكانها الأصليين، لأن الفئات التي تم إخراجها من المدينة، محدودة تمثلت في رجال الحكم والإدارة البيزنطيين الأعراب، ويعتقد الباحث أن تلك الدور والعمائر

(1) انظر المبحث التالي من هذا الفصل.

(2) مجير الدين، الأنس الجليل، ج2، ص37.

(3) عثمانة، القدس والإسلام، ص24.

استخدمت للأغراض الإدارية، أو مرافق عامة، أو كمساكن لكبار الموظفين والعاملين في المدينة وإقليمها.

ثانياً: في الجانب الاجتماعي.

- كان دخول آلاف المسلمين وعائلاتهم إلى المدينة، كسكان جدد مقيمين، وليسوا عابرين، قد جعل منهم عنصراً هاماً ومؤثراً في البنية الاجتماعية للمدينة، مما يستدعي أن تقوم الخلافة أو من ينوب عنها في بيت المقدس، كالولاة، بتنظيم أحوال هذا المكون الاجتماعي، وتلبية متطلباته، فهم بحاجة للمسجد، الذي يشغل وظائف متعددة في الفكر والعمارة الإسلامية، والأحياء السكنية، والمرافق الأخرى المرتبطة بنشاطهم اليومي كالسوق، أو تلك المرافق المرتبطة بالخصوصية الدينية والاجتماعية كالمقبرة لدفن موتاهم حسب شرائعهم وثقافتهم، وهي أمور تحتاج تخطيطاً عمرانياً دقيقاً، لأن استحداثها في مدينة قائمة وعمارة كبيت المقدس، يحتاج إلى قدر كبير من الاهتمام والتركيز، وقد أقامت الدولة للمسلمين تلك المنشآت والمرافق، وخصصت لها الفراغات اللازمة لتحقيق وظيفتها، فدللت الإشارات في المصادر على وجود أحياء جديدة، ومسجد جديد، كما أن عمر بن الخطاب قد خصص للمسلمين مكاناً يقيمون فيه سوقهم، واتخذ المسلمون مقبرة لموتاهم في الجانب الشرقي من المدينة. وسيقوم الباحث بتناولها تفصيلاً في المبحث التالي.

- تفاعل المسلمون الفاتحون مع سكان بيت المقدس، وقد تأثروا بهم في بعض الجوانب، وانعكس هذا عمرانياً، بعد وقت قصير نسبياً، فتحدثنا الروايات أن أحد ولاة بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب، وهو عياض بن غنم، الذي توفي بعد الفتح بثلاث أو أربع

سنوات، (ت: 19-20 هـ/640-641م)، قد "ابْتَنَى بَيْتَ الْمُقَدَّسِ حَمَامًا"⁽¹⁾، والحمام في العادة يكون مكان الاستحمام العام حيث تتوفر فيه المياه الساخنة وخدمة المستحمين بإزالة أوساخهم، وتطبيب أبدانهم، ويبدو أنه أول حمام اتخذه المسلمون في بيت المقدس، لكن هذا الأمر أغضب الخليفة عمر بن الخطاب، وعَنَّفَ عياض على اتخاذه ذلك الحمام، وأخذ منه تعهداً بعدم العودة مرة أخرى، وهذا ليس مستغرباً من سلوك عمر بن الخطاب، الذي كان يأخذ نفسه بالشدة ويحاسبها بدقة، ويذهب في كثير من مظاهر الراحة، وحاول عكس ذلك على ولاته في الأجناد والأقاليم حسب ما اشتهر عنه في سيرته.

ويبدو أن هذا الحمام توقف استخدامه لفترة وجيزة بسبب منع عمر، ثم عاد إلى العمل في عهود لاحقة، فيذكر البشاري المقدسي (ت: نحو 380هـ/990م) أنه وجد بيت المقدس ثلاث برك عظيمة، إحداها تدعى بركة عياض عليها حمام للمدينة وأروقة⁽²⁾، ويبدو أن الزلازل والحروب الصليبية، لم تبق تلك الحمام لفترة طويلة، ففي القرن (العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي)، ذكر مجير الدين الحنبلي، ابن بيت المقدس، أنه لم يهتد لشيء يدل على تلك البركة، فلم يستطع تحديد موقعها⁽³⁾.

(1) أبو زرعة، تاريخ، ص218؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج59، ص435.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص168.

(3) مجير الدين، الأنس الجليل، ج2، ص59.

المبحث الثالث:

التغيرات السياسية وأثرها على العمران في العصر الأموي

شكلت الحقبة الأموية علامة فارقة في تاريخ بلاد الشام على العموم، ومدينة بيت المقدس على وجه خاص، وكانت تلك الفترة التي قاربت القرن من الزمن (41-132هـ / 662-750م)، كفيلة بأن تصيغ واقعاً جديداً و متميزاً لمدينة بمكانة و قدسية بيت المقدس، سواء على الصعيد السياسي وما يلحق به من تغيرات إيجابية اقتصادية واجتماعية، أو على الصعيد العمراني والمعماري، وما ينتج من مفاهيم وفلسفات ومبانٍ تعكس تلك المفاهيم والتصورات، وهو محل التركيز في دراستنا، ولما كان من منهجنا في هذه الدراسة ألا يُدرس العمران والعمارة بمعزل عن السياقات السياسية والاجتماعية والدينية المكونة له والمؤثرة فيه، كان الغرض من هذا المبحث: تلمس التطورات السياسية التي مرت على المدينة في تلك الفترة وكيف ساهمت أو تأثرت بالمشهد السياسي العام للدولة الأموية، باستقراء تاريخي متتابع، وقد أمكننا ذلك من الوقوف على التالي:

- بيت المقدس في مرحلة الفتنة.

ولأن التاريخ ليس حلقات منفصلة عن بعضها، وإنما سلسلة مترابطة فإنه من المهم أن نبين علاقة الأمويين ببيت المقدس قبل أن يتحول الأمر إلى قيام دولتهم بمبايعة معاوية بن أبي سفيان خليفة للمسلمين عامة عام (41هـ/662م)، فيما عرف بعام الجماعة، ثم حصر الخلافة في البيت الأموي وراثتاً. وكما أُجمل في الفصل السابق؛ فإن بيت المقدس كانت حاضرة بقوة في المشهد السياسي وتفاعلاته في سني الفتنة، بعد مقتل الخليفة عثمان، إذ كانت أحد القواعد القوية التي ارتكز عليها معاوية بن أبي سفيان في معارضته

وحرره ضد علي بن أبي طالب عليه السلام، وتفصيل ذلك أنه حين قتل عثمان عليه السلام، وتولى الخلافة من بعده علي بن أبي طالب عليه السلام، كان معاوية بن أبي سفيان والياً على الشام، فطالب ومعه عدد من الولاة وكبار الصحابة الذين كانوا في بلاد الشام وبيت المقدس، مثل "عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَبُو أُمَامَةَ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمِنَ التَّابِعِينَ"⁽¹⁾، علي بن أبي طالب بسرعة إنفاذ القصاص من قتلة عثمان بن عفان، أو تسليمه القتلة بصفته ولياً للدم، إذ كان من قرابة الخليفة عثمان، مستدلاً على ذلك بقوله تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۗ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا"⁽²⁾⁽³⁾، وقد رفض الخليفة علي بن أبي طالب الاستجابة لطلبه وطلب غيره من الصحابة لمصلحة رآها، مؤداهاً؛ أن الأهم آنذاك كان توحيد كلمة المسلمين، وتثبيت أركان الخلافة التي أصابتها هزة قوية بدخول المتمردين المدينة المنورة، وسيطرتهم عليها، وتجرؤهم على قتل رأس الدولة الخليفة عثمان عليه السلام، ولا زالوا يتمتعون بجانب كبير من القوة والتأثير، وتسارعت أحداث الفتنة؛ فوقعت معركة الجمل الشهيرة في العام (36هـ/656م)، ثم برز دور معاوية أكثر في رفض إعطاء البيعة لعلي بن أبي طالب، واشترط القصاص من قتلة عثمان بن عفان، فكانت بينهما وقعة صفين في العام (37هـ/657م)؛ بين جيش الشام التابع لمعاوية والرافض لبيعة علي حتى يقتص من قتلة عثمان، وبين جيش العراق التابع لعلي والرافض لخروج معاوية عن البيعة واستحقاقاتها، وما انضوى تحت كل جيش من الأتباع والحلفاء⁽⁴⁾، وقد كان لتلك المعارك أسوأ الأثر في توسيع الانقسام بين المسلمين ودخولهم في حروب بينية ومكائد، امتدت آثارها لحقب طويلة في التاريخ الإسلامي.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص255.

(2) سورة الإسراء: آية 33.

(3) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1960)، ص199؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج39، ص477.

(4) تناولت مصادر التاريخ الإسلامي تفاصيل أحداث تلك الفتنة واختلفت فيها الروايات اختلافاً كبيراً حد التناقض، وظهرت النزعات والمصالح المحلية لكل الروايات بشكل جلي، وهي موضع بحث واستقصاء ونقد مستمر من الباحثين والمحققين، ومن المصادر التي تناولت تلك

وبعيداً عن تفاصيل تلك الفتنة وأحداثها، يهمننا منها ما يتعلق بموضوع الدراسة، بما مثلته بيت المقدس من رمزية دينية وثقل سياسي لمعسكر الأمويين وعلى رأسهم معاوية، وجموع غفيرة من أهالي بلاد الشام، التي كانت تدين بالولاء له منذ عرفته والياً عليها في عهدي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، فاعتمد عليها واتخذها قاعدة لحركته، وتصعيد مطالبته بتسليم قتلة عثمان، يظهر ذلك جلياً من مطلع أحد خطبه لأهل الشام يعبأهم قبل معركة صفين، ويصفهم بأنهم "أصحاب الأرض المقدسة التي جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عبادِهِ، فأحلّها أهل الشّام ورَضِيَهُمْ لها، ورَضِيَهَا هُمْ..."⁽¹⁾، وروي أن معاوية وقف بأنصاره في المسجد الأقصى خطيباً قائلاً: "بيننا أنا عند رسول الله (ﷺ) إذ قال: إن الله فاتح لكم وممكن لكم، فقال رجل: خر لي، قال: عليك بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عبادِهِ"⁽²⁾. وفي رواية يسوقها الطبري في تاريخه، وهي تضيف بعداً تنبؤياً لوصول معاوية للخلافة، تصفه بأنه "أمير الأرض المقدسة"⁽³⁾، ولا شك أنها من الأدبيات التي ظهرت خلال مرحلة الفتنة أو تأثرت بها وبالصرع الدائر في حينه، مما يجعل من الصعب القبول بها.

الأحداث، انظر: سيف بن عمر الأسدي، الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق: أحمد راتب عرموش، (القاهرة، دار النفائس، ط7، 1993م)، ص35-183؛ نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام مُجّد هارون، (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، ط2، 1382هـ)؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص140 وما بعدها؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص320 وما بعدها.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص136.

(2) إبراهيم بن يحيى المكناسي، كتاب فيه فضائل بيت المقدس، تحقيق: محمود إبراهيم، ضمن: (فضائل بيت القدس في مخطوطات عربية قديمة، دراسة تحليلية ونصوص مختارة محققة، (الكويت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط1، 1985م)، ص309؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج1، ص77. والحديث "صحيح" حسب تحقيقات الباحثين. أيوب، موسوعة بيت المقدس، ص116-120.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص559، 560. وتام رواية الطبري: "كُتِبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَثْمَانَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ص قَدْ بَعَثَ عَمْرًا إِلَى عَمَانَ، فَسَمِعَ هُنَاكَ مِنْ حَبْرٍ شَيْئًا، فَلَمَّا رَأَى مُصَدِّقَهُ وَهُوَ هُنَاكَ أَرْسَلَ إِلَيَّ ذَلِكَ الْحَبْرَ، فَقَالَ: حَاطَيْتُ بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَأَخْبَرْتَنِي مَنْ يَكُونُ بَعْدَهُ؟ قَالَ: الَّذِي كَتَبَ إِلَيْكَ يَكُونُ بَعْدَهُ، وَمُدَّتْهُ قَصِيرَةٌ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ مِثْلُهُ فِي الْمَنْزِلَةِ، قَالَ: فَمَا مُدَّتُهُ؟ قَالَ: طَوِيلَةٌ، ثُمَّ يَقْتُلُ قَالَ: غِيْلَةٌ أَمْ عَنْ مَلَا؟ قَالَ: غِيْلَةٌ، قَالَ: فَمَنْ يَلِي بَعْدَهُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ مِثْلُهُ فِي الْمَنْزِلَةِ، قَالَ: فَمَا مُدَّتُهُ؟ قَالَ: طَوِيلَةٌ، ثُمَّ يَقْتُلُ، قَالَ: أَعْيِلَةٌ أَمْ عَنْ مَلَا؟ قَالَ: ذَلِكَ أَشَدُّ، فَمَنْ يَلِي بَعْدَهُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يَنْتَشِرُ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَتَكُونُ عَلَى رَأْسِهِ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ يَقْتُلُ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ، قَالَ: أَعْيِلَةٌ أَمْ عَنْ مَلَا؟ قَالَ: غِيْلَةٌ، ثُمَّ لَا يَرُونَ مِثْلَهُ قَالَ: فَمَنْ يَلِي بَعْدَهُ؟ قَالَ: أَمِيرُ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَيَطُولُ مُلْكُهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ تِلْكَ الْفِرْقَةِ وَذَلِكَ الْإِنْتِشَارُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَمُوتُ."

وأخذ معاوية بجشد المؤيدين والمناصرين له من زعماء القبائل العربية في جندي الأردن وفلسطين، وقد حفظت المصادر قوائم متفرقة بأسماء القبائل الفلسطينية التي شاركتها في مطالبته وقاتلت إلى جانبه، مثل كندة وجذام ولخم وكنب⁽¹⁾، وأما بيت المقدس؛ فكانت مسرحاً لنشاط حركته الدعائية ووجهة القادمين لتأييده والتحالف معه، وكان منهم الصحابي عمرو بن العاص الذي كان معتزلاً في ضيعة له في السبع⁽²⁾ في عهد عثمان بن عفان، ثم قدم إلى معاوية وتحالف معه⁽³⁾، وناصره بقوة بعد وفاة عثمان⁽⁴⁾.

وقد أثر هذا الدور الذي لعبته بيت المقدس في التحشيد والاصطفاف مع معاوية، في موقف الفريق المعتزل للفتنة الذي رأى في الذهاب لبيت المقدس ما يوقعه في الحرج أو الاصطفاف إلى فريق معاوية، فنقل عن عبد الله بن عمر قوله: "لولا أن معاوية بالشام، لسرني أن آتي بيت المقدس، فأهل منه بعمرة، ولكن أكره أن آتي الشام، فلا آتية، فيجد علي، أو آتية، فيراني تعرضت لما في يديه."⁽⁵⁾، وهذا سعد بن أبي وقاص يعلن امتناعه عن الصلاة في بيت المقدس زمن الفتنة، رغم ما له من فضل، قائلاً: "لأن أصلي في مسجد الخيف ركعتين أحب إلي من أن آتي بيت المقدس مرتين فأصلي فيه"⁽⁶⁾.

(1) أحصى الباحث هاني أبو الرب قوائم من تلك القبائل الفلسطينية كان منها الأزدي، وكنانة، ولخم، وجذام، وختعم، وقد عد ولاء تلك القبائل له من أسباب انتصاره على علي في صفين. للتوسع انظر: هاني أبو الرب، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، (فلسطين، مطبعة المنار الحديثة، ط1، 2002)، ص316-317.

(2) السبع: من نواحي فلسطين، وهي تختلف عن بير السبع الشهيرة.

(3) انظر نص الوثيقة في قسم الملاحق، ملحق رقم (2).

(4) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1996م)، ج2، ص282-283؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص560؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص128؛ مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص263.

(5) محمد بن أحمد بن عثمان بن قنم، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م)، ج3، ص235؛ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، الأعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002)، ج4، ص108.

(6) محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي أبو عبد الله، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، (بيروت، دار خضر، 1414هـ)، ج4، ص267؛ أسامة الأشقر، مدينة بيت المقدس، ص240.

أما فريق علي بن أبي طالب، فقد دعا إلى الإحجام عن زيارة بيت المقدس، وروي في هذا الصدد أن علي بن أبي طالب قد منع أنصاره من الذهاب إلى بيت المقدس، ورغبهم في الصلاة بمسجد الكوفة ذاكراً فضلاً كبيراً له، ربما فاق فضل المسجد الأقصى⁽¹⁾.

وإن بدا منطقياً منع علي لأنصاره من الذهاب لبيت المقدس وقت الفتنة مع معاوية، فإن ما ذكر من رواية منسوبة لعلي في فضل مسجد الكوفة، يبدو جلياً أنها من الروايات الموضوعة التي أقحمت نفسها في مسابقة التفاضل بين البلدان والأماكن.

وكان الحدث الأهم بعد انتهاء معركة صفين، وفشل التحكيم بين الفريقين، عندما قرر الخوارج قتل من اعتبروهم رؤوس الفتنة؛ علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص⁽²⁾، فكانت وجهة المتكفل بقتل معاوية وهو البرك بن عبد الله التميمي⁽³⁾، إلى بيت المقدس⁽⁴⁾ حيث مكان إقامة معاوية، مما يعني أنه كان من المعروف للعراقيين وغيرهم، أن معاوية مقيم في بيت المقدس، فالخوارج قد اتخذوا قرار القتل وهم في العراق، ثم مضى المتكفل بقتل معاوية إلى بيت المقدس، مما يعني أن خبر إقامة معاوية هناك قد وصل العراق وانتشر وثبت لديهم أن إقامته في بيت المقدس طويلة ومستقرة.

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص492؛ زكرياء بن مُجَّد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، د.ت.)، ص250. وتام الرواية: روى حبة العربي قال: كنت جالساً عند علي عليه السلام فأتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين هذه راحلتي وزادي أريد هذا البيت أعني بيت المقدس فقال عليه السلام كل زادك وبع راحلتك وعليك بهذا المسجد يعني مسجد الكوفة فإنه أحد المساجد الأربعة ركعتان فيه تعدلان عشرا فيما سواه من المساجد والبركة منه إلى اثني عشر ميلا من حيث ما أتيتته وهي نازلة من كذا ألف ذراع وفي زاويته فار التنور وعند الأسطوانة الخامسة صلى إبراهيم عليه السلام وقد صلى فيه ألف نبي وألف وصي وفيه عصا موسى والشجرة اليقطين وفيه هلك يغوث ويعوق وهو الفاروق وفيه مسير لجبل الأهواز وفيه مصلى نوح عليه السلام ويحشر منه يوم القيامة سبعون ألفا ليس عليهم حساب ووسطه على روضة من رياض الجنة وفيه ثلاث أعين من الجنة تذهب الرجس وتظهر المؤمنين لو علم الناس ما فيه من الفضل لآتوه حبوا!!

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص213-216.

(3) قيل إن اسمه الحجاج وأن البرك لقبه، انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص255؛ عمر بن مظفر بن عمر بن مُجَّد ابن أبي الفوارس "ابن الوردية"، تاريخ ابن الوردية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1996م)، ج1، ص154؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص361.

(4) يعقوب بن سفيان بن جowan الفارسي الفسوي، أبو يوسف، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1981م)، ج1، ص413؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج59، ص143.

وفيما نجح الخوارج في قتل علي بن أبي طالب (40هـ/661م)، فإن عمرو بن العاص قد نجح قادراً، إذ أناب عنه آخر للصلاة مكانه لمرض أصابه ليلتها، أما معاوية بن أبي سفيان؛ فإن الخارجي البرك بن عبد الله قد تربص أثناء صلاته الفجر في المسجد الأقصى⁽¹⁾، "فلما سجد السجدة الأولى، انبطح أحدهم [أي البرك] على ظهر الحرس الساجد بينه وبين أمير المؤمنين، حتى طعن معاوية في مأكمته⁽²⁾ بخنجر في يده، فانصرف معاوية وقال للناس: أتموا صلاتكم"⁽³⁾.

ويبدو أن معاوية تعافى سريعاً من جرحه، إذ لم توقفه إصابته عن طموحه، ولم تؤثر على قدرته في إكمال مسيرته السياسية؛ فبخلو منصب الخلافة، سارع فأعلن معاوية نفسه خليفة وأميراً للمؤمنين من على منبر المسجد الأقصى في مدينة بيت المقدس، واجتمع لبيعته عدد كبير من أتباعه ومن الصحابة، وقد بايعه على ذلك أهل الشام بمختلف أجنادها، ودلت الأخبار على قدوم وفد من العراق يبايعه ببيت المقدس، واستمر معسكره يكبر ويقوى حتى ظفر ببيعة العامة بعد أن تنازل له الحسن بن علي عن الخلافة في العام (41هـ/662م)، المعروف في المصادر باسم عام الجماعة⁽⁴⁾.

ويبدو أن بيت المقدس تحولت إلى مكان إقامة معاوية بن أبي سفيان، وعليه كانت حاضرة أو عاصمة للدولة الناشئة التي أعلنها معاوية، ومركزاً سياسياً له؛ يدير منها دولته وربما استمر ذلك لفترة من الزمن قبل أن ينتقل إلى دمشق ويتخذها عاصمة أو مركزاً للخلافة، وقد دلت الأخبار على استقباله وفداً من العراق يبايعه في بيت المقدس⁽⁵⁾.

(1) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج 1، ص 413؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 59، ص 143.

(2) المأكمة: العجيزة، اللحم على رأس الورك. (انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 20)

(3) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 16، ص 143.

(4) انظر: خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر، تاريخ خليفة، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (دمشق، دار القلم، ط 2، 1397هـ)، ص 203؛ الطبري، تاريخ، ج 3، ص 155 وما بعدها.

(5) طارق سلطان، صهيب الغضنفری، القدس في المصادر العربية في العصر العباسي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مجلد 8، عدد 4، (2008)، ص 208-228.

وأكدت إحدى المصادر التاريخية الأرمنية حدوث مبايعة معاوية في بيت المقدس، ومن المعلومات التي أضافتها، حسب ما ذكره مؤلف الحولية الأرمنية (Maronite Chronicle)⁽¹⁾ أن الخليفة معاوية بعد أن تلقى بيعة الناس في المسجد الأقصى، قام بجولة على بعض الكنائس والمزارات المسيحية المقدسة؛ "فصعد إلى كنيسة الجلجلة وصلى فيها، ثم انتقل إلى كنيسة الجسمانية، وانتقل منها وزار قبر القديسة مريم وصلى"⁽²⁾.

ورغم حماسة الباحث خليل عثمانة لهذه الرواية وتقديم تفسير لتلك الخطوة بأنها "رسالة أراد معاوية من خلالها أن يطمئن بها المسيحيين من أهل بيت المقدس، بل رعايا الدولة جميعاً، أن خليفة الإسلام الجديد يكن في نفسه المودة والاحترام للعقائد الدينية الأخرى، وأنه سيظل الضامن والحامي للكنيسة، الأمر الذي ورد في كتاب الأمان الذي وقّع برعاية الخليفة عمر يوم دخل المسلمون مدينة القدس"⁽³⁾، يرى الباحث أن هذه الرواية على أهمية مضمونها لا بد أن يتسلل الشك إلى النفس تجاهها، وتحتاج مزيداً من الفحص والاختبار، لأسباب عديدة، يمكن إجمالها بالتالي:

- تفرد ذلك المصدر الأرمني بذكرها، ولم تذكرها أي من المصادر الإسلامية المتاحة، بل أنها لم تقدم تفاصيل وافية عن بيعة معاوية في المسجد الأقصى.

- وضوح المصلحة المباشرة العائدة على المسيحيين من هذه الرواية، فضلاً عن كونها ترفع شأن المسيحيين في المجتمع، فهي تذكرنا بالرواية الضعيفة التي ساقتها مصادر سريانية أخرى وتم مناقشتها في

(1) حققها المستشرق الألماني نولدكه (1836-1930م).

(2) Robert G. Hoyland, Seeing Islam as others saw it, Princeton, New Jersey, (1997) p.136.

(3) عثمانة، القدس والإسلام، ص26.

الفصل السابق، والمتعلقة بزيارة عمر بن الخطاب لكنائس بيت المقدس وإصداره عهد الأمان المتفرقة التي أعطاها للمسيحيين وصلاته هناك⁽¹⁾.

- ومن العوامل التي تدعو الباحث للحذر من المسارعة إلى تصديق تلك الرواية، معرفتنا بالظروف السياسية التي أحاطت ببيعة معاوية التي كانت تحتم عليه المسارعة إلى توطيد بيعته وتمتينها مع الأقاليم، ومعالجة أمر الرافضين لبيعته فضلاً عن التهديدات الخطيرة الأخرى كالخوارج، وهي أولويات بدهية بالنسبة لسياسي محنك وخبير مثل معاوية.

ومن الإنصاف أن نشير إلى حقيقة ثابتة، بأن ارتباط معاوية ببيت المقدس لم يكن ناتجاً عن الظرف التاريخي المرحلي المتمثل بالفتنة وأحداثها، أو إعلان نفسه خليفة، بل كان أقدم من ذلك، فتذكر الروايات أن عبادة بن الصامت، قاضي بيت المقدس، حين تنازع مع معاوية بن أبي سفيان، غضب وترك مدينة بيت المقدس رافضاً مساكنة معاوية في بلد واحد، وتوجه إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة شاكياً⁽²⁾، وهذه الحادثة تشير بوضوح أن إقامة معاوية في بيت المقدس كانت دائمة ولم تكن مجرد زيارة سرعان ما تنقضي.

إذن، لم تكن بيت المقدس برمزياتها وقدسيتها غائبة عن تلك الأحداث والتفاعلات المهمة في تشكيل الدولة الأموية، وتحول النظام السياسي في الإسلام من دولة الراشدين إلى دولة الأمويين، إذ أسس نظام سياسي جديد كان أبرز خصاله توريث الخلافة في نفس البيت على خلاف ما عهده المسلمون في العصر الراشدي، وتنامى شعور الأمويين بأن هذه المدينة من مقومات تميزهم ومنحهم الشرعية الدينية مما سينعكس إيجاباً على عمران المدينة والاهتمام بها، سواء في عهد معاوية كخليفة (41-60هـ/ 662-680) أو من سيأتي بعده من الخلفاء. وإن كان الأمويون قد اتخذوا من دمشق حاضرة لدولتهم، فيما بعد،

(1) انظر: المبحث الأول من الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(2) أبو زرة، تاريخ، ص 225.

إلا إن هذا لم يؤثر سلباً على مدينة بيت المقدس عمرانياً، بل شهدت فترة الأمويين تألقاً عمرانياً ومعمارياً في سائر بلاد الشام حتى باديتها، وحُصِّت بيت المقدس بالعديد من المنشآت والإضافات التي حملت طابعاً عكس قوة الدولة وحرصها على اكتساب الشرعية والرمزية الدينية، في محيط مليء بالتحديات للدولة الأموية، حسب ما سيتضح تفصيلاً في المباحث التالية.

- علاقة الأمويين ببيت المقدس.

ولم ينته دور بيت المقدس سياسياً عند تلك المرحلة التي أسس الأمويون فيها دولتهم، بل استمر دورها حاضراً في سيرة الخلفاء وعلاقتهم بها، سواء إقامتهم فيها، أو أخذهم البيعة في مسجدها الأقصى، وربما تعدى الأمر لتكون مقرأً للخلافة (بعض الزمن) ويمكن ملاحظة هذا الاهتمام جلياً من خلال حرص خلفاء بني أمية على تعيين أمراء البيت الأموي لولاية بيت المقدس وإدارتها، سواء بصورة مستقلة أو ضمن حدود جند فلسطين⁽¹⁾، فالخليفة الأموي مروان بن الحكم، عين ابنه عبد الملك والياً على جند فلسطين، فأقام في بيت المقدس واتخذها مقرأً له⁽²⁾.

وبعد وفاة مروان كانت ظروف بيعة ولده عبد الملك حرجة ومشابهة للظروف التي مرت بها بيعة معاوية، فقد جاءت بعد فتنة كادت تقضي على الدولة الأموية، حين انحازت معظم ولايات الدولة الإسلامية إلى عبد الله بن الزبير، الذي نادى نفسه خليفة بعد موت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ورد الشاميون بمبايعة مروان بن الحكم، الذي لم تكمل مدة خلافته العام؛ (64-65هـ / 683-684م)، وقد لعب أهل فلسطين دوراً كبيراً وفعالاً في نقل الخلافة إلى الفرع المرواني المبتدئ بالخليفة مروان بن الحكم⁽³⁾،

(1) انظر شكل (2.2) في الفصل السابق.

(2) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج1، ص317؛ عثمانة، فلسطين في خمسة قرون، ص216.

(3) للتوسع حول هذا الدور: ينظر: أبو الرب، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، ص89.

وتم كانت بيعة عبد الملك بن مروان بالخلافة في بيت المقدس في شهر رمضان⁽¹⁾، وقد استمرت فترة خلافته ما يزيد عن العشرين عاماً (65-86هـ/685-705م)⁽²⁾، وشهد عهده أعظم مأثرة معمارية عكست اهتمامه ببيت المقدس، فكانت قبة الصخرة بما شكلته من إضافة نوعية ومتميزة للتاريخ المعماري الإنساني، التي تعد أقدم أثر إسلامي باق على حاله الأول، وستكون محل دراستنا في قادم الفصول.

واختار عبد الملك أخاه أبان بن مروان ليكون والياً على فلسطين⁽³⁾، كما أنه عين ابنه سليمان بن عبد الملك والياً عليها⁽⁴⁾، وكان مقيماً ببيت المقدس⁽⁵⁾، ويبدو أن الخليفة عبد الملك قد انتدب الحجاج بن يوسف الثقفي⁽⁶⁾ ليقوم بأعمال ترميم في سور بيت المقدس فجعل فيه باباً باسمه، وآخر باسم عبد الملك بناءً على طلبه⁽⁷⁾.

وبلغ من تقدير عبد الملك بن مروان لمكانة بيت المقدس أن ضرب عملة على أحد وجهيها صورة الخليفة يحيط بها عبارة "مُجَّد رسول الله"، وعلى الوجه الآخر كلمتي "إيليا فلسطين"، وإيليا هي الاسم السابق لبيت المقدس، ولا تزال قطع من هذه العملة محفوظة إلى اليوم⁽⁸⁾.

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة، ص 261.

(2) أبو الحسن على بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والإشراف، تحقق: عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة، دار الصاوي، د.ط، د.ت)، ص 269؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 476-479؛ عثمانة، فلسطين في خمسة قرون، ص 216.

(3) أبو مُجَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1992م)، ص 354.

(4) خليفة، تاريخ خليفة، ص 311.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 9، ص 187.

(6) يذكر عثمانة أن الحجاج قد تولى إمارة فلسطين (عثمانية، فلسطين، ص 216)، ولم أقف على ما يؤيد ذلك في المصادر.

(7) أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُجَّد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، 1900م)، ج 1، ص 234-235؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 256؛ بهاء الدين مُجَّد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: مُجَّد عبد الكريم النمري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998م)، ج 2، ص 31.

Anna Tiner, A Period of Transition: Early Islamic and Umayyad Coinage, (8)

(Pepperdine University, All Undergraduate Studen Research, 2014) p.9.

وعندما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة بعد موت أبيه (86-96هـ/705-715م)، ذهب إلى بيت المقدس ليستقبل المهنيين ووفود المبايعين، فذكر الفرزدق أنه قدم من موطنه في العراق (منبت النخل) إلى بيت المقدس (منبت الزيتون) ليكون ضمن الوفود المهنتة والمبايعة للوليد بن عبد الملك بالخلافة⁽¹⁾.

أما الخليفة سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/715-717م)، فكان لخلافته علاقة قوية ببيت المقدس على المستوى السياسي، إذ تشير الروايات أنه كان بمدينة الرملة⁽²⁾ حين أتاه خير وفاة أخيه الوليد عام (96هـ/715م)، فانتقل إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس لاستقبال الوفود المبايعة له بالخلافة، وقد رتب لذلك مجلساً عظيماً في ساحة المسجد الأقصى تحت قبة لاستقبال وفود المبايعين، وثقت هذا الحدث عدد من الروايات: "وأنته الوفود بالبيعة، فلم يروا وفادة كانت هنا منها"، حيث كان يجلس في قبة في صحن المسجد الأقصى مما يلي الصخرة، وقد بسطت البسط بين يدي قبته، عليها النمارق والكراسي، فجلس وجوه الناس وأكابر الوفود على الكراسي، وبجانبه الأموال والكساء، وكتاب الدواوين، فكل من سأله شيئاً كتب له قبل أن يغادر المجلس⁽³⁾.

وأشار الفرزدق لإقامة الخليفة سليمان بن عبد الملك هذا المجلس في المسجد الأقصى، حين قدم إليه مهنتاً قائلاً:

وبالمسجد الأقصى الإمام الذي اهتدى به من قلوب الممتزين⁽⁴⁾ ضلالها⁽⁵⁾

(1) الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح وضبط: علي فاعور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م)، ص483. وتمام البيت: نصحي لكم قاد الهوى من بلاده إلى منبت الزيتون من منبت النخل

(2) قيل بالبلقاء. (انظر: ابن المرجى، فضائل، ص313)؛ وقيل بالسبع. (انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص185).

(3) ابن المرجى، فضائل، ص313؛ الشهاب المقدسي، مثير الغرام، ص345؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص202؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس وآخرون، (دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، 1984م)، ج10، ص172؛ مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، 281؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص209.

(4) الممتزين: الشاكين، امتزى في الشيء شك فيه. (مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص866)

(5) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ص425.

ومن الإشارات المهمة في الدلالة على شأن مدينة بيت المقدس عند الأمويين في هذا السياق، أن الخليفة سليمان قد باشر بإجراءات تحويل بيت المقدس عاصمة للخلافة بدلا من دمشق، ومنها -أي بيت المقدس- نوى إنفاذ جيشه لفتح القسطنطينية، لكنه عدل عن ذلك لمقتضيات التدبير العسكري بعد مشاورات مع اثنين من كبار قادة الفتوح؛ موسى بن نصير، وأخيه مسلمة بن عبد الملك⁽¹⁾، تذكر في هذا الصدد عدد من المصادر التاريخية أن سليمان بن عبد الملك "همَّ بالإقامة ببيت المقدس واتخاذها منزلاً، وجمع الناس والأموال فيها"⁽²⁾.

ويحاجج الباحث خليل عثمانة بأن بيت المقدس جعلت عاصمة للخلافة واستمرت طيلة عهد سليمان بن عبد الملك، وأوائل عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ / 717-720م)، مستنداً إلى الرواية التي تتحدث عن أمر عمر بن عبد العزيز بجمع كبار موظفي الخلافة وعمال الولايات في عهد سليمان بن عبد الملك ليحاسبهم في المسجد الأقصى ويستحلفهم عند الصخرة⁽³⁾. مما يعني -حسب عثمانة- أن هذا يستدعي بالضرورة وجود سجلات ووثائق الدولة والقيود الرسمية في بيت المقدس كمقر أو عاصمة للخلافة، فضلاً عن كوادر المحاسبة والتدقيق التي يفترض أنها تقيم بالقرب من تلك الدواوين.

ويضيف عثمانة بأن وفاة سليمان بن عبد الملك في دابق شمالي حلب، لا تعني أنه لم يتخذ بيت المقدس عاصمة، فقد كانت إقامته هناك لدواعٍ عسكرية، إذ إن دابق كانت معسكراً للقوات الأموية التي تخرج كل عام تقريباً فيما يعرف بحملات الصوائف لغزو عمق الأراضي البيزنطية، فبعد أن اتخذ الخليفة قرار غزو القسطنطينية، خرج من بيت المقدس وتوجه إلى دابق لحشد القوات لهذه الغزوة وأخذ ينتظر النتائج

(1) لا شك أن اتخاذ دمشق أو الجزء الشمالي من بلاد الشام كقاعدة للانطلاق نحو فتح القسطنطينية أجدى من بيت المقدس من الناحية العسكرية لعامل الجغرافية وتوافر الإمدادات.

(2) ابن المرجى، فضائل، ص313؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص202؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص209. العليمي: الأنس الجليل، ج1، ص281؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج3، ص402.

(3) مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص236.

فضل مقيماً بهذا المعسكر لكن تعثر الحملة اضطره إلى الانتظار الطويل شتاءً بعد شتاء، حتى وافته المنية هناك⁽¹⁾.

والذي توصل له الباحث، أن مجريات الأحداث تدل على أن همَّ سليمان بن عبد الملك بالإقامة في بيت المقدس، وشروعه بجمع "الناس والأموال" لا يعني بالضرورة أنها استمرت عاصمة للخلافة طيلة حياته، إذ تعددت الروايات التي تحدثت عن "همِّ" فقط، وأردفت ذلك مباشرة بالحديث عن سيره إلى دمشق، ولم تشر روايات تاريخية أو أدبية صراحة إلى إقامته طويلاً بعد البيعة ببيت المقدس، إقامة يقتضي معها ممارسته أعمال السيادة الخليفية منها، مثل؛ تحريك الجيوش، واستقبال وإرسال السفارات، وتعيين الولاة والأمراء، وما إلى ذلك، وهي من الأمور التي اهتمت بها مصادر التاريخ الإسلامي، وهذا لا ينقص من قدر بيت المقدس التي شهدت تنويعه خليفةً، واهتمامه بها من قبل ومن بعد، لكن كما أسلفنا أن الطبيعة الجغرافية وقلة مصادر المياه، وبعدها عن الهدف العسكري جعله يعدل عن رأيه. والغريب أن عثمانه نفسه قد سبق وذكر قبل محاججته تلك أن سليمان بن عبد الملك قد بنى دار الخلافة في دمشق، وجعل لها قبة صفراء⁽²⁾!!

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يتردد على بيت المقدس، محافظاً على ما اشتهر به من زهد وتخفف من المظاهر، رغم منصبه، فيروي أبو سنان: "كان عمر بن عبد العزيز إذا قدم بيت المقدس نزل الدار التي أنا فيها، ثم قال: يا أبا سنان، لا يطبخن أحد من أهل الدار قدراً حتى أخرج، وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ بصوت له حسن حزين"⁽³⁾، وكانت زيارته للمسجد الأقصى مقصورة على الصلاة والعبادة، دون

(1) عثمانة، القدس والإسلام، ص29.

(2) عثمانة، القدس والإسلام، ص24.

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج5، ص379؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج45، ص238.

القيام بزيارات بدعية مثل المتصوفة والعامّة، حتى أن طريقته تلك أثارت إعجاب الإمام الأوزاعي (ت: 157هـ/774م) فاستن بها وداوم عليها⁽¹⁾.

وسبق أن مر بنا اجتماع عمر بن عبد العزيز بعمال الخليفة السابق له، سليمان بن عبد الملك عند الصخرة، واستحلافهم، ويبدو أن سياساته المتشددة قد انسحبت على بيت المقدس، وأهلها، حيث تفرقت في المصادر نصوص تشير إلى تأثير بيت المقدس وأهلها بالسياسات، والإصلاحات المالية التي اتبعها عمر بن عبد العزيز، مثل ما حدث مع قاريء بيت المقدس إبراهيم بن أبي عُبلة (ت: 152هـ/769م) من دفعه الزكاة وقيمة الجزية معاً عن أرض كانت مجوزته⁽²⁾، وكذلك تعيين العالم الزاهد أبو طلحة الخولاني والياً على بيت المقدس⁽³⁾.

وبعد العرض السابق، يمكن الجزم بأن بيت المقدس قد شهدت فترة ذهبية في العلاقة مع الأمويين بدءاً بعهد معاوية وليس انتهاء بعهد عمر بن عبد العزيز، إذ حافظوا على مكانتها في قلوب المسلمين، ويمكن إجمال أهم ملامح تلك العلاقة بالتالي:

1. إعلان استخلاف معاوية وقيام الدولة الأموية من المسجد الأقصى.

(1) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج65، ص210. والرواية بتمامها توضح طريقته في الصلاة وزيارة المسجد: قال يزيد بن السمط: خرجت مع الأوزاعي إلى بيت المقدس، فقال لي: يا أبا السمط، لا تخبر أحداً بمكاني ها هنا، ثم أتى جباً من تلك الجباب، فاستقى دلواً من ماء فتوضأ، فجاءه ناس فقالوا: يا شيخ، اتق الله، أتتوضأ في المسجد، فلم يلتفت إليهم، ثم أتى الصخرة، فجعلها وراء ظهره، وصلى ثمان ركعات. قال: ثم صلينا فيه خمس صلوات، ثم التفت إلي فقال: يا أبا السمط، هذا فعل عمر بن عبد العزيز حين دخل هذه البلدة، ولم يأت شيئاً من تلك المواطن.

(2) أبو عُبَيْد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، كتاب الأموال، تحقيق: خليل مُجَدِّ هراس، (بيروت، دار الفكر، 1988م)، ج1، ص170. وتما الرواية: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الله بن عوف - أو ابن أبي عوف شك أبو عبيد - عامله على فلسطين، فيمن كانت بيده أرض مجزيتها من المسلمين: أن يقبض منها جزيتها، ثم يؤخذ منها زكاة ما بقي بعد الجزية، قال ابن أبي عبله: أنا ابتليت بذلك، ومني أخذ.

(3) ابن حبان، الثقات، ج4، ص220.

2. أخذ الخلفاء البيعة فيها.
3. تخصيص ولايتها بأمراء البيت الأموي أو كبار قادتهم.
4. خصها بمنشآت معمارية فريدة تخلد ذكر الأمويين وتعزيز قدسيته كقبة الصخرة والمسجد القبلي.
5. إكرام أهلها والاستعانة بهم في الأعمال الجليلة.

- بيت المقدس في أواخر العهد الأموي.

قدم إلى الخلافة يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/720-724م) بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، ولا تحفل المصادر بكثير أخبار عن علاقته ببيت المقدس، منها إشارة أنه نوى زيارة المسجد الأقصى ببيت المقدس، وطلب صحبة العالم الفلسطيني رجاء بن حيوة⁽¹⁾، الذي أشرف على بناء قبة الصخرة، وقيل أنه توفي في إزبد (من قرى دمشق) وهو في طريقه إلى بيت المقدس، وقيل غير ذلك⁽²⁾.

وكذلك ثبتت زيارة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) لبيت المقدس في خلافة والده⁽³⁾ أو في مدة خلافته نفسه⁽⁴⁾، دون تفاصيل تشير إلى مدى اهتمامه بها، رغم طول فترة خلافته التي بلغت العشرين عاماً.

ويلخص ابن كثير الحال بعد موت هشام بأنه "مات ملك بني أمية، وتولى وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله واضطرب أمرهم جداً، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحواً من سبع سنين، ولكن في اختلاف

(1) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج2، ص215.

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص168.

(3) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج62، ص231.

(4) أبو عبيد البكي الأوني، سمط اللألي في شرح أمالي القاضي، (بيروت، تصوير: دار الكتب العلمية عن طبعة 1935م)، ج1، ص165.

وهيج، وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس، فاستلبوهم نعمتهم وملكهم، وقتلوا منهم خلقاً وسلبوهم الخلافة"⁽¹⁾.

وكجزء من بلاد الشام، أثر هذا الأمر على فلسطين وبيت المقدس، وتأثرت فلسطين باضطراب البيت الأموي ونشوب الصراع فيه، حتى تطور الأمر إلى قيام الحكم بن ضبعان بن روح بن زبناح الجذامي، مع أهل فلسطين بالانضمام إلى العباسيين، والخروج على مروان بن مُجَدِّد، آخر خلفاء بني أمية (127-132هـ/744-750م)، فأرسل مروان إليه يزيد بن سليمان بن عبد الملك لحربه، وردّه إلى الطاعة، فالتقى الجيشان عند نهر أبي فطرس⁽²⁾، فهُزِمَ الحكم، وانتقل بجيشه إلى بيت المقدس وأغلقها في وجه يزيد بن سليمان، فحاصرها يزيد حتى افتتحها⁽³⁾، لكن هذا الانتصار لم يغيّر شيئاً في حركة تقدم العباسيين بقيادة عبد الله بن علي، الذين طاردوا الخليفة مروان بن مُجَدِّد من الشام إلى مصر حتى قتلوه هناك.

دخلت بيت المقدس عهداً جديداً تحت ولاية الدولة العباسية، أما الأمراء الأمويون من أهل فلسطين والشام فقد تعرضوا لمجزرة كبيرة على يد العباسيين في قلعة قديمة قرب نهر أبي فطرس، وبذلك قضى على آخر فلولهم في فلسطين والشام⁽⁴⁾، وبخروج بيت المقدس وبلاد الشام من الحقبة الأموية، ودخولها العهد العباسي، تفقد بيت المقدس جزءاً كبيراً من الاهتمام الذي اعتادت عليه، إذ اتخذ العباسيون من

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص387.

(2) نهر أبي فطرس: بضم الفاء وسكون الطاء وضم الراء، سمي في العهد الروماني باسم مدينة (انتباترس) المنشأة عليه، وسماه العرب أبي فطرس، وعرف في حقبة لاحقة باسم الطواحين، وفيما بعد باسم نهر العوجاء، ويسمى في عصرنا نهر البركون. يبعد (12) ميلاً شمالي الرملة، ويجراه من الشرق إلى الغرب، ويصب في بحر الروم (المتوسط)، منابعه من رأس العين، ويعد أطول أنهار فلسطين الساحلية. اليعقوبي: البلدان، ص116؛ ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص315؛ قسطنطين خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية، ص133؛ Sharon, M., Nahr Abi Futrus, The Encyclopedia of Islam, vol. 7, pp. 910-911.

(3) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج65، ص209.

(4) حول نهاية الدولة الأموية في فلسطين وقيام الدولة العباسية، ينظر بتوسع: شريف أمين أبو شمالة، تاريخ فلسطين في العصر العباسي، (القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، ط1، 2011)، ص21-54.

العراق حاضرة لدولتهم، فنالت اهتمامهم وكان لها النصيب الأكبر في العمران، أما بلاد الشام وأجنادها فنظروا إليها بعين الريبة والشك⁽¹⁾.

وفي خاتمة هذا المبحث، يمكن القول أن بيت المقدس كانت محل اهتمام الخلفاء الأمويين في الجملة وفي غالب سني الفترة الأموية، هذا الأمر كان له أثر مباشر وواضح على العمران الكمي والنوعي للمدينة، وتحويلها إلى عاصمة للخلافة، أو عاصمة للجند على أقل تقدير، ولم تعان المدينة إلا في أواخر سنوات الحقبة الأموية، نظراً لما مرت به الدولة من اختلال واضطرابات ومنازعات، أفقدتها القدرة على استمرار الاهتمام بالمدينة حتى خروج العباسيين عليهم بثورتهم، معلنين دولتهم الجديدة.

(1) عن علاقة العباسيين بفلسطين، ينظر بتوسع: شريف أمين أبو شمالة، تاريخ فلسطين في العصر العباسي، (القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، ط1، 2011).

الفصل الثالث

تطور عمران وعمارة بيت المقدس في صدر الإسلام

المبحث الأول: عمران وعمارة بيت المقدس في العهد الراشدي

المبحث الثاني: عمران وعمارة بيت المقدس في العهد الأموي

المبحث الأول:

عمران وعمارة بيت المقدس في العهد الراشدي

تبين في الفصل السابق التغيرات السياسية والاجتماعية التي حلت بمدينة بيت المقدس، ومجتمعها الجديد خلال العصر الراشدي، وكيف أثر ذلك عمرانياً على المدينة، بحيث أصبح هناك حاجة ملحة لمرافق تلبي احتياجات وخصوصيات سكان المدينة، دون أن يخل المسلمون بعهد الفتح الممنوح لسكان المدينة الأصليين، وفي هذا المبحث سيتم تناول الجوانب العمرانية التي أحدثها المسلمون في هذا العهد، أو ما يمكن تسميته "بواكير العمران الإسلامي في بيت المقدس"، وهو ما سيتم تناوله في هذا المبحث.

- الجامع: جامع عمر في المسجد الأقصى.

كان من أهم الإجراءات التي اتخذها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عقب دخوله مدينة بيت المقدس فاتحاً، رغم قصر المدة التي قضاها هناك، وهي عشرة أيام حسب أكثر الروايات تقديراً، أنه لم يغادر بيت المقدس حتى أسس المسجد للمسلمين فيها، أو على الأقل حدد مكانه وخطته (مخططه)، وتعددت الروايات بشكل كبير حول ظروف بنائه المسجد الذي عرف باسم "مسجد عمر"، أو ما يمكن اعتباره مصلى المسلمين الأول في منطقة المسجد الأقصى، ولا يخلو تعدد الروايات من أثر مصالح الرواة عليها، مما يستدعي مزيداً من التحري والتدقيق في تناولها.

يمكن القول أن أقدم الروايات التي وصلتنا عن بناء هذا المسجد، لم تهتم بالتفاصيل التي ذكرتها روايات متأخرة عنها، فمن أولى الروايات المبكرة ما أورده مقاتل بن سليمان (ت: 150هـ/767م) في تفسيره بأن بيت المقدس كان خراباً إلى أن عمره الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: "وخرّب بيت

المقدس فلم يعمر حتى بناه المسلمون في زمان عُمر بن الخطاب⁽¹⁾، ويقدم الواقدي (ت: 207هـ/822م) رواية أخرى، مختصرة أيضاً، بأن عمر بن الخطاب "دخل إليها [لبيت المقدس] وكان دخوله يوم الإثنين وأقام بها إلى يوم الجمعة، وخط بها محراباً من جهة الشرق، وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة"⁽²⁾.

وهكذا، نرى أن هاتين الروايتين المبكرتان، لم تقدمنا لنا معلومات تفصيلية عن ظروف البناء واختيار المكان، ثم نلاحظ ظهور الروايات التي تتحدث عن ظروف بناء المسجد، واختيار موقعه، بشيء من التفصيل، ولعل أقدم تلك الروايات المتأخرة ما يقدمه أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ/839م)، وفيها: "جاء عُمر ومعه كعب، فقال: يا أبا إسحاق، أتعرف موضع الصخرة؟ فقال أدزع من الحائط الذي يلي وادي جهنم كذا وكذا ذراعاً، ثم احنفر، فإنك تجدها، قال: وهي يومئذ مزبلة فحفروا فظهرت لهم، فقال عُمر لكعب: أين ترى أن نجعل المسجد؟ - أو قال: القبلة - فقال: اجعلها خلف الصخرة، فتجمع القبلتين: قبلة موسى عليه السلام، وقبلة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: ضاهيت اليهودية يا أبا إسحاق، خير المساجد مقدمها قال: فبناها في مقدم المسجد"⁽³⁾.

ويقدم المؤرخ النصراني، بطريك الاسكندرية، أفتيشيوس (Eutychius) المعروف بابن البطريق (ت: 328هـ/940م)، رواية تفصيلية أخرى تختلف كلياً عن رواية أبي عبيد السابقة، تجعل من بطريك بيت المقدس صفرونيوس (Sophronius) (ت: 17هـ/638م) هو من أشار على عمر بن الخطاب في مكان بناء المسجد، ومفاد روايته الطويلة، أن عمر حين فتح بيت المقدس، جلس وأصحابه في كنيسة القيامة، ثم أراد أن يصلي، فعرض عليه صفرونيوس الصلاة مكانه في كنيسة القيامة فرفض، فعرض عليه

(1) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحادة، (بيروت، دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ)، ج1، ص132.

(2) الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص233.

(3) أبو غنيد، كتاب الأموال، ص202.

الصلاة في كنيسة قسطنطين فرفض، ثم صلى خارج كنيسة مار قسطنطين على واحدة من درجاتها، معللاً ذلك حتى لا يأخذ المسلمون الكنيسة كمسجد، وكتب لصفرونيوس كتاباً بألا يصلي أحد من المسلمين في هذا الموضع (درجة الكنيسة) إلا فرادى، وكتب له كتاباً بذلك، "ثم إن عمر قال له: قد وجب لي عليك حق ودمام، فأعطيني موضعاً أبني فيه مسجداً، فقال له البطرك: أنا أعطي أمير المؤمنين موضعاً يبني فيه مسجداً عجز ملوك الروم عن بناه، وهي الصخرة التي كلم الله يعقوب عليها وسماها يعقوب باب السماء، وسماها بنو إسرائيل قدس القدس [هكذا] وهي في وسط الأرض، وكانت هيكلاً لبني إسرائيل وكانوا بنو إسرائيل يعظمونها، وحيثما إذا صلّوا تكون وجوههم إليها على أن تكتب لي سجلاً أن لا يبني في بيت المقدس غير هذا المسجد وحده، فكتب عمر بن الخطاب له بهذا سجلاً ودفعه إليه، وكانوا الروم لما تنصروا وبنيت هيلانة أم قسطنطين الكنائس في بيت المقدس كان موضوع الصخرة وحولها خراب، فترك ورموا على الصخرة التراب حتى صار فوقها مزبلة عظيمة.... وأخذ صفرونيوس بيد عمر بن الخطاب فأوقفه على المزبلة فأخذ عمر بطرف ثوبه فمأله تراباً رمى به في وادي جهنم، فلما نظروا المسلمين إلى عمر بن الخطاب قد حمل التراب في حجره لم يتأخر أحد من هؤلاء المسلمين حتى حمل التراب في حجره وفي الثياب والأتراس وفي الزناويل والأجانين، حتى نقوا الموضع ونظفوه واستبان الصخرة. فقال قوم: نبني المسجد ونصير الصخرة في القبلة، فقال عمر: لا بل نبني المسجد ونصير الصخرة في آخر المسجد. فبنى عمر المسجد ونصير الصخرة في آخر المسجد"⁽¹⁾.

الروايتان الأخيرتان وغيرهما من الروايات اللاحقة كالتى يذكرها الطبري، تتفقان في وجود شخص عمل كدليل وكان الموجه لعمر في اختيار مكان المسجد الأول "مسجد عمر"، لكنهما تفترقان في تحديد هوية هذا الشخص، ففي حين تجعله الرواية الأولى كعب الأحبار ذو الأصول اليهودية، تدعي الرواية الثانية

(1) ابن البطريق، التاريخ، ج2، ص17-18.

أنه بطريك بيت المقدس صفرونيوس (Sophronius)، وكلا الروايتان يبدو عليهما الضعف، مما يجعلهما غير مقبولتين، لعدة أسباب، منها:

أولاً: لم تكن بيت المقدس مجهولة للعرب قبل الإسلام أو الفتح، فهم يعرفونها جيداً، وكان بعض أشرف العرب يقيمون فيها، وكما كانوا كثيري التردد عليها للتجارة أو الإقامة، خلال رحلة الصيف المذكورة في القرآن الكريم، وتحديداً في سورة قريش، وترد كثير من الأسماء والإشارات التي تؤيد ذلك لكنها متفرقة ومبتوثة في المصادر اللغوية والأدبية والتاريخية⁽¹⁾، ولعل أهم ما يؤشر على أن عمر لم يكن بحاجة لمن يدلّه على مكان الصخرة هو معرفة العرب بمكان المسجد الأقصى، بدليل طلبهم من النبي ﷺ أن يصفه لهم، ثم تأكيدهم على صحة وصفه، ففي الحديث بعد أن يخبر النبي أهل مكة برحلته إلى بيت المقدس، يسألونه: "وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ "، قَالَ: "فَجِئْتُ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِمَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ فَنَعْتُهُ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ"، قَالَ: "كَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ " قَالَ: " فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ " ⁽²⁾.

ثانياً: إن الصخرة التي تزعم الروايتان أن كعباً أو صفرونيوس قد دلّأ عمر عليها، كانت واضحة ويمكن رؤيتها بسهولة زمن الفتح، فهي قمة التل الذي يقوم عليه المسجد الأقصى حالياً (صخرة بيت المقدس) أو ما يعرف ببعض المراجع الأجنبية باسم (Mount of Moriah)، فمن الصعب التسليم بأنها كانت مغطاة بالكامل لدرجة أن يتعذر التعرف عليها، كما أن أحد الذين زاروا المدينة في القرن الرابع الميلادي، خلال الفترة الرومانية في عهد الإمبراطور قسطنطين، وهو الحاج بوردو (Bordeaux

(1) للمزيد عن علاقة عرب الجزيرة بفلسطين وبيت المقدس واستقرارهم بها ومعرفتها قبل الفتح، ينظر: عنامة، فلسطين في خمسة قرون، ص12-18.

(2) ابن حنبل، المسند، ج5، ص28-29؛ أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 2001)، ج10، ص147.

(Pilgrim) تحدث عن رؤيته قمة الجبل، وقد بدت كحجر مثقوب⁽¹⁾، وهو الوصف الذي ينطبق على الصخرة المشرفة التي تشكل قمة جبل الحرم بأبعاد حوالي (13.50*17.70) متر، ويقع أسفل منها كهف مساحته حوالي (4.5) متر مربع ومتوسط ارتفاعه (3) أمتار⁽²⁾.

ثالثاً: تثير الظروف التاريخية والسيرة الذاتية لشخصية كعب الأبحار العديد من الشكوك لدى الباحث، ودوره المزعوم، فالواقدي (ت: 207هـ/822م) الذي تحدث عن تخطيط عمر بن الخطاب للمسجد، لم يذكر شيئاً عن دور كعب الأبحار في إيجاد الصخرة، بل ذكر ما ينفي ذلك، رغم ذكره لمعلومات متعلقة بكعب وإسلامه، فذكر أنه شخصية يهودية تتمتع بعلم واسع بأخبار بني إسرائيل، وكان وجوده في إحدى قرى فلسطين أثناء الفتح، ثم أنه قدم على عمر بيت المقدس ليعلن إسلامه، فكان عمر قد فرغ للتو من صلاته بأصحابه "عند الصخرة"⁽³⁾، مما يؤكد ما ذهبنا إليه من غرابة أن يكون له دور في تحديد الصخرة أو المسجد وموضعه. كما أن كعباً كان من يهود اليمن، جنوب الجزيرة العربية، ولم يدخل بيت المقدس قبل الفتح⁽⁴⁾، فكيف له أن يدل غيره على معالم مدينة لم يعهدها.

رابعاً: ما ذكره ابن البطريق، من قصة إرشاد صفرونيوس لعمر إلى المكان الذي يحسن أن يقيم فيه المسجد، بعد طلب عمر منه ذلك، والتفاصيل الكثيرة غير المنطقية كتعدد التعهدات التي كتبها وسلمها عمر لصفرونيوس، والصلاة على درجة باب الكنيسة فرداً فرداً، فالنزعة الخيالية ظاهرة فيها، فضلاً عن وضوح الغرض الديني من سوق تلك الروايات التي تختلف كلية عن روح الأحداث والسياق التاريخي للرواية،

Hunt Janin, Four Paths to Jerusalem: Jewish, Christian, Muslim, and Secular (1) Pilgrimages, 1000 BCE to 2001 CE, (McFarland, 2002), p. 60.

(2) خالد مطلق عيسى، القيم الجمالية وهندسة العمارة في مسجد قبة الصخرة المشرفة وسبل الاستفادة منها في العمارة المعاصرة، رسالة ما جستير غير منشورة (غزة، الجامعة الإسلامية، 2011م)، ص 62.

K.A.C. Creswell, A short Account of Early Muslim Architecture, (Beirut, librairie du Liban, 1968), p. 17.

(3) الواقدي، فتوح الشام، ج 1، ص 233-235.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 489.

إضافة إلى ما سبق، فإن تلك الرواية لا تسردها أي من المصادر الإسلامية المبكرة التي كانت أقرب إلى الحدث، لا بشكلها الحالي أو بشكل قريب، بل تخالفها، ولا يمكن إغفال الدافع الديني وراء قيام اليهود والنصارى بتأليف مثل هذه القصص، خصوصاً حالة الصراع التقليدي بين اليهود والنصارى، أو حتى النصارى أنفسهم.

ويبقى القول أن اختيار هذا المكان ليقم عليه المسلمون مسجدهم الأول بعد فتح بيت المقدس جاء في الحافة الشرقية من مدينة بيت المقدس، ويرى الباحث هيثم الرطوط أن منطقة المسجد الأقصى حيث أقام عمر المسجد الأول فيها، كانت تقع خارج حدود المدينة البيزنطية أي إلى الشرق منها، وقد كانت منطقة مهدامة ومخللة منذ تدميرها من قبل القائد الروماني تيطس (Titus) عام 70 م إثر ثورة قام بها اليهود، فعمد عمر إلى إزالة الأنقاض وتسوية المنطقة لإقامة المصلى الجديد "مسجد عمر"، وهو بذلك يحقق التزاماً عالياً بالعهد التي منحها للنصارى بأن يبني المسجد خارج حدود المدينة (إيلياء)، ويعيد إحياء مسرى النبي محمد ﷺ في المسجد الأقصى، وفي الوقت نفسه، يخالف هذا الإجراء ما اعتاد عليه المسلمون من إقامة مسجد المدينة الجامع في مركزها؛ مثل ما حدث في دمشق، وغزة، ونابلس، بل أقامه في طرفها⁽¹⁾.

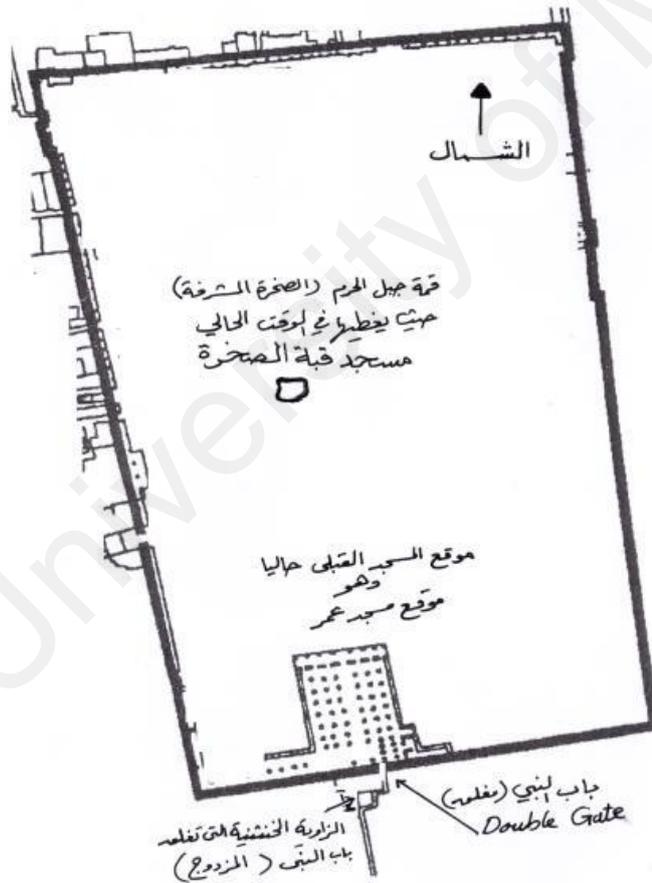
- موقع جامع عمر.

ذكر الواقدي (ت: 207هـ/822م)، أن مسجد عمر كان في الجهة الشرقية ذاكراً من أن عمر قد "خط بها محراباً من جهة الشرق، وهو موضع مسجده"⁽²⁾، وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام

(1) Al-Ratout, The Architectural, pp.220-221.

(2) الواقدي، فتوح الشام، ج 1، 233.

(ت:224هـ/839م) في معرض روايته عن ظروف اختيار موقع المسجد أن عمر بن الخطاب رفض بناء مسجده خلف الصخرة (أي في الجهة الشمالية من منطقة المسجد الأقصى)، بل اختار مقدمة المسجد ليبنى مسجده، أي على الحد الجنوبي لمنطقة المسجد الأقصى قائلاً: "خَيْرُ الْمَسَاجِدِ مُقَدَّمُهَا، ... فَبَنَاهَا فِي مُقَدِّمِ الْمَسْجِدِ"، وعليه يكون موقع مسجد عمر الأول في الجهة الجنوبية من منطقة المسجد الأقصى، ويمكن الجزم أنه كان في موقع لا يتعدى كثيراً الجامع القبلي الحالي لأسباب منها الروايتان السابقتان عن موقعه، كما أن الروايات الإسلامية لم تذكر أن المسلمين قد نقلوا مسجد عمر من مكانه، ومن المعروف أن المسلمين قد اعتادوا على توسعة المساجد مع المحافظه على موقعها الأول كما حدث مع المسجد النبوي في توسعته المتكررة.



شكل 3. 1: موقع مسجد عمر في منطقة المسجد الأقصى في العهد الراشدي

المصدر: إعداد الباحث

ويشير الباحث الرطوط إلى أنه من الضروري التنبه بأن منطقة المسجد الأقصى كانت
أطلالاً زمن الفتح، والتسوية الجنوبية لم تكن قائمة قبل القرن الثامن الميلادي، وبالتالي فإن مسجد
عمر كان في مستوى باب النبي (تسميه المراجع الأجنبيه الباب المزدوج: The Double
Gate)، أي أنه منخفض أكثر من ستة أمتار عن مستوى أرضية المسجد الأقصى حالياً⁽¹⁾.

- عمارة مسجد عمر.

لم تحفل المصادر الإسلامية الأولى بذكر تفاصيل أو وصف لمسجد عمر وعمارته، ولعل الوصف
الوحيد المتوفر لمسجد عمر، هو ما ذكره الحاج الفرنسي القادم من بلاد الغال (Gaul) الأسقف أركولف
(Bishop Arculf) حين زار مدينة بيت المقدس حوالي عام (50هـ/ 670م)، أي في أوائل عهد
الدولة الأموية (41-132هـ/ 661-750م) وتছিدياً في عهد معاوية بن أبي سفيان كأول خليفة أموي،
فوصف موقع المسجد بأنه في منطقة السور الشرقي للمدينة، إذ "أقام المسلمون بيتاً مربعاً للصلاة، مبنياً
بطريقة خشنة، وذلك برفع العوارض والألواح الخشبية على بعض بقايا الأطلال القديمة، هذا مكان
عبادتهم، ويقال أنه يتسع لثلاثة آلاف رجل"⁽²⁾.

(1) Al-Ratout, The Architectural, pp.422-423.

Thomas Wright, Early Travels in Palestine: Comprising the Narratives of Arculf, (2) Willibald, Bernard, Saewulf, Sigurd, Benjamin of Tudela, John Maundeville, de la Brocquiere, and Maundrell, (London, Bohn, 1848), pp.1-2; James Rose Macpherson, The Pilgrimage of Arculfus in the Holy Land, (London, Palestine Pilgrimes' Text Society, 1895), pp.4-5.

الوصف السابق الذي يقدمه أركولف لمصلى المسلمين الأول في منطقة المسجد الأقصى، يكشف

عن عدد من الجوانب المعمارية للمسجد يمكن الوقوف عليها كالتالي:

1. من حيث الأسلوب المعماري، لم يكن أسلوب البناء المتبع في المسجد متأثراً بالعناصر المحلية، فرغم أن تقنية البناء السائدة في فلسطين آنذاك قائمة على استخدام الحجارة، واهتمام شديد في الشكل كما في الكنائس البيزنطية، إلا أن المسلمين قد بنوا المسجد بتقنيات مختلفة تمثلت باستخدام مواد من الأخشاب التي رفعوها على بقايا مبانٍ مهدمة من فترات سابقة، بطريقة بسيطة لم تهتم بالزخرفة أو الفخامة، مما دعى أركولف لوصفه بالخشونة أو الفظاظية حسب الترجمات الإنجليزية لرحلته⁽¹⁾، ولا شك أن هذا الوصف القاسي فيه انعكاس نفسي بعد أن زار أركولف عدداً من الكنائس المسيحية المنتشرة في بيت المقدس والتي امتازت بقوة البناء والأناقة.

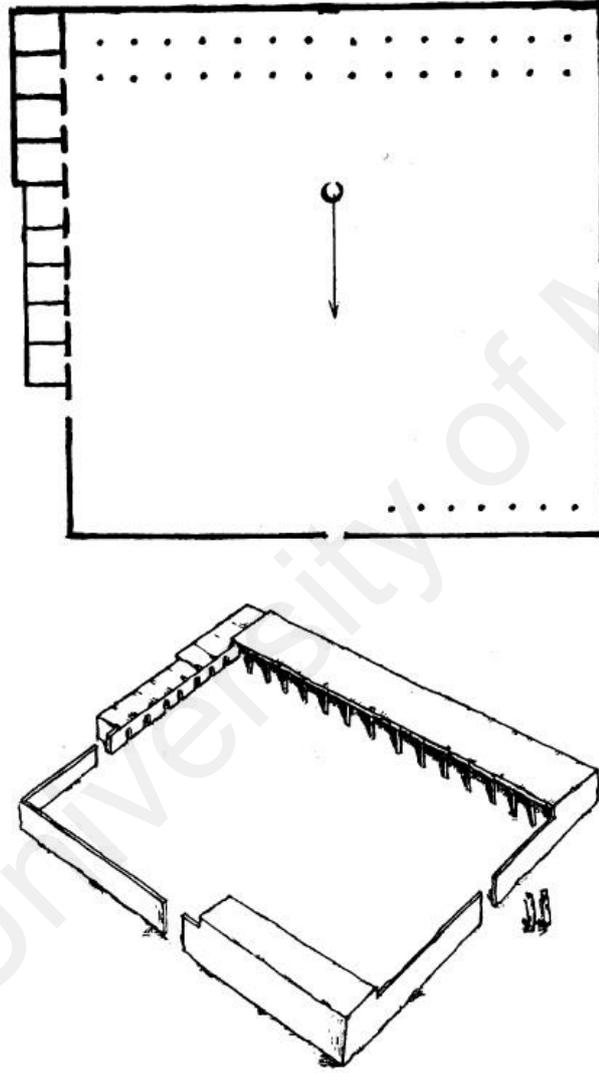
2. يظهر تأثير واضح في أسلوب بناء المسلمين لمسجد عمر بنمط بناء المسجد النبوي من حيث التخطيط وعناصر الإنشاء التي امتازت بالبساطة، فكان مخطط المسجد في عهد النبي مربعاً (مائة ذراع في مائة ذراع) أي تبلغ مساحته حوالي 2500 متراً مربعاً، أما من حيث عناصر الإنشاء، فقد جعلت أساساته من الحجارة وجدرانها من اللبن وأعمدته من جذوع النخل، وبلغ ارتفاع سقفه سبعة أذرع، وقد تم تغطية أروقة الصلاة وترك فناءه مكشوفاً⁽²⁾. (انظر شكل 3. 2). وبالمقارنة، نرى تأثيراً واضحاً بالمسجد النبوي في أسلوب البناء سواء في المخطط والشكل أو تقنية البناء، حتى في المساحات، فعلى اعتبار أن مسجد عمر كان يتسع لثلاثة آلاف رجل، حسب رواية أركولف، وبتقدير المساحة التي يشغلها المصلي الواحد (70 سم * 110 سم) أي (0.77) متراً مربعاً، تكون المساحة الكلية للمسجد (0.77 * 3000)

(1) Wright, Early Travels, pp.4-5.

(2) محمد إلياس عبد الغني، تاريخ المسجد النبوي، (المدينة المنورة، ط1، 1996م)، ص 41-42.

فتبلغ مساحة المسجد 2310 متراً مربعاً وهي قريبة من مساحة المسجد النبوي البالغة حوالي 2500 متراً مربعاً.

ويمكن القول أن هذه البساطة في البناء والعمارة تأتي متوافقة مع طبيعة العهد الراشدي الذي كان عهد فتوح وجهاد بالعموم، كما أنها متوافقة مع شخصية عمر بن الخطاب بالخصوص الذي كان يميل إلى التقشف والزهد.



شكل 3. 2: المسجد النبوي في المدينة المنورة في العهد الراشدي

المصدر: فريد محمود شافعي، العمارة الإسلامية وماضيها وحاضرها ومستقبلها، (الرياض، عمادة شؤون المكتبات - جامعة

الملك سعود، ط1، 1982م)، ص2.

- التنظيم العمراني للمدينة في العهد الراشدي.

يمكن للباحث أن يلتقط بعض الإشارات الواردة في ثنايا المصادر الإسلامية ليتلمس النشاط العمراني للمدينة في عهدها الراشدي، وخصوصاً ما يتعلق بالجانب التنظيمي، كتوزيع وتعيين الفراغات ذات النفع العام، وفي هذا الأمر يمكن تحديد ثلاثة مرافق كالتالي:

- الأسواق:

ينقل ابن المرجا رواية فريدة بإسنادها الذي ينتهي إلى الصحابي سلامة بن قيسر، الذي كان والياً على بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد توفي ودفن بها واستمر عقبه بفلسطين، حسب ما تذكره كتب التراجم⁽¹⁾، وتمام رواية سلامة، "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - لما فتح بيت المقدس، وقف في رأس السوق في أعلاه، فقال: لمن هذا الصف؟ يعني: صف سوق البزازين، فقالوا: للنصارى. قال: لمن هذا الصف الغربي الذي فيه حمام السوق؟ فقالوا: للنصارى. فقال بيده هكذا: هذا لهم، وهذا لهم، يعني: النصارى، وهذا لنا مباح. يعني: السوق الأوسط الذي بين الصّفين. يعني: السوق الكبير الذي كان فيه قبة الرصاص"⁽²⁾. ويبدو أن هذا التنظيم والتخصيص استمر وقتاً طويلاً، وربما لنهاية العهد المملوكي أو بدايات العهد العثماني، نستدل على ذلك من قول مجير الدين الحنبلي (ت: 927هـ/1521م)، في كتابه الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: "والَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ المَرَادَ بِتِلْكَ الأَسْوَاقِ الثَّلَاثَةِ المَوْجُودَةِ الآنَ وَأَنَّ تِلْكَ الأَوْصَافَ القَدِيمَةَ ذَهَبَتْ وَاسْتَجَدَّ مَكَانَهَا البِنْيَانُ المَوْجُودُ فِي عَصْرِنَا وَاللهُ أَعْلَمُ"⁽³⁾.

(1) ابن حبان، الثقات، ج3، ص168؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، 1971م)، ج3، ص62.

(2) ابن المرجى، فضائل بيت المقدس، ص70.

(3) مجير الدين، الأنس الجليل، ج2، ص51.

- الأحياء (المجاورات السكنية):

رغم قلة الإشارات حول النمو العمراني للمدينة في العهد الراشدي، إلا أنه يمكن للباحث أن يفترض أن إسكان الفاتحين كان في العهد الراشدي أشبه بالمخيمات العسكرية في البداية، ثم أنشؤوا المحلات (الأحياء) للاستقرار في المدينة مستفيدين من اتساع ريف المدينة، مستدلاً على رأيه بما تقدمه الروايات التاريخية، منها ما تذكره واحدة من روايات الفتح "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ ثَابِتِ الْفَهْمِيِّ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي جَيْشٍ، وَعُمَرَ بِالْجَائِيَةِ، فَقَالَ: فَقَاتَلَهُمْ فَأَعْطَوْهُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَا أَحَاطَ بِهِ حِصْنُهَا، عَلَى شَيْءٍ يُؤَدُّونَهُ، وَيَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ مَا كَانَ خَارِجًا مِنْهَا، فَقَالَ خَالِدٌ: قَدْ بَايَعْنَاكُمْ عَلَى هَذَا، إِنْ رَضِيَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ يُخْبِرُهُ بِالَّذِي صَنَعَ اللَّهُ لَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: "أَنْ قِفْ عَلَى خَالِكَ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْكَ"، فَوَقَفَ خَالِدٌ عَنْ قِتَالِهِمْ، وَقَدِمَ عُمَرُ مَكَانَهُ فَفَتَحُوا لَهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ عَلَى مَا بَايَعَهُمْ عَلَيْهِ خَالِدُ بْنُ ثَابِتٍ"⁽¹⁾، فهذه الرواية تشير بوضوح إلى أن سكان المدينة استأثروا بما يحيط بالمدينة على أن يمنحوا المسلمين حق التصرف في تلك المساحات الريفية التي تلي ذلك المحيط، مما يعني أن المسلمين سيستفيدوا منها في إنشاء أحياء جديدة كمحلة سلوان في ريف بيت المقدس، فيقول البشاري المقدسي أن الخليفة عثمان بن عفان (ت: 35هـ/656م) قد أوقف على فقرائها عين الماء المجاورة لها والمسماة باسمها "عين سلوان"⁽²⁾، (انظر شكل 3.3).

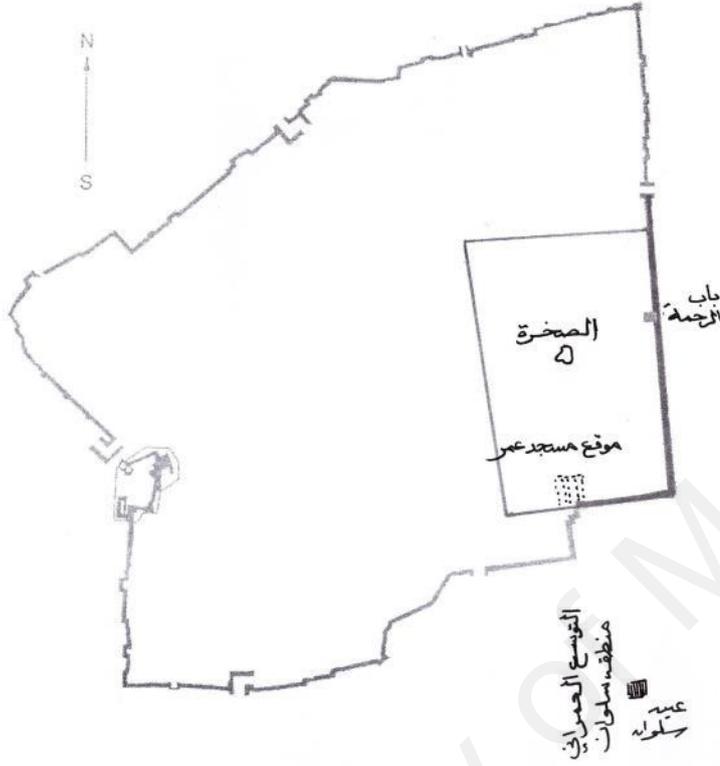
وبذلك يخالف الباحث ما ذهب إليه المؤرخ خليل عثمانة بأن الدور المُخَلَّاة، حسب العهدة، قد استوعبت أربعة آلاف من المقاتلة الذين نزلوا المدينة مع عمر بن الخطاب، ثم دفعة ثانية من الجنود الذين كانوا مع علقمة بن مجزز، ودفعات تالية من الإمدادات التي حلت على المدينة وأقامت بها⁽³⁾، وهذا طرح

(1) أبو غبيد، الأموال، ص 201.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 171.

(3) عثمانة، فلسطين، ص 27.

بعيد عن المنطق ولا تؤيده الدلائل، فليس لنا أن نتصور أن المدينة قد استوعبت دفعة واحدة آلاف الجنود بعائلاتهم.

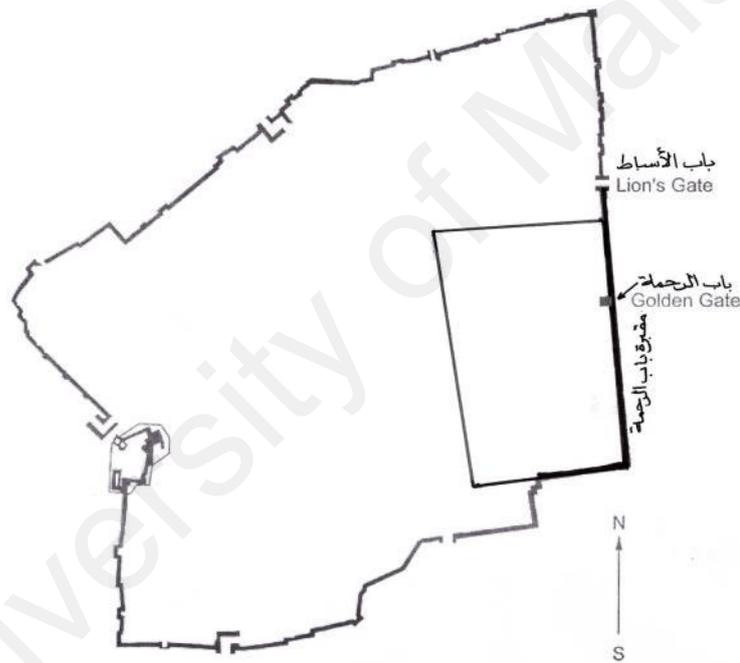


شكل 3.3: منطقة الأحياء الجديدة في العهد الراشدي، وهي حيث وقف عين سلوان. (المصدر: الباحث)

- المقبرة.

احتاج المسلمون إلى مقابر خاصة بهم، وهي من الشعائر التي ارتبطت بالدين، ولا يمكن أن يشتركوا بها مع غيرهم من الملل، وقد دلت الأخبار أن المسلمين قد رتبوا أرضاً من بيت المقدس خارج أسوار المدينة لتكون مقبرة لدفن موتاهم، وقد كانت المقبرة في حد المسجد الأقصى، وتحديدًا في الجهة الشرقية منه، إذ يقع المسجد على الزاوية الشرقية الجنوبية من المدينة، ولا ندري حدودها في العصر الراشدي لكنها في العصر الحالي تمتد من باب الأسباط حتى الزاوية الجنوبية الشرقية من المسجد، (انظر الشكل)،

وقد سماها مجير الدين الحنبلي: "مقبرة باب الرحمة"، نسبة إلى باب الرحمة الواقعة بجانبه، ولعل قربها من المسجد نابع من رغبة سكان المدينة، أو غيرهم ممن قدم أو نقل جثمانه خصوصاً ليُدفن في بيت المقدس⁽¹⁾، أن يكونوا قريبين من المسجد تبركاً وطلباً للرحمة، وقد نقلت لنا روايات متفرقة أنه دفن فيها الصحابي: عبادة بن الصامت⁽²⁾ (ت:34هـ/654م)، وكذلك شداد بن أوس (ت:58هـ/677م)، الذي يذكر عنه مجير الدين الحنبلي (ت:927هـ/1521م): "وقبره ظاهر ظاهر بيّت المُقدَّس يزار في مقبره باب الرِّحْمَة تحت سور المَسْجِدِ الأَقْصَى"⁽³⁾، مما يدعم القول بأن إنشاء المقبرة وتحديد مكانها منذ العهد الراشدي. (شكل 3. 4)



شكل 3. 4: موقع مقبرة الرحمة في العهد الراشدي حيث دفن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس رضي الله عنهما

(1) تتعدد الإشارات حول حرص المسلمين على الدفن في بيت المقدس سواء بانتقالهم إليها في آخر حياتهم، أو نقل جثمانهم إليها، مثل ما فعل الإخشيديون وغيرهم، وللأمثلة انظر: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، كتاب الولاية والقضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد الزبيدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م)، ص 214؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج59، ص 435؛ أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م)، ج1، ص308، ج3، ص226.

(2) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج2، ص419.

(3) مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص263.

وفي ختام هذا المبحث، يتبين جلياً ملامح النشاط العمراني والمعماري الذي شهدته مدينة بيت المقدس في عهدها الراشدي بدءاً من تحديد مكان المسجد الأقصى وإقامته بشكله الأولي البسيط، دون تأثر بالعمارة المجاورة، كذلك قيام المسلمين بتخصيص الفراغات للمنافع العامة من مقبرة وسوق ومجاورات سكنية، ويتضح في هذا المبحث أيضاً أن المسلمين استطاعوا أن يلبوا احتياجاتهم العمرانية في مستواها الاجتماعي والروحي والوظيفي، وأن يبدأوا بتشكيل الهوية العمرانية والمعمارية لمدينة بيت المقدس، في إطار مكون من أربعة أضلاع كانت كالتالي:

أولاً: الالتزام بنود ونصوص العهدة العمرية وما اقتضته من إجراءات وترتيبات لاحقة.

ثانياً: الاهتمام بالجانب الوظيفي للعمران على الجانب البصري (الشكلي) مما انعكس في صورة

من البساطة والزهد.

ثالثاً: الاستقلال في الأساليب الإنشائية، مما يعني أن مساحة التأثر بالعمارة المحلية كانت قليلة.

رابعاً: البحث عن فضاءات جديدة للنشاط العمراني بما لا يلغي الآخر، وفي هذا ميزة حضارية لم

تشهد لها بيت المقدس مثيلاً من قبل إذ كان عهد بيت المقدس بالغزاة والفتاحين يقوم على تدمير إرث الأمة

السابق وربما نزعته من أساسه.

المبحث الثاني:

عمران وعمارة بيت المقدس في العهد الأموي.

بات جلياً - من خلال الفصل السابق- مدى الاهتمام والتبجيل العظيم الذي أولاه غالب خلفاء وولاة الدولة الأموية تجاه بيت المقدس، وهو ما انعكس عليها في نهضة عمرانية ومعمارية نحاول تتبعها والكشف عن تفاصيلها وتاريخها من خلال هذا المبحث، معتمدين على ما حفظته بطون المصادر من أخبار وروايات، وما جادت به باطن الأرض من آثار دلت على عمران وعمارة تلك الحقبة من تاريخ بيت المقدس.

ولا بد من التذكّر بأن الاضطلاع بشرف رعاية بيت المقدس والقيام على شأنها، كان من وسائل تدعيم شرعية الأمويين وخلافتهم، إذ ورد في بعض كتب الفقه أن من شروط صحة الخلافة، امتلاك المسجدين؛ المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ففي رواية منسوبة إلى يحيى ابن التابعي الفلسطيني أبو عمرو السيباني يقول فيها: "ليس من الخلفاء من لم يملك المسجدين؛ مسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس"⁽¹⁾. ولا شك أن أحاديث ومرويات فضل المسجد الأقصى، وجعله من المساجد المعدودة التي يشد إليها الرحال قد عززت توجه الأمويين بالقيام بنهضة عمرانية في المسجد الأقصى الذي كان محطة رئيسية لزيارات المتعبدين والحجاج إليه من كافة أصقاع أرض الخلافة، ولا عجب أن تلك النهضة لم تقتصر على العمارة الدينية في المسجد الأقصى من مصلى وقباب ومداخل، بل امتدت للعمران المدني والإداري الذي اتخذ مكانه في المنطقة الجنوبية الملاصقة للمسجد الأقصى كما دلت على ذلك الاكتشافات الأثرية، وسيتناوله هذا المبحث بالدراسة والتحليل.

(1) نعيم بن حماد المروزي، الفتن، تحقيق: سمير أمين الزهيري، (القاهرة، مكتبة التوحيد، ط1، 1412هـ)، ص104.

- تطور العمران في منطقة المسجد الأقصى .

شهدت منطقة أو مجمع المسجد الأقصى (Al-Aqsa Mousque Enclave) أو ما تسميه المصادر المتأخرة "الحرم الشريف"⁽¹⁾ اهتماماً أمويًا انعكس عليه بحجم النشاط العمراني، على هيئة مبانٍ وإنشاءات تلي الوظائف الحيوية للمسجد، ومفهوم المسجد الأقصى كما سيتناوله الباحث، هو كل ما دار حوله سور المسجد، وما اشتملت عليه الساحات من الجامع القبلي، وقبة الصخرة، وقبة السلسلة، وغيرها من القباب، والبوابات، والتسويات (Basements)، والآبار والصهاريج، سواء التي بقيت على حالها أو بقيت آثارها، وكان أعظمها بلا منازع تلك التي شيدها الخليفة عبد الملك بن مروان، وتابعه على عمارتها والاعتناء بها الخلفاء الأمويون من بعده، ولا سيما ابنه الوليد بن عبد الملك.

ومما يجدر ذكره في هذا المقام، أن جميع المراجع والدراسات الأجنبية، التي اطلع عليها الباحث خلال هذه الدراسة تشير إلى المسجد الأقصى باسم (الحرم الشريف)، بينما تشير للجامع القبلي باسم المسجد الأقصى، وهو ما تتبناه الدوائر الحكومية التابعة لدولة الاحتلال الإسرائيلي، وفي هذا الأمر الكثير من الخطورة التي تهدد باقي المقدسات في المسجد الأقصى، إذ تصوغ هذه المفاهيم الخاطئة -للاحتلال، والحركات المتطرفة- تقاسم المسجد والاستيلاء على قبة الصخرة وغيرها من المعالم، بدعوى إقامة معبد يهودي مكانها.

وقد لاحظ الباحث أيضاً خلطاً غير مقصود في المصادر الإسلامية بين المسجد الأقصى (بمفهومه الصحيح) وبين الجامع القبلي الذي يقع على جدار القبلة من المسجد الأقصى، الأمر الذي انعكس سلباً على دقة كثير من الكتابات والأبحاث التي تناولت المسجد بالدراسة في الفترات المتأخرة، مما استدعى من

(1) انظر مثلاً: مجير الدين ، الأئس الجليل، ج2، ص297.

الباحث جهداً إضافياً بإمعان النظر في نصوص المصادر وتحليلها واختبارها ومقارنتها بالواقع، لفض
الاختلاط وتحديد المقصود من النص، إن كان المسجد الأقصى أم الجامع القبلي، ووجد الباحث أن الرحالة
والمؤرخ محمد بن أحمد المقدسي (ت: نحو 380هـ/990م) كان حذراً من الوقوع في ذلك الخلط، فأطلق
اسم "المغطى" أي المسقوف على الجامع القبلي، تمييزاً له عن المسجد الأقصى المكشوف في غالبه، حاله
حال المساجد الأولى حيث كانت عبارة عن ساحة مكشوفة مغطى منها الجزء القبلي⁽¹⁾.

ويمكن القول أن أهم ملامح التطور المعماري الذي شهده المسجد الأقصى في العهد الأموي هو
تحديده بشكل دقيق وتوسعته إلى الجهة الشمالية، حسب ما دل على ذلك قول ابن خلدون في تاريخه:
"وفي سنة خمس وستين من الهجرة زاد عبد الملك في المسجد الأقصى، وأدخل الصخرة في الحرم"⁽²⁾. وقد
أيدت تلك الرواية الكشوف الأثرية التي أجريت على منطقة المسجد الأقصى وتبين بها أن السور الشمالي
يختلف عن بقية الأسوار؛ الشرقية، والجنوبية، وأجزاء كبيرة من السور الغربي، التي بنيت على أساسات
أقدم، وأمكن تمييز ذلك بمقارنة حجم الحجارة، وطريقة قصها وتثبيتها فضلاً عن العلامات الخاصة بها، وفي
هذا ينقل المقدسي: "وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقي نحو القبلة أساسه من عمل داود"⁽³⁾،
طول الحجر عشرة أذرع وأقل، منقوشة موجهة مؤلفة صلبة، وقد بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان
وشرفوه"⁽⁴⁾ أي: جعلوا له شرفات. وفي العهد الأموي كان للمسجد مداخل متعددة، حتى أن بعض
الروايات توصلها إلى خمسين باباً⁽⁵⁾، لكن الأبحاث الأثرية تثبت عدداً أقل من هذا، وربما أرادت بهذا العدد

(1) للمقارنة مع مساجد صدر الإسلام، انظر ملحق رقم (3).

(2) ابن خلدون، تاريخ، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج2، ص 270.

(3) دلت الكشوف والأبحاث الأثرية أن هذه الحجارة تعود للفترة الرومانية المتأخرة، ويبدو أن المقدسي متأثر بهذه الرواية بتراث الإسرائيليات التي كانت رائجة في حينه.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص168.

(5) مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص281.

أبواب الجامع القبلي مع أبواب المسجد، كما انتشرت آبار المياه والصحاريح في ساحات المسجد الأقصى وبلغ عددها عشرين إلى أربعة وعشرين بئراً، ربط بينها شبكة من القنوات، كذلك فإن عدداً من المطاهر قد أحاطت بالجامع، واحتوى المسجد على عدد قليل من القباب التي استخدمت لغرض الوقاية من الحر والمطر كمظلات⁽¹⁾.

بقي القول أن المسجد الأقصى قد تحدد شكله في العهد الأموي بالتوسعة الشمالية، وبقي على ما هو عليه كمنطقة محددة (Enclave) على شكل شبه منحرف، أطوال أضلاعه كالتالي: الجنوبي: 281م، الشمالي: 310م، الشرقي: 462م، الغربي: 491م، وبمساحة إجمالية تعادل (142000) متراً مربعاً⁽²⁾، أما أهم معالم المسجد الأقصى الأموية، فهي كالتالي:

1. الجامع القبلي (المغطى).

وهو قاعة الصلاة الرئيسية في المسجد الأقصى، تتركز على الجدار الجنوبي للمسجد باتجاه القبلة، وهي عبارة عن أروقة متجاورة، امتدت طولياً من الجنوب إلى الشمال، بلغت حسب الدراسات الأثرية والتاريخية، خمسة عشر رواقاً، يتوسطها رواق أكثر ارتفاعاً من السبعة الشرقية والسبعة الغربية، وعليه تكون مساحة الجامع القبلي في عهده الأموي ضعف مساحة الجامع القبلي الحالي أو يزيد. (انظر الشكل 3.5، 3.6)

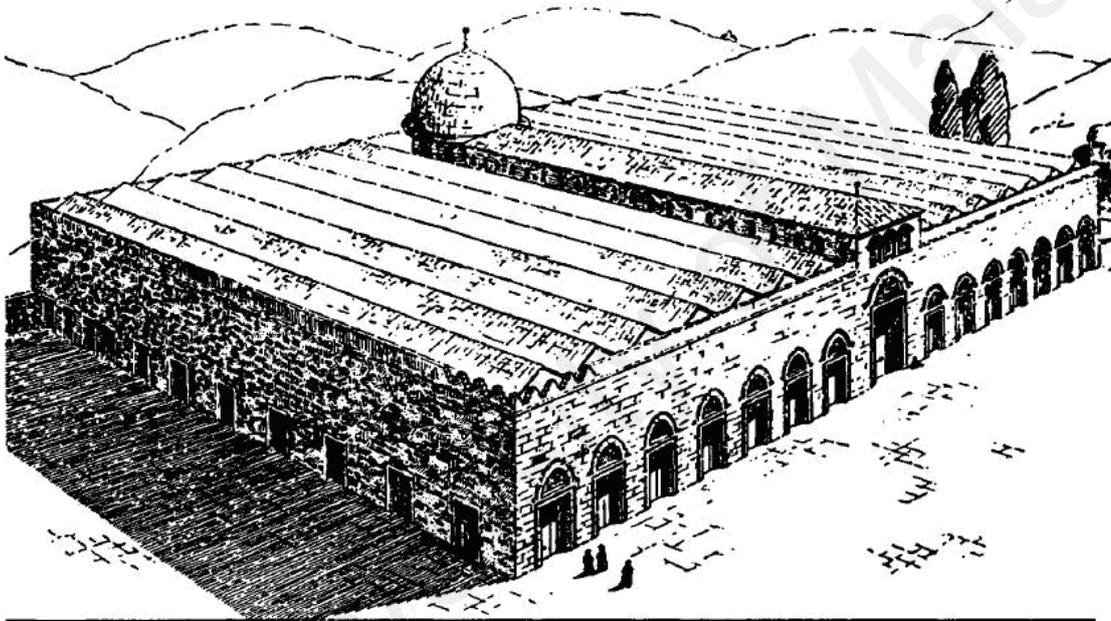
(1) المصدر نفسه.

(2) مروان أبو خلف، التطور المعماري لمدينة القدس في الفترة الإسلامية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع18، (2010)، ص11-40.



شكل 3. 5: الجامع القبلي في الوقت الحالي، ويظهر في الصورة أنه مكون من سبعة أروقة أوسطها أعلى من البقية،

والجامع الحالي، من بناء الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/1021-1036)



شكل 3. 6: منظور تخيلي الجامع القبلي في العهد الأموي، تم إعادة تخيله بناء على آثار إعادة البناء التي قام بها الخليفة

العباسي على نفس هيئة المسجد الأول، ويظهر فيه خمسة عشر رواقاً

(المصدر.: Creswell: Architecture, Encyclopedia of Islam, vol.1, p.618.)

تاريخياً، بعد تأسيس عمر بن الخطاب للمصلى (الجامع) الأول في منطقة المسجد الأقصى، يبدو أنه بقي على حاله دون تطور ملحوظ في عمارته حتى أوائل العهد الأموي، ولما وصفه الرحالة أركولف (Arculf) الذي زار بيت المقدس في عهد معاوية بن أبي سفيان تبين أنه ينتمي من حيث الأسلوب إلى العصر الراشدي، لكن ذلك لا ينفي قيام معاوية بجهود عمرانية في المسجد الأقصى، فينقل المطهر المقدسي في هذا الصدد أن المسجد الأقصى "عمره عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم معاوية بن أبي سفيان وبه بايعوه للخلافة"⁽¹⁾، وذكر القاضي الفلسطيني مجير الدين الحنبلي أن معاوية قد أنشأ محراباً "بجوار الباب المتوصل منه إلى الزاوية الخنثية"⁽²⁾ أي الباب المزدوج (Double Gate)، ولا بد أن تعمیر معاوية لم يقتصر على المحراب، بل تعداه إلى توسعة استدعت إنشاء هذا المحراب، كما وردت أخبار متعددة في مصادر غير إسلامية تشير إلى إصلاحات له في المسجد الأقصى⁽³⁾.

ونعم الجامع القبلي في العهد الأموي بإعمار متين وفخم وجميل، تناسب مع ما حل بالمدينة ومنطقة المسجد الأقصى من نهضة عمرانية أموية، حتى وُصف بأنه "كان أحسن من جامع دمشق"⁽⁴⁾ أي المسجد الأموي الشهير الذي بناه الوليد بن عبد الملك، غير أن الزلازل وتعاقب عمليات إعادة تعمييره، أخفت صورته الأموية، ولم يتبق شاهداً عليه وعلى صفته سوى بعض الإشارات في المصادر، ومن المعروف أنه قام على جزء واسع من الجهة الجنوبية من المسجد الأقصى، والأغلب أن موقع الرواق الأوسط في الجامع الحالي هو نفسه موقع الرواق الأوسط في العصر الأموي، ويؤكد الباحث عدنان أبو دية، بعد زيارة

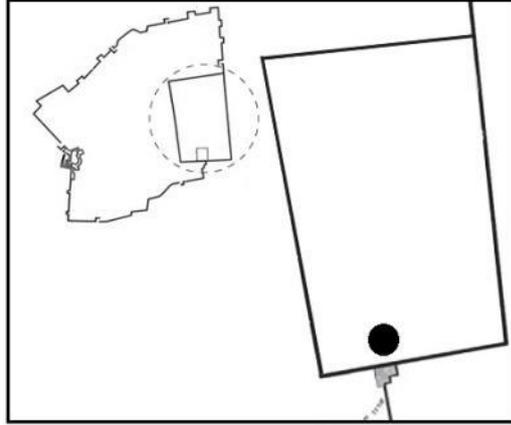
(1) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، (بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، 2013م)، ج4، ص87.

(2) مجير الدين، الأنس الجليل، ج2، ص12.

(3) Hoyland, Seeing Islam, p.222.

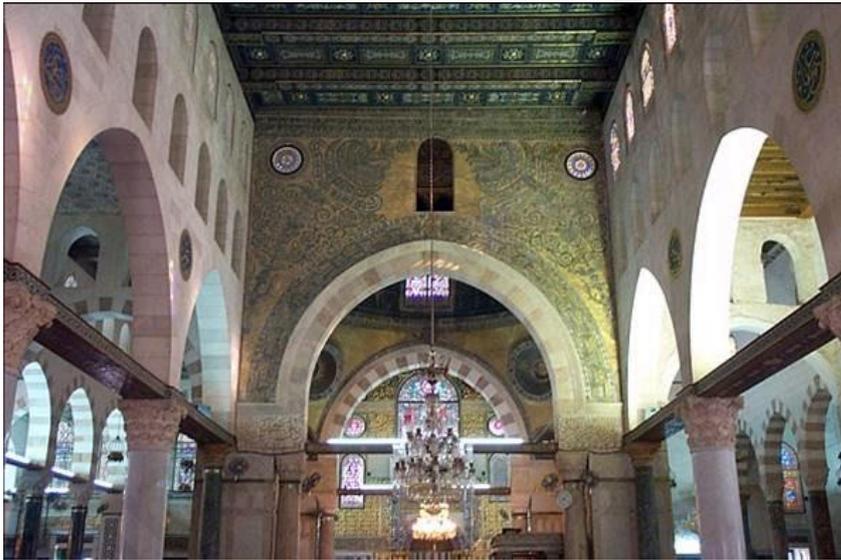
(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص168.

ميدانية، وفحص أثري للرواق، أن "منطقة القبة فوق المحراب وما يحيط بها لا زال أموياً صامداً بما فيه الفسيفساء بديعة الصنعة"⁽¹⁾. (انظر الشكل 3. 7)



شكل 3. 7: موقع الجامع القبلي بالنسبة للمسجد الأقصى، وموقع الزاوية الخنثية، والباب المزوج الوارد ذكرهما أعلاه.

المصدر: الباحث



شكل 3. 8: الرواق الأوسط في الجامع القبلي، ويظهر فيه الزخارف الفسيفائية الأموية.

- تاريخ البناء.

(1) عدنان أبو دية، المصلى القبلي في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد الثامن، ع 12، 2010، ص 1053-1083.

اختلفت المصادر في تحديد الخليفة الأموي الذي تولى هذه النقلة في إعمار الجامع القبلي بين عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م)، وخليفته الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م)، وبالتالي ينتقل الخلاف إلى تاريخ الإنشاء، ولعل أقرب المصادر التي نسبت البناء إلى عبد الملك، المؤرخ الأندلسي حبيب السلمي (ت: 238هـ/852م)⁽¹⁾، وكذلك الجغرافي والرحالة المقدسي (ت: نحو 380هـ/990م)، الذي أشار في كتابه "أحسن التقاسيم بمعرفة الأقاليم"، إلى قيام عبد الملك بتعميره⁽²⁾، ونقل ابن كثير (ت: 774هـ/1372م) عن سبط ابن الجوزي (ت: 654هـ/1256م) صاحب كتاب "مرآة الزمان"، نسبة البناء إلى عبد الملك بن مروان⁽³⁾⁽⁴⁾، كما أورد ذلك ابن تغري بردي (ت: 874هـ/1469م)⁽⁵⁾، وتابعهم في ذلك عالم بيت المقدس وقاضيها، مجير الدين الحنبلي العليمي (ت: 927هـ/1521م)، مبينا أن عبد الملك شرع في بنائه أول سني خلافته، وتحديدًا عام (66هـ/686م)⁽⁶⁾.

في المقابل، فإن عدداً من المصادر نسبت البناء إلى الوليد بن عبد الملك، ربما يكون أولها ما جاء عند ابن الأثير (ت: 630هـ/1232م) في كتابه الكامل في التاريخ⁽⁷⁾، ومن بعده، نقل

(1) عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي، التاريخ، (بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2008م)، ص137.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص168.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص308.

(4) وقد وقف الباحث على تحقيق لقطعة من مخطوط مرآة الزمان نشرها (Amikam Elad) تتعلق ببناء قبة الصخرة وهي شبيهة بما نقله ابن كثير عن سبط ابن الجوزي، ومنها:

"السنة الثانية والسبعون من الهجرة

وفيهما كمل بناء قبة الصخرة والجامع الأقصى

وقد ذكرنا أن عبد الملك ابن مروان شرع في بنائها في سنة تسع وستين". انظر:

Elad, Amikan, Why did Abd Al-Malik Build the Dome of The Rock? A re-examination of the Muslim sources, (), p.53.

(5) يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت)، ج، ص183.

(6) مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص269.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص70.

روايته بنصها ابن الطقطقا (ت: 709هـ/ 1309م) في كتابه الفخري في الآداب السلطانية، ذاكراً: "كَانَ الْوَلِيدُ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ أَفْضَلِ خَلَائِفِهِمْ؛ بَنَى الْمَسَاجِدَ، مَسْجِدَ دِمَشْقَ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، عَلَى سَاكِنِهَا السَّلَامِ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَوَضَعَ الْمَنَائِرَ،..."⁽¹⁾، وكذلك الملك والمؤرخ الأيوبي المؤيد أبو الفداء (ت: 732هـ/ 1331م) نسب إعمار الجامع إلى الوليد بشكل قطعي وأنه أقامه بعد أن هدم مسجد عمر، يقول: "وبقى ذلك المسجد [أي مسجد عمر] إلى أن تولى الوليد بن عبد الملك الأموي، فهدم ذلك المسجد، وبني على الأساس القديم المسجد الأقصى"⁽²⁾، ووافق في ذلك قولاً ونصاً ابن الوردي (ت: 749هـ/ 1348م) في تاريخه⁽³⁾، وقد تبني هذا الرأي عالم الآثار والمؤرخ كريزويل (Creswell)⁽⁴⁾ في دراسته عن العمارة الإسلامية في عصرها الإسلامي المبكر⁽⁵⁾، مدعماً رأيه بوثائق نادرة ومهمة، وهي مراسلات مكتوبة على أوراق البرديات المصرية باللغة اليونانية، تم اكتشافها عام 1901م، في قرية كوم أشقوة المصرية، تعود إلى والي مصر في عهد الوليد بن عبد الملك، قرّة بن شريك (90-95هـ)⁽⁶⁾ وفيها عدة برديات تخص مدينة بيت المقدس، منها (البرديات رقم: 1334، و1336، و1403)⁽⁷⁾، ففي البردية الأولى

(1) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص70؛ مُجَدِّدُ بن علي بن طباطبا ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (بيروت، دار صادر، د.ت.)، ص 128.

(2) أبو الفداء الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، المختصر في أخبار البشر "تاريخ أبي الفداء"، (مصر، المطبعة الحسينية، ط1، 1940م)، ج1، ص38.

(3) ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص33.

(4) كريزويل (K. A. C. Creswell) (1879-1974م): مؤرخ وآثاري إنجليزي، عمل على اكتشاف وتوثيق العمارة الإسلامية في مصر وفلسطين خلال الربع الأول من القرن العشرين، شغل منصب عضو مجلس أمناء المتحف الإسلامي في القدس (1947-1967م)، نشرت معظم أعماله في كتابيه: (The Muslim Architecture of Egypt) و (Early Muslim Architecture).

(5) K.A.C. Creswell, Early Muslim Architecture, Oxford: Clarendon press, 1969, pp. 373-374.

(6) الكندي، ولاية مصر وقضاها، ص65.

(7) للاطلاع على برديات القدس: انظر ملحق رقم (4) من الدراسة.

المؤرخة في (91هـ) يخاطب فيها قرّة بن شريك، رئيس مدينة أشقوة، ويطلبه بإرسال عمال لبيت المقدس، وترجمة نصها⁽¹⁾: "في فعلة وصنّاع للبناء في القدس... إذا جاك كتابي فأنفذ ما فيه مما هو

مدرج في حاشيته، وأرسل مع رسولك الرجال

والشبان المذكورين القادرين على أداء العمل. وليأخذوا الطريق البرية إلى بيت المقدس، وأعطهم أجرهم ومعيشتهم. وابعث مع رسولك نفسه الذهب لنفقتهم لاثني عشر شهراً ليؤديه عند وصوله مكان البناء. ولا تتوان في إرسال هؤلاء الصنّاع لثلاثين يقيق بك الخطر".

وفي الحاشية كتبت الأعداد المطلوبة والأجور كالتالي:

"الفعلة: رجلان، لكل منهما $16 \frac{1}{2}$ ديناراً

الأجر: 8 دنانير لكل منهما. المعيشة: 8 دنانير لكل منهما.

نفقة الطريق: $\frac{1}{2}$ دينار لكل منهما"⁽²⁾.

أما (بردية رقم: 1403) المؤرخة أيضاً في عام (91هـ) فقد نصت صراحة على أن

المطلوب عمال للعمل في "جامع القدس" وترجمتها كالتالي:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من قرّة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوة

فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد،

فمعيشة الفعلة والصنّاع لجامع القدس، ودار أمير المؤمنين..."

(1) تم اقتباس الترجمة من دراسة الدكتور جاسر بن خليل أبو صفية المعنونة "برديات قرّة بن شريك العبسي دراسة وتحقيق"، وهي من أحدث الدراسات العربية وربما الأجنبية على هذه البرديات، ولم تأخذ بالترجمات التي نقل عنها كريزويل نظراً لما وجدته الباحث في دراسة أبو صفية من جهد مميز وشامل لما سبق من دراسات وترجمات على البرديات.

(2) جاسر بن خليل أبو صفية، برديات قرّة بن شريك العبسي (السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2004)، ص275.

وجاء في العنوان الخارجي (على الظهر):

"قرة بن شريك بسيل صاحب أشقوة

أرسل مع أبي حسان البريد في فعلة وصنّاع للقدس"⁽¹⁾.

ورغم قوة الدليل الذي قدمته الوثائق، إلا إن الباحث يرى وجاهة الرأي الأول القائل بنسبة إعمار

الجامع القبلي إلى عبد الملك وليس الوليد للأسباب التالية:

1. تعد المصادر التي تحدثت عن إنشاء الوليد للجامع القبلي كابن الأثير (ت:

630هـ/1232م) متأخرة بالنسبة لتلك التي نسبتها لعبد الملك كحبيب

السلمي (ت: 238هـ/852م) والمقدسي (ت: نحو 380هـ/990م)، إذ

بينهما أربعة قرون من الزمن.

2. قرب المصادر التي نسبت البناء إلى عبد الملك من المكان وبيئته، كالمقدسي،

وأبو بكر الواسطي (ت: 11هـ/11م) الذي ألف في فضائل بيت المقدس،

والشهاب المقدسي (ت: 765هـ/1363م)، ومجير الدين الحنبلي

(ت: 927هـ/1521م)، وهم ينتسبون للمدينة، وقد خبروها.

3. تعاني المعلومات التي قدمتها المصادر التي نسبت البناء للوليد من خلل في الدقة،

مثل تاريخ أبي الفداء وتاريخ ابن الوردي، فجعلوا من قبة الصخرة مثلاً وغيرها

من المعالم في المسجد الأقصى، التي لا شك في نسبتها لعبد الملك (عن طريق

الروايات ونقش تاريخ الإنشاء عليها)⁽²⁾ من أعمال الوليد.

(1) أبو صفية، برديات قرة، ص276.

(2) سيتم مناقشتها لاحقاً في مطلب قبة الصخرة.

4. الوثائق التي يحاجج بها كريزويل على رأيه بنسبة البناء للوليد، تحدثت عن أعداد قليلة من العمال (اثنين من العمال ونجار)، وهي لا شك أعداداً لا تفـ بحاجة الجامع القبلي من العمال لإعماره.

5. يمكن تفسير ما ورد بالبرديات من طلب للعمالة بأنه للصيانة، وقد وردت إشارات واضحة بأن الجامع قد تعرض لأضرار في عهد الوليد، يذكر مجير الدين الحنبلي أنه "بعد انتقال الخلافة إلى المنتقم لله الوليد بن عبد الملك، أهدم شرقي المسجد ولم يكن في بيت المال حاصل فأمر بضرب ذلك وإنفاقه على ما أهدم منه"⁽¹⁾، وبهذا يمكن تفسير ما ورد في تلك البرديات بأن طلب العمال كان للمشاركة في أعمال الصيانة، وليس إنشاء مسجد جديد. وربما ينسحب هذا اللبس على الروايات المتأخرة التي نسبت بناء وعمارة الجامع القبلي للوليد (كابن الأثير).

6. ليس من المنطقي أن يقوم عبد الملك ببناء قبة الصخرة (ذات الوظيفة الرمزية) وينفق عليها الكثير من المال والوقت، وفي الوقت نفسه يتجاهل بناء الجامع للمسلمين.

7. يحتمل أن يكون منشأ نسبة الجامع القبلي للوليد ما اشتهر في سيرته من حبه لبناء المساجد وحرصه على تزيينها مثل الجامع الأموي، يقول ابن فضل العمري عن الوليد: "وكان مغرى في سلطانه بعمارة المساجد وبناء المعابد"⁽²⁾. أو أنه حين قام بترميم الجامع القبلي، التبس الأمر على المصادر فنسبت إليه بناء

(1) مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص273.

(2) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (نسخة إلكترونية).

الجامع القبلي، خصوصاً إذا علمنا أن تلك المصادر دونت من الرواية الشفهية

ولم يكن توثيقها مباشراً للحدث.

وهي أسباب تدعونا للقول بأن عبد الملك هو الباني للجامع القبلي.

وصف الجامع القبلي في العهد الأموي.

رغم عدم صمود الجامع القبلي الأموي إلى فترة طويلة بعد تشييده، ولم ينقل لنا من عاينه شهادة معمارية دقيقة عن صفته وشكله وعناصره، إلا أن وصفه العام، وما اشتمل عليه الجامع من مواد وعناصر ظل محفوظاً في الذاكرة المقدسية مما يعطي انطباعاً قوياً على تميزه مما استدعى بعماره حفظ صورته ذهنياً، وبعد انخياره⁽¹⁾ بأكثر من قرنين، وتشيد آخر مكانه، يصفه المقدسي بأنه "كان أحسن من جامع دمشق"⁽²⁾، المشهور بحسن بنائه وجمال زخارفه، ويبدو أن الجامع حظي بأعمال زخرفية ولوحات فسيفسائية ضمن جهود الوليد بن عبد الملك في المساجد الكبرى في العالم الإسلامي، فحسب ما يفهم من إحدى روايات ابن فضل الله العمري، التي تفيد بحصول الوليد على أربعين حملاً من الفسيفساء المذهبة من ملك الروم استخدمها في تزيين وعمارة المسجد الأموي، والجامع القبلي بالمسجد الأقصى، والحرم المكي⁽³⁾. وحسب الشهاب المقدسي، فإن أبواب الجامع القبلي كانت مصفحة بألواح الذهب والفضة⁽⁴⁾، وقد وثق ابن المرجى المقدسي (ت: 492هـ/1099م) صفة الجامع القبلي وما كان عليه في زمن عبد الملك ومن بعده، وروايته تلك التي نقلها فيما بعد ابن عساكر، ونقلها عن ابن عساكر كل من الشهاب المقدسي،

(1) سيأتي الحديث عن انخيار الجامع في المطلب القادم.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 168.

(3) العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 400.

(4) الشهاب المقدسي، مثير الغرام، ص 176.

ومجير الدين الحنبلي، باختلاف طفيف، وبإعادة قراءة الرواية الطويلة، يمكننا تحديد التالي من وصف المسجد:

- قام الجامع القبلي على أعمدة رخامية بلغت ستمائة عمود، كما استخدمت فيه الأعمدة الخشبية.

- كان الجامع مغطىً بسقف خشبي استخدم في تسقيفه ستة آلاف قطعة خشبية.

- غُطي السقف الخشبي بأعداد هائلة من ألواح الرصاص لتحميه من تقلبات المناخ، لا سيما الأمطار والحرارة وبلغت ألواح الرصاص المستخدمة في ذلك سبعة آلاف وسبعمائة.

- احتوى الجامع على سبعة محاريب، ولا بد أنها استندت على جدار القبلة في الجهة الجنوبية.

- تم الاهتمام بزينة وإضاءة المسجد، فاحتوى الجامع على مائتين وثلاثين سلسلة استخدمت في

حمل القناديل التي بلغ مجموعها خمسة آلاف قنديلاً، أي أن كل سلسلة تحمل ما يقرب من

(25) وحدة إضاءة.

- كما استخدمت ألفي شمعة إضافية لإضاءة الجامع في ليالي الجمع، وليلة المنتصف من

شعبان، وفي رجب، وليليتي العيد⁽¹⁾.

المعلومات السابقة التي يقدمها ابن المرجى، تدل على حجم الجامع وأنه كان كبيراً احتاج مثل هذه

الكميات والأعداد من عناصر الإنشاء ووحدات الإضاءة، وتعضض الروايات بعضها بعضاً عندما كشفت

حجم العمالة التي رتب لتقوم على صيانة ونظافة منطقة المسجد الأقصى (بما فيه الجامع القبلي)، ذكرهم

المقدسي بقوله: "وخدامه ممالك له، أقامهم عبد الملك من خمس الأسارى، ولذلك يسمون الأخماس لا

(1) ابن المرجى، فضائل بيت المقدس، ص74؛ وانظر: الشهاب المقدسي؛ مثير الغرام، ص176؛ مجير الدين، الأنس الجليل، ج1،

يخدمه غيرهم، ولهم نُوبٌ يحفظونها"⁽¹⁾، ولا شك أن الجامع القبلي كان أكبر وأهم تلك المرافق التي استخدمت أغلب تلك الأعداد، بالإضافة إلى ذلك ما أوكل إليها من مهام صناعة العناصر المستهلكة في تشغيل المسجد، من قبيل الحصر وزجاجات القناديل والأقداح والثريات، وفصل بالحديث عنهم وعن مهامهم ابن المرجى بقوله: "ورتب له [أي عبد الملك بن مروان] من الخدم القوام ثلاثمائة خادم اشترت له من خمس بيت المال كلما مات منهم واحد قام مكانه ولده أو ولد ولده أو من أهلهم يجري عليهم ذلك أبدا ما تناسلوا"⁽²⁾، واستخدم الذميون من يهود ونصارى في بعض الأعمال والخدمات المتعلقة بصيانة المسجد، فيضيف ابن المرجى: "وكان له من الخدم اليهود الذين لا يؤخذ منهم جزية عشرة رجال وتوالدوا فصاروا عشرين لكنس أوساخ المسجد الناشئ في المواسم والشتاء والصيف ولكنس المطاهر التي حول الجامع وله من الخدم النصارى عشرة أهل بيت يتوارثون خدمته لعمل الحصر ولكنس حصر المسجد وكنس القناة التي يجري فيه الماء إلى الصهاريح وكنس الصهاريح أيضا وغير ذلك وله من الخدم اليهود جماعة يعملون الزجاج القناديل والأقداح والثريات وغير ذلك لا يؤخذ منهم جزية ولا من الذين يقومون بالقش لفتائل القناديل، جارياً عليهم وعلى أولادهم أبدا ما تناسلوا من عهد عبد الملك بن مروان"⁽³⁾.

- انخيار الجامع القبلي في العهد الأموي.

في أواخر العهد الأموي، وتحديداً في العام (130هـ/748م)، أصاب بلاد الشام زلزال عنيف، تركز في مناطق ساحل فلسطين⁽⁴⁾، أدى لقتل الآلاف، وتهدمت بسببه الكثير من الكنائس والأديرة المحيطة

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص171.

(2) ابن المرجى، فضائل بيت المقدس، ص74؛ وانظر: الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص176؛ مجر الدين، الأنس الجليل، ج1، ص281.

(3) المصادر السابقة.

(4) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص105-106.

بيت المقدس⁽¹⁾، كما تهدم بسببه أجزاء كبيرة من الجامع القبلي في المسجد الأقصى، حيث تهدمت الأروقة الشرقية والغربية التي كانت على جانبي الرواق الأوسط⁽²⁾، وتضررت كذلك قبة الصخرة⁽³⁾.

ويبدو أن الاضطراب العام في خلافة مروان بن محمد (127-132هـ/744-750م)، أعاق إعادة إعمار المسجد الأقصى، فلم يكمل مروان المسيرة العمرانية لمن سبقه من خلفاء بني أمية، وبقي المسجد على ما هو عليه حتى سيطر العباسيون على بلاد الشام وفلسطين قاطبة.

وتشير الروايات أن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، قدم إلى بيت المقدس زائراً في العام (141هـ/758م)، في طريق عودته من رحلة الحج⁽⁴⁾، وذكر المسعودي أن سبب الزيارة هو وفاء نذر كان عليه⁽⁵⁾، فاغتنم أهل بيت المقدس الزيارة ورفعوا إليه: "يا أمير المؤمنين، قد وقع شرقي المسجد وغريبه، زمان الرجفة سنة ثلاثين ومائة، فقالوا له: لو أمرت ببناء هذا المسجد وعمارته"⁽⁶⁾، فتعلل المنصور بعدم وجود كفاية من المال عنده في خزائنه، ولما كانت جميع أبواب المسجد الأقصى ملبسة بصفائح من الذهب والفضة، منذ عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، أمر المنصور بقلعها، فضربت دنانير ودراهم وأنفق عليه⁽⁷⁾، وانتهت أعمال الترميم في العام (154هـ/771م)⁽⁸⁾. ثم توالى أعمال إعادة البناء ولم يتبق من

Theophanes (The Confessor), The Chronicle of Theophanes: An English translation of (1) Anni Mundi 6095-6305, U.S.A, Oxford university press, (1997), p.585.

(2) الشهاب المقدسي، مثير الغرام، ص176.

(3) خالد الخالدي، الزلازل في بلاد الشام (القرن 1-13هـ/7-19م)، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، مج13، ع1، ص71.

(4) الطبري: تاريخ، ج4، ص394؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص27؛ المرعشي، غرر السير، ص338.

(5) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص308.

(6) الشهاب المقدسي، مثير الغرام، ص176.

(7) المصدر نفسه، مجر الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص281.

(8) عفيف البهنسي: فن العمارة والزخرفة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4، ص801.

الجامع القبلي - في الوقت الحالي - ما يشير إلى تلك الحقبة سوى منطقة القبة فوق المحراب، وما يحيط بها بما فيه زخارف الفسيفساء⁽¹⁾.

2. قبة السلسلة.

وهي بناء جميل مغطى بسقف يعلوه قبة، أخذت موقعها إلى الشرق من قبة الصخرة، بين السور الشرقي للمدينة وقبة الصخرة، أقيمت على "دكة الصخرة"، وهي المصطبة الصناعية التي أقيمت لتكون منصة تحمل قبة الصخرة، أما شكلها فهي تتكون من مسقط مضلع قوامه أحد عشر عموداً رخامياً، قائمة على قواعد مستديرة ومربعة، فوقها تيجان (Capitals) رخامية ذات زخارف نباتية مختلفة ومتعددة، أقيمت فوقها سلسلة من العقود الحجرية نصف الدائرية، وهي أحد عشر عقداً تنتهي من الأعلى بجدران مستقيمة تشكل في مجموعها مضلعاً من أحد عشر وجهاً، ويربط بين العقود جسور خشبية زخرفت بطونها بدهان زيتي بأشكال هندسية وزخارف نباتية متكررة بانتظام، ويتوسط المضلع الخارج مضلع داخلي مكون من ستة أعمدة رخامية، وهي ذات تيجان نباتية متنوعة تعلوها ستة عقود حجرية نصف دائرية أقيم فوق هذه العقود رقبة سداسية من الخارج ودائرية من الداخل، ويعلو هذه الرقبة قبة نصف كروية ملبسة من الخارج بألواح من الرصاص، وسقف ما بين المضلعين (الخارجي والداخلي) بألواح خشبية كسيت بألواح الرصاص أيضاً، كما كسيت من الداخل بطبقة خشبية أخرى. وفي الضلع الجنوبي للقبة يوجد محراب حجري ذو حنية مجوفة ذات عقد نصف دائري محمول على أعمدة رخامية ذات تيجان نباتية⁽²⁾. (انظر الشكل

8.3)

(1) عدنان أبو دية، المصلى القبلي، ص 1053-1083.

(2) علي حسن خاطر، موسوعة القدس والمسجد الأقصى المبارك، (القدس، المجلس العلمي الفلسطيني، ط 1، 2004م)، ج 1، ص 235.



شكل 3.9: صورة قبة السلسلة في الوقت الحالي، من الجهة الشمالية يظهر غربيها قبة الصخرة وفي مقدمتها الجنوبية المحراب. (المصدر: الانترنت).

ورغم أن المصادر لم تقدم سبباً منطقياً لتسميتها بقبة السلسلة، إلا أن مصادر أقرب زمنياً من غيرها إلى تشييد هذه القبة، مثل كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب السلمي (ت: 238هـ/852م)، ربطت بين السلسلة وداود عليه السلام بإشارة عابرة⁽¹⁾، بينما توسعت المصادر المتأخرة، فذكرت رواية مفادها أن القبة بنيت في الموضع الذي كان يستخدمه نبي الله داود في القضاء بين الناس (المحكمة)، وأن سلسلة تدلت من السماء إلى الأرض، كانت تستخدم في التمييز بين صاحب الحق والمدعي الباطل؛ فيد صاحب الحق تصلها، بينما تقصر عنها يد مدع الباطل⁽²⁾، ومن الواضح أنها من الإسرائيليات التي تسللت إلى كتب وروايات فضائل المسجد الأقصى، المدفوعة برغبة عالية في تأكيد قدسية المكان وربطه بالتراث النبوي القديم.

(1) عبد الملك بن حبيب، التاريخ، ص137.

(2) ابن المرجي، فضائل، ص161-162؛ ناصر خسرو، سفر نامه، ص67؛ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م)، ج1، ص468؛ مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص273.

ويسوق الشهاب المقدسي روايتين مختلفتين عن وظيفة تلك القبة، وسبب إنشائها؛ في الرواية الأولى يشير أنها كانت بمثابة بيت المال الذي رصده الخليفة عبد الملك بن مروان لإعمار قبة الصخرة، وهو حاصل خراج مصر لسبع سنين⁽¹⁾، والرواية الثانية ومثلها عند مجير الدين الحنبلي أنها بنيت لتكون نموذجاً (Model) لما سيكون عليه شكل قبة الصخرة وينقلها بصيغة التضعيف: "ويقال إن عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع، فصنعوا له وهو بيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة التي يقال لها قبة السلسلة فأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها"⁽²⁾، ويبدو أنه من الصعوبة بمكان التسليم بصحة الروايتين، سواء كانت القبة كبيت للمال، أو نموذج لعمارة قبة الصخرة، للأسباب التالية:

1. ليس من المنطقي أن تكون قبة بيت المال مفتوحة الجوانب، فهذا يتنافى مع طبيعة وظيفتها التي تقوم على حفظ المال، وهي على خلاف بيوت المال المعهودة في العصر الأموي، التي أهم ما يميزها وجود الخزانة فيها مثل قبة بيت المال التي في المسجد الأموي بدمشق، أو مسجد حماة الكبير (الأموي). (انظر الشكل 3.9 و 3.10)
2. كما أنه ليس من المجدي أن تنشأ خزانة لبيت المال على مساحة كبيرة نسبية كالتالي تغطيها قبة السلسلة التي بلغ مساحة مسقطها الأفقي (146) متراً مربعاً.
3. كما دلت الشواهد المعاصرة لبيت المال أن يكون قرب الجامع، بينما قبة السلسلة بعيدة عن الجامع القبلي، وربما تكون بالفعل هناك قبة لبيت المال قد اندثرت إثر زلزال عام (130هـ/747م) الذي ضرب بيت المقدس.

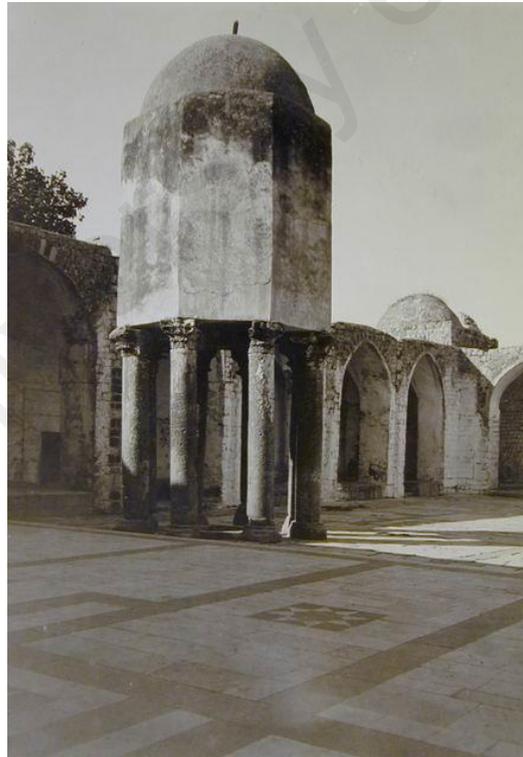
(1) الشهاب المقدسي، مثير الغرام، ص171.

(2) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص273.



شكل 3. 10: قبة بيت المال في المسجد الأموي بدمشق.

المصدر: http://en.wikipedia.org/wiki/Qubbat_al-Khazna



شكل 3. 11: قبة بيت المال في مسجد حماة الكبير (العصر الأموي)

المصدر: أرشيف الأثاري كريزويل (1940م) http://archnet.org/sites/3497/media_contents/35082

4. ليس من المعقول أن تكون القبة نموذجاً لقبه الصخرة وقد جاء شكل بناء قبة الصخرة

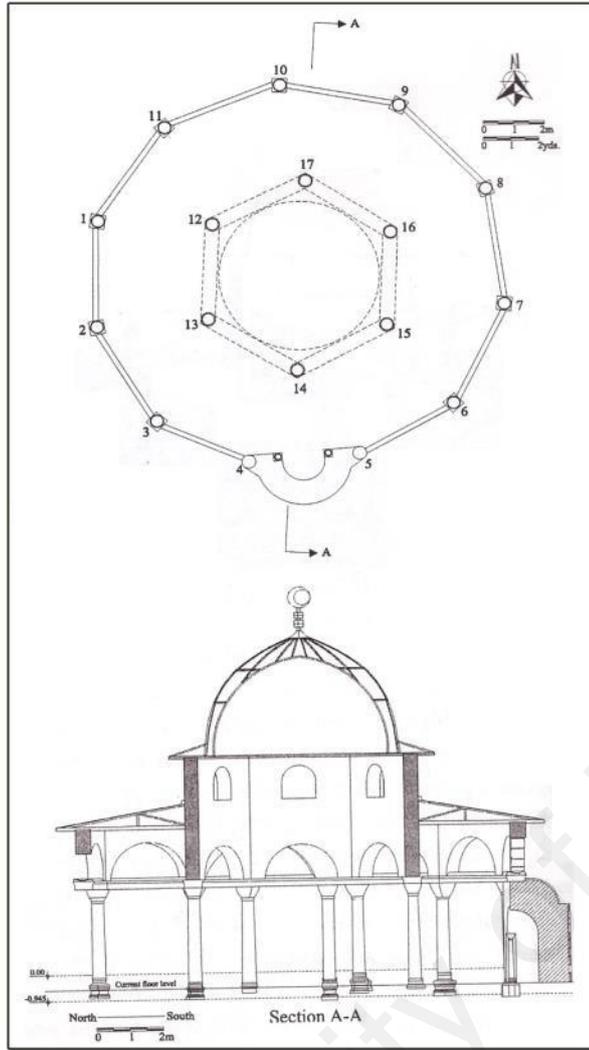
مخالفاً لها من حيث عدد الأضلاع وشكل الأروقة الداخلية ونظام الإنشاء، والمقياس،

وغيرها من الفروق والاختلافات التي يسهل حصرها. (شكل 3. 11)

5. لو أن قبة السلسلة كانت نموذجاً مصغراً لقبه الصخرة، لاستدعى الأمر إزالتها بعد انتهاء

بناء قبة الصخرة.

University of Malaya



شكل 3. 12: الأعلى: مسقط قبة السلسلة ويظهر فيه عدد الأعمدة على المضلعين الداخلي والخارجي، الأسفل: قطاع في قبة السلسلة يبين فيه الرقبة المضلعة (سداسية) التي تحمل القبة.

المصدر: Al-Ratrout, The Architectural, pp.429-430.

ويبقى السؤال: ما هو الداعي لبناء قبة مثل قبة السلسلة؟ لا تقدم النصوص التراثية في

المصادر تفسيراً مقنعاً لبناء القبة، أو وظيفتها، مما يستدعي إمعان النظر في الشكل والتكوين

للوصول إلى وظيفة البناء؛ ومراجعة خرائط وصور القبة، ودراسة أسلوب التشييد وعلاقته بالفراغ،

يمكنه المساعدة في استنتاج سبب بنائها، فبالنظر إلى قبة السلسلة من حيث الهيكل

(structure) والمساحة (Area) نجد أنها أقرب إلى وظيفة المظلة من أي شيء آخر؛ ذلك أنها مفتوحة الجوانب، واستخدمت فيها أعمدة نحيفة لا تشكل عائقاً بصرياً للجالسين، كما أن عنق القبة قد اخترقته ست من النوافذ (حسب الشكل الأصلي للقبة) وهذه النوافذ تمكن التيار الهوائي من الدوران داخل القبة فضلاً عن جلب الإضاءة إلى الفراغ. وهذا يدفع الباحث للقول بأن القبة كانت عبارة عن مظلة للاجتماع في المسجد الأقصى لغير سبب الصلاة، يدعم هذا ما ذكرته المصادر أن الخليفة سليمان بن عبد الملك استقبل وفود المبايعين له بالخلافة في المسجد الأقصى، حيث "كان يجلس في قبة في صحن المسجد الأقصى مما يلي الصخرة"⁽¹⁾ فمن المحتمل أن يكون المقصود قبة السلسلة، وربما كانت مخصصة لمجلس والي جند فلسطين، أو والي المدينة، أو الخلفاء الأمويين أثناء زيارتهم للمسجد الأقصى أو إقاماتهم في بيت المقدس. وربما حينها يسهل علينا أيضاً تخمين سبب التسمية أن سلسلة كبيرة أو فريدة تدلت من قبتها، لتحمل قناديل الإضاءة، فكانت مميزة لهذه المظلة (القبة) فنسبت لها القبة.

3. قبة الصخرة.

تعد قبة الصخرة من أهم معالم مدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى، فضلاً عن جمال هيأتها وتناسب أبعادها، وفرادة وظيفتها، فإنها أقدم أثر أموي باقٍ على حاله الأول، وهي بناء ثماني الأضلاع يعلوه قبة كبيرة، يقوم على مصطبة صناعية (platform) تتوسط ساحة المسجد الأقصى وترتفع عنها حوالي (4 أمتار)، حيث يوصل إلى بناء القبة من خلال أدراج واسعة تربط بين ساحة المسجد والمصطبة (انظر الشكل 3. 12).

(1) ابن المرجى، فضائل، ص313؛ الشهاب المقدسي، مثير الغرام ص345؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص202؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص209.



شكل 3. 13: منظور قبة الصخرة بعين الطائر من الجهة الجنوبية ويظهر فيها المصطبة والأدراج التي تربط بين ساحة

المسجد والمصطبة.

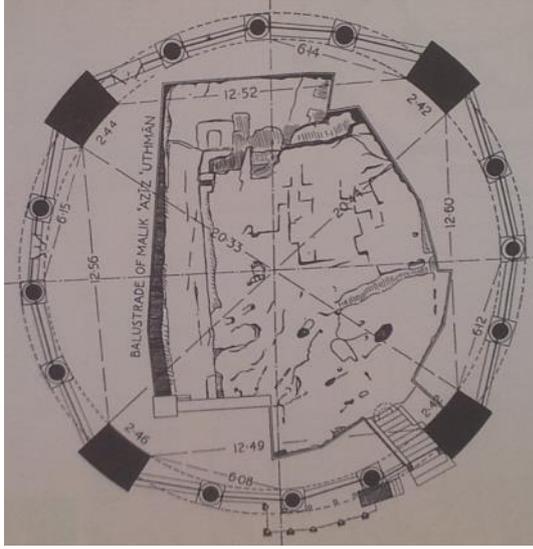
المصدر: <http://www.guiddoo.com/blog/the-dome-of-the-rock-an-ancient-shrine-with->

[/many-myths](#)

ويحيط هذا البناء بالصخرة التي استمد اسمه منها، والتي تعد من المعالم الإسلامية المقدسة في التراث الإسلامي، فباتجاهها صلى الرسول ﷺ ومعه الصحابة ستة عشر شهراً، قبل أن تتحول القبلة إلى الكعبة في مكة⁽¹⁾. مادياً، هي صخرة طبيعية غير منتظمة الشكل، أبعادها بالتقريب: (18 متراً) من الشمال إلى الجنوب، و(13 متراً) من الشرق إلى الغرب، تشكل قمة جبل الحرم (Moriah Mount) الذي يقوم عليه المسجد الأقصى، وتحت هذه الصخرة كهف صغير، على شكل مستطيل غير منتظم (أبعاده: حوالي 7 أمتار* 5 أمتار)، ينزل له عبر درجات من الجهة الجنوبية الشرقية، أما سقف الكهف فيقل ارتفاعه عن

(1) ابن حنبل، المسند، ج5، ص136؛ الترمذي، سنن، ج5، ص57.

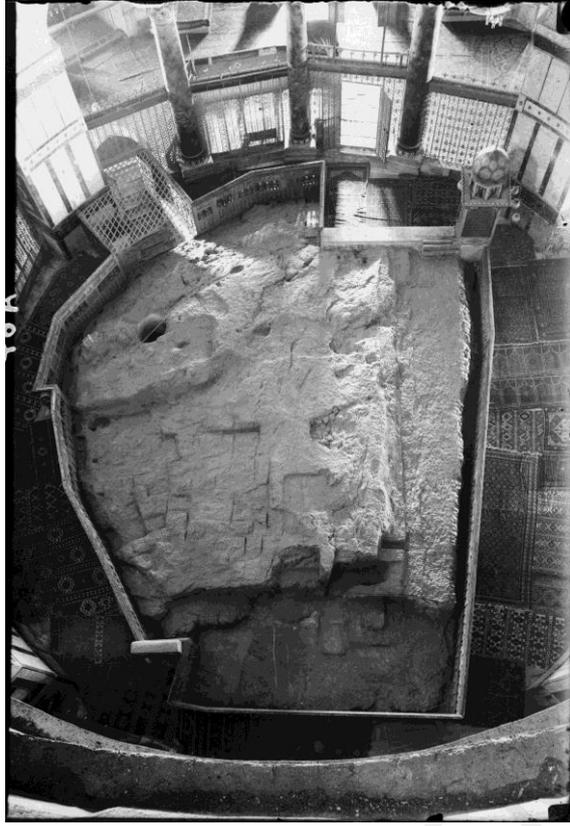
ثلاثة أمتار، وفيه ثقب يتراوح قطره بين (70-80 سم). ويبلغ ارتفاع الصخرة من أرضية قبة الصخرة؛ حوالي (1.5 متراً)⁽¹⁾. (انظر الأشكال 13.3 و 14.3 و 15.3)



شكل 14.3: مخطط لسطح الصخرة المشرفة ويظهر عليه الأبعاد وقطر البائكة التي تحيط به.

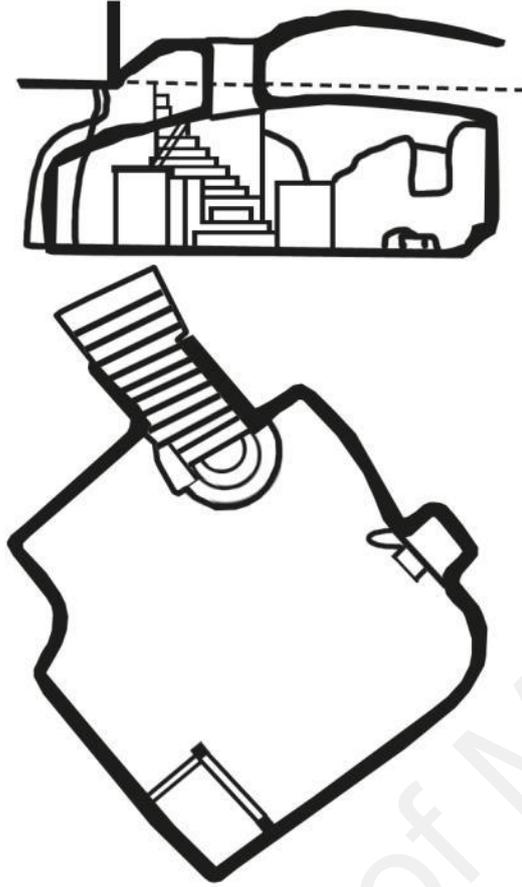
المصدر: Creswell, Early, p.71.

(1) Creswell, Early, 65.



شكل 3. 15: صورة علوية للصخرة المشرفة التي أحاطت بها قبة الصخرة، ويظهر في الزاوية العلوية الشمالية من الصورة،

الدرج المؤدي للكهف، والفتحة التي في سقف الكهف.



شكل 3. 16: مسقط وقطاع في الكهف الذي تحت الصخرة المشرفة

المصدر: إعادة رسم الباحث نقلاً عن. Creswell, Early, plate.

ورغم أن خلافاً بين المصادر حول هوية الخليفة الذي بنى الجامع القبلي، فإن هناك شبه إجماع على أن عبد الملك بن مروان هو من بنى قبة الصخرة⁽¹⁾، وأما المصادر التي نسبتها للوليد بن عبد الملك، (أبو الفداء، ومتابعه ابن الوردي)⁽²⁾ فالخطأ فيها ظاهر، إذ تخلط بين عبد الملك والوليد في مواضع واضحة،

(1) عبد الملك بن حبيب، التاريخ، ص137؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص168؛ ابن المرجى، فضائل بيت المقدس، ص71؛ وانظر: الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص175؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، انظره في: Elad, Why did, p.53؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص308؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج، ص183؛ مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص269.
(2) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج1، ص38؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص33.

وليس أدل على ذلك من النقش المثبت على الوجه الخارجي لقناطر التثمينة الوسطى في الناحية الجنوبية الشرقية، وهو عبارة عن كتابة مزخرفة بالفسيفساء وبالخط الكوفي المذهب، على أرضية زرقاء تظهر تاريخ إنشاء القبة عام (691هـ/72م)، أي في فترة خلافة عبد الملك (65-86هـ/685-705م)، لكن الكتابة الحالية قد زُوِّرت، إذ تم استبدال اسم عبد الملك بن مروان باسم الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/813-833م) الذي كانت له جهود موثقة في صيانة قبة الصخرة إثر زلزال أصاب المدينة وتأثرت به مرافق المسجد الأقصى⁽¹⁾، ويمكن للمرء في عصرنا أن يلاحظ النص التالي بالخط الكوفي غير المنقوت: "بني هذه القبة عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه" (انظر الشكل 3. 18).

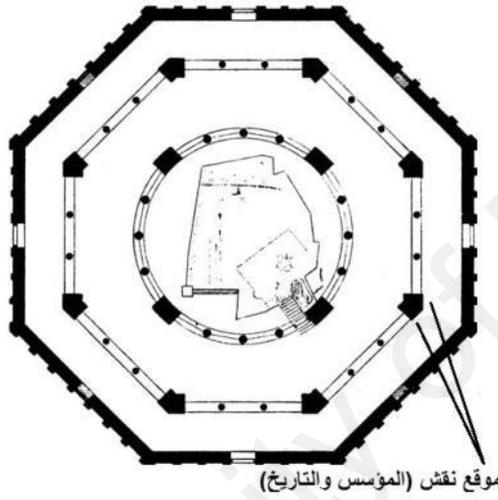
واكتشاف تزوير هذه اللوحة ليس بالأمر الصعب؛ ففضلاً عن عدم مناسبة التأريخ المدون (72هـ) لاسم الخليفة الذي وضع اسمه المأمون: (198-218هـ)، كان استخدام الصانع فسيفساء أشد عتامة من لون الفسيفساء الأصلية دليل إضافي على تغييرها⁽²⁾، كذلك فإن خلفية النص كانت أقل زرقة من الأجزاء الأخرى الأصلية⁽³⁾، ومراجعة نص النقش، وجد الباحث تكراراً لكلمة عبد الله لا تفسير له سوى حشو الفراغ بعد أن بقي الجزء الأول من اسم عبد الملك "عبد" فاضطر الفنان المزوّر لإضافة كلمة الله لتصبح "عبد الله"، كما أن صورة النقش تظهر ضيقاً شديداً بين الحروف والكلمات المضافة على خلاف كامل شريط النقش الذي امتد على كامل التثمينة الوسطى. (انظر الأشكال 3. 16 و 3. 17 و 3. 18)

(1) أثبتت الصفائح النحاسية التي وضعت بعتبة الباب العلوية، على الأبواب الأربعة الخارجية لقبة الصخرة، أن ترميماً جرى في عهد المأمون عام (216هـ/830م)، وبرعاية أبي إسحق المعتصم أخ المأمون، وتثبت أن التعمير جرى على يد عامله صالح بن يحيى في شهر ربيع آخر من نفس العام، وتخليداً للإصلاحات التي قام بها المأمون في قبة الصخرة، ضرب فلساً كتب على مداره "ضرب هذا الفلّس بالقدس سنة سبع وعشرة ومائتين". انظر: أبو شمالة، تاريخ فلسطين في العصر العباسي، ص 262.

(2) Creswell, opt. p.71,72.

(3) Conder, C.R., Tent Work in Palestine: A Record of Discovery and Adventure, London, 1880. p.165.

ومن اللطيف في هذا الأمر، أن الباحث وجد من المصادر التاريخية الإسلامية من سبق المستشرقين والباحثين في الآثار، بالتنبيه لهذه المسألة، مثل سبط ابن الجوزي الذي ذكر: "وقد قشط بعض الجهال اسم عبد الملك وكتب مكانه المأمون، وأين أيام عبد الملك من أيام المأمون بينهما نحو من خمسين ومائة سنة"، وذلك في مخطوط كتابه مرآة الزمان⁽¹⁾، لكن كون تلك المصادر لم تُحقق ولم تنشر، بدا أن المستشرقين الدارسين للآثار الإسلامية وكأنهم أول الذين تنبهوا لهذه المسألة.



شكل 3. 17: مخطط قبة الصخرة وموضح عليه موضع النقش محل الدراسة (المصدر: الباحث)

(1) وذلك بناء على القطعة التي حققها إعاد، ونشرها في بحثه: Elad, Why did, p.53.



شكل 3. 18: صورة ضوئية عن النقش الفسيفسائي

المصدر: Grabar, O., The shape of the holy, early Islamic Jerusalem, p.59.

بِع هده الفيه عبد الله عبد (الله
 الامام المامورا) مرالمو مسرفه سسه
 اسرو سسعر بعيل الله منه

شكل 3. 19: نسخة عن اللوحة المزورة بالخط الكوفي ويظهر فيها تاريخ إنشاء القبة، وما بين القوسين موضع التزوير.

المصدر: Warren, The survey, p.38

ويفهم من الروايات أن عبد الملك كان مستشعراً عظماً ما سيقوم به من عمل، وما سيكلف خزينة الدولة، مما دعاه إلى مشاركة أقاليم الخلافة في هذا القرار، وطلب رأيهم، وإن كان من المفهوم أن مثل هذا الطلب كان سيجاب بالتأييد على كل الأحوال، فإن عبد الملك مضى في خطوته تلك ليُشعر جميع الأقاليم بأهمية ما هو مقدم عليه، وبناءً على ذلك، "قدم من دمشق إلى بيت المقدس، وبث الكتب في جميع عمله كله إلى جميع الأمصار: أن عبد الملك قد أراد أن يبني قبة على صخرة بيت المقدس، تكن

المسلمين من الحر والبرد. فكره أن يعمل ذلك دون رأي رعيته، وليكتب الرعية إليه برأيهم وما هم عليه، فوردت الكتب عليه: نرى أمير المؤمنين رأيه موفّقاً رشيداً، نسأل الله تعالى أن يتم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده، ويجري ذلك على يديه، ويجعله مكرمة له، ولمن مضى من نسله"⁽¹⁾.

ومن المفهوم أن قدوم عبد الملك إلى بيت المقدس ليدشن بدء العمل في قبة الصخرة، يفصح عما كان يمثله هذا المشروع للدولة الأموية وللخليفة الأموي نفسه. ولأهمية ذلك المشروع، فإن المصادر حرصت على ذكر المشرفين على تنفيذه، الذين كانوا من أعلام وأشراف بلاد الشام في ذاك العصر، وهم:

- الفقيه رجاء بن حيوة: (ت: 112هـ/730م)، من قبيلة كندة، ويكنى أبو المقدام، وهو من مدينة بيسان (كانت في حينه من جند الأردن) ثم انتقل إلى جند فلسطين⁽²⁾، "روى عن معاوية وطبقته، وكان شريفاً نبيلاً كامل السؤدد"، "سيد أهل الشام في أنفسهم"، ودلت القصص التي تسوقها كتب التراجم عنه أنه كان يتمتع بمكانة خاصة عند الخليفة عبد الملك بن مروان⁽³⁾. ولا بد أن اختياره ليكون مشرفاً على البناء من دلائل تلك المكانة، ولا سيما اضطلاعاه بالإشراف المالي على المبنى.

- يزيد بن سلام: مولى عبد الملك بن مروان، من أهل بيت المقدس⁽⁴⁾، ولم أقف على ترجمة له، ويرجح لدى الباحث أنه من كبار المهندسين المختصين في البناء الذين لم تحفل كتب التراجم بذكرهم، إذ غلب على تلك الكتب الاهتمام بأهل الحكم والإدارة فضلاً عن العلماء

(1) ابن المرجى، فضائل، ص71؛ الشهاب المقدسي، مثير الغرام، ص171.

(2) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، كتاب المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م)، ص473.

(3) عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الشهير بابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، (دمشق، دار ابن كثير، 1406هـ)، ج1، ص145؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص360-363.

(4) مجير الدين، الأانس الجليل، ج1، ص273.

والمحدثين، وكونه خبير بناء ومن موالي الخليفة، فإن ذلك يؤهله ليكون محل ثقته لمشاركة الفقيه رجاء بن حيوة الإشراف على بناء القبة.

- ولدا يزيد بن سلام⁽¹⁾: لم يسمهما المصدر، ويبدو أنهما خبراء في البناء كوالدهما يزيد.

ونجد في اختيار الخليفة لشخصية مرموقة على المستويين القبلي والديني مثل الفقيه رجاء بن حيوة، للإشراف على البناء، ورغم أن المصادر لم تذكر مشاركته في أعمال بناء أو خبرة في المجال، حرص الخليفة على امتلاك الشرعية الدينية في إقدامه على هذه الخطوة الجديدة بما مثلته من نقلة في مفهوم العمارة الدينية الوظيفية (مكان للاجتماع والصلاة)، إلى الرمزية والقدسية (مبنى تذكاري).

أما باقي العمال والحرفيين، فسكت عنهم المصادر المطبوعة، غير أنه وقبل أعوام قليلة، وتحديداً عام (2008م)، حققت مخطوطة "مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس" لابن شيث القرشي (ت: 625هـ/1228م)، ونال بها حاتم عبد اللطيف داود درجة الماجستير من جامعة النجاح، وفيها تفردت المخطوطة بذكر طبيعة المشاركين في البناء، حيث أوضحت المخطوطة أن الخليفة عبد الملك قد "جمع عندها الصناعات من جميع الأقطار كلها"⁽²⁾.

ومن شدة حرص عبد الملك على أن تكون القبة استثنائية، أمر المشرفين أن "يفرغوا عليها المال إفراغاً دون أن ينفقوه إنفاقاً"⁽³⁾، "وأن يضاعفوا الأعطيات"⁽⁴⁾، أي أن الميزانية المرصودة كانت مفتوحة ولا يهتم التكلفة، ولنا أن تخيل حجم الإنفاق على مبنى مساحته (2421 متراً مربعاً) استهلك خراج مصر لسبع سنوات، (66-72هـ/686-692).

(1) المصدر نفسه.

(2) عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي، مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس، تحقيق: حاتم عبد اللطيف داود "داود الحمد"، (نابلس، جامعة النجاح الوطنية، قسم التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، 2008م)، ص250.

(3) ابن المرجى، فضائل، ص71؛ الشهاب المقدسي، منير الغرام ص171.

(4) ابن شيث القرشي، مفتاح المقاصد، ص250.

وقدم الجغرافي وعالم البلدان الحميري في كتابه "الروض المعطار" معلومات عن طبيعة البناء والمواد المستخدمة، مثل السقف الذي تم تليسه بصفائح الرصاص، أما تيجان الأعمدة (Capitals)⁽¹⁾، فقد استخدم في تزيينها كميات كبيرة من الذهب، أما القبة فكانت مكسوة بصفائح النحاس المطلية بالذهب، "وجعل على أعلى القبة ثمانية آلاف صفيحة من نحاس مطلية بالذهب، في كل صفيحة سبعة مثاقيل ونصف من ذهب"⁽²⁾، وتضيف رواية ابن المرجى حادثة طريفة تعزز من مكانة الصخرة وقبتها، وأثرها على التفكير والسلوك الإسلامي آنذاك، ذلك أنه لما اكتمل بناء القبة على أتم وجهه، أرسل مشرفا البناء إلى الخليفة عبد الملك: "قد أتم الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء صخرته والمسجد الأقصى، ولم يبق لمتكلم فيه كلام، وقد تبقى مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة بعد أن فرغ من البناء وأحكم مائة ألف دينار، فيصرفها أمير المؤمنين في أحب الأشياء إليه. فكتب إليهما: قد أمر بها أمير المؤمنين جائزة لكما؛ لما وليتما من عمارة ذلك البيت الشريف المبارك. فكتبا إليه: نحن أولى أن نزيد من حلي نساءنا، فضلاً عن أموالنا، فاصرفها في أحب الأشياء إليك. فكتب إليهما: تسبك وتفرغ في القبة، ففعلا ذلك"، وتضيف الرواية أنه وبعد أن حولت تلك الدنانير إلى صفائح ذهبية تغطي القبة، لم يكن أحد يستطيع أن ينظر إلى القبة من شدة لمعانها⁽³⁾.

- سبب إنشاء القبة.

يقدم المؤرخ اليعقوبي (ت: 284هـ/897م) سبباً غريباً لإقدام عبد الملك بن مروان على بناء قبة الصخرة، وهو لتكون مكاناً للحج بدل البيت الحرام بمكة نظراً لسيطرة عبد الله بن الزبير على الحجاز،

(1) للاطلاع على نماذج تيجان الأعمدة الموجودة في قبة الصخرة، انظر: ملحق رقم (5).

(2) محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980م)، ص69.

(3) ابن المرجى، فضائل، ص72؛ مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، 273.

وتفصيل ذلك -حسب اليعقوبي- : "منع عبد الملك أهل الشام من الحج، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم، إذا حجوا، بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، فضج الناس، وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام، وهو فرض من الله علينا! فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله ﷺ وضع قدمه عليها، لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيام بني أمية"⁽¹⁾. وقد وجدت تلك الرواية صدقاً في مصادر متأخرة عن عصر اليعقوبي؛ مثل ما ذكره سبط ابن الجوزي (ت: 654هـ/1256م) في كتابه مرآة الزمان⁽²⁾، ثم نقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية.⁽³⁾

وفي المقابل، يقدم المؤرخ المقدسي (ت: نحو 380هـ/ 990م) تفسيراً آخر لسبب بناء قبة الصخرة وعلى هياتها الفريدة والجديدة في العمارة الإسلامية، ففي حوار مع عمه، يسأل المقدسي عن سبب بناء الوليد بن عبد الملك مسجد دمشق (المسجد الأموي) بهذه التكلفة الكبيرة، ولو أنه أنفق ذلك في عمارة الطرق وصهاريج المياه وترميم الحصون لكان أفضل للمسلمين، فجاء الرد من عمه: "إن الوليد وُفق وكشف له عن أمر جليل، وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعاً حسنة قد أفتن زخارفها، وانتشر ذكرها كالقمامة وبيعة لد والرها، فاتخذ للمسلمين مسجداً أشغلهم به عنهن، وجعله أحد

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص214.

(2) Elad, Why did, p.53.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص308.

عجائب الدنيا، ألا ترى أن عبد الملك لما رأى عظم قبة القمامة وهيئتها، خشي أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على ما ترى"⁽¹⁾.

وفي سياق التقييم والترجيح، يبدو السبب الذي أورده اليعقوبي غير منطقي، مما يزيد من وجهة ما التعليل الذي ذكره المقدسي، عن عمه، وتفصيل ذلك كالتالي:

1. يعد اليعقوبي من المؤرخين المتشيعين المتحاملين على بني أمية بالعموم، وهو من كُتّاب الدولة

العباسية، وتكثر في كتابته الروايات الغربية التي تظهر تشيعه، وتحامله على الدولة الأموية

وخلفائها، بل لا يعترف بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما⁽²⁾. فلا عجب أن تكون تلك

الرواية لغرابتها مما تحامل بها على الأمويين.

2. استغرق بناء قبة الصخرة سبعة أعوام، فلا يعقل أن يجعل عبد الملك بن مروان المسلمين

ينتظرون سبعة أعوام بلا حج ريشما ينتهي من إتمام إعمارها.

3. تاريخياً، لم يكن موقف عبد الملك بن مروان بالحرج على المستوى العسكري وحسم الصراع مع

عبد الله بن الزبير حينما شرع في بناء قبة الصخرة، التي جاء إنشاؤها في سياق من الانتصارات

المتتالية التي خسر فيها عبد الله بن الزبير مراكز قوته، وقدرته على النفوذ⁽³⁾، فلو كان الأمر

كما ادعى اليعقوبي، لوُفِّر عبد الملك تلك الأموال لحربه مع ابن الزبير، وقد رصد لذلك خراج

ولاية كبيرة بحجم مصر لسبعة أعوام متتالية⁽⁴⁾.

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص159.

(2) للمزيد حول اليعقوبي ومنهجه في كتابه التاريخ الأموي، ينظر: عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عن العرب، (الإمارات، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000م)، ص144؛ على الصلابي، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداخيات الإنحيار، (بيروت، دار المعرفة، ط2، 2008م)، ج1، ص698-699.

(3) للمزيد حول الحرب بين عبد الملك وابن الزبير، ينظر: يوسف العث، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها من فتنه عثمان، (دمشق، دار الفكر، ط2، 1985م)، ص200-209.

(4) مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص272.

4. لو قام عبد الملك بن مروان بمثل هذه الخطوة لانقلب عليه المسلمون في الشام وغيرها، فلا يعقل أن يقوم خليفة مهما علا شأنه بين رعيته، بالعبث في ركن من أركان الإسلام الواضحة، كالحج إلى بيت الله الحرام واستبداله بموضع آخر، ومن المعروف عن عبد الملك رجاحة عقله وحصافة رأيه كما يظهر في سيرته.

5. دلت رواية يسوقها الطبري في تاريخه أنه في موسم الحج لعام (68هـ/687م)، كان "لواء بني أمية" (أي: الشامي) أحد أربعة ألوية قد وقفت بعرفات بجانب لواء ابن الزبير⁽¹⁾، وبهذا ينتفي منع عبد الملك بن مروان للناس من الحج وحبسهم حتى لا يججوا، ويؤدون تلك الفريضة في المسجد الأقصى عوضاً عن الحرم المكي.

6. معمارياً، تصميم القبة ومنصتها المرتفعة عن ساحة المسجد (4 أمتار تقريباً) لا توحى بأن تصميمها كان لطواف الناس حولها، ومن المعروف أن التيار البشري المتدفق في الطواف يحتاج إنسيابية وتتابع في الحركة.

أما ما ذكره المقدسي فيبدو منطقياً مع ما عرف عن كنائس الشام وكنيسة القيامة في بيت المقدس من قوة في البناء وجمال في المظهر وأناقة في الزينة، وقد حافظ المسلمون بعد الفتح عليها ولم تطلها أيديهم بأذى، فلزم الأمر أن يقوم رأس الخلافة ورأس الدولة في تحصين المجتمع المسلم من الافتتان بما يحيط بهم من كنائس بدیعة الصنعة، وفي هذا السياق يجب ألا يغفل الباحث عن اختلاف طبيعة العصر الأموي عن العصر الراشدي، ففي حين غلب طابع البساطة والتقشف العصر الراشدي، (مثل مسجد عمر)، كانت مظاهر التوسع والقوة والغنى قد حلت على الدولة الأموية التي أصبحت منافساً قوياً للإمبراطوريات المعاصرة، ولا سيما الإمبراطورية البيزنطية التي كانت في صراع ومنافسات معها.

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص508.

ومما يعزز التوجه لدى الباحث بقبول ما ذكره المقدسي، دراسة نصوص النقوش الكتابية الأموية التي وضعت على الوجه الداخلي للثمنية الوسطى، التي كانت آيات قرآنية تخاطب أهل الكتاب والمسيحيين⁽¹⁾، منها قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۗ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۗ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۗ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۗ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا)⁽²⁾. وكأنه أراد من ذلك أن يحصن المسلم من الافتتان بالمسيحية، فهو خارج القبة يتذكر أنه قادر على (المنافسة في الميدان الحضاري)، فإذا ما دخل القبة يتم تذكيره بتميزه، بأنه قادر على (المنافسة في الميدان العقائدي).

ومن الناحية الوظيفية، فإن المصادر الإسلامية أفادت بأن قبة الصخرة قد بنيت حتى "تقي المسلمين من الحر والبرد"⁽³⁾، لكن التحليل المعماري والعمراني لموقع القبة وأبعادها يكشف أن إنشاء القبة على هذه الهيئة، كانت له أهداف أبعد من ذلك في تحديد شخصية المدينة بل الإقليم ككل، فبدت الصخرة أقرب إلى النصب التذكاري (Monumental) منها إلى شي آخر، وهو ما سيكون محل دراستنا في الفصل القادم.

- العناية بقبة الصخرة في العهد الأموي.

رغم أن تلك المنشأة قد صممت ونفذت بما يكفل حمايتها من تقلبات الطقس، إلا أن شدة جمال القبة ولمعانها جعلها تبدو كتحفة بحاجة لعناية فائقة، فيذكر ابن المرجى المقدسي، أنهم صنعوا لها جلالان،

(1) أثبت الباحث جميع نصوص النقوش الأموية الموجودة على قناطر قبة الصخرة، انظرها في ملحق رقم (6)

(2) سورة النساء: آية 171.

(3) مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص272.

"جلال من لبد⁽¹⁾، وجلال من آدم من فوقه، فإذا كان الشتاء ألبسته؛ ليكنها من الأمطار والرياح والثلوج"⁽²⁾، واستخدم في إضاءتها مائة وخمس من السلاسل التي حملت القناديل⁽³⁾. أما الصخرة نفسها، فقد حفت بدرابزين⁽⁴⁾، وخلف الدرابزين علق ستور ديباج بين الأعمدة التي أحاطت بالصخرة، كما حرص عبد الملك بن مروان على جلب الأشياء النادرة وعلقها في السلسلة المتدلّية من وسط القبة على الصخرة، وهي: "درة ثمينة، وقرنا كبش إبراهيم، وتاج كسرى"، ومن المؤكد أنه من الصعوبة بمكان الاحتفاظ بقرني كبش إبراهيم عليه السلام، لكنه من المعلوم حرص الخلفاء على امتلاك مثل هذه الأشياء، وإن كانوا يعلمون عدم صحة نسبها، لما تمثله من دلالة على حيابة أركان السلطة وعوامل القوة، التي لم تكف بالحاضر، بل امتدت لتصل إلى الماضي، غير أن تلك المعلقات انتقلت إلى الكعبة حين سيطر العباسيون على بيت المقدس ودخلت في سلطتهم⁽⁵⁾.

وأصبح للأمويين طقوس في التعامل مع الصخرة، ذكرها ابن المرجى تفصيلاً، ومختصرها أن قبة الصخرة كانت لا تفتح للمصلين والزائرين إلا يوم الإثنين والخميس، بحيث تجهز المواد العطرية بكميات كبيرة وبطرق خاصة، ثم يأتي الخدم بعد أن يتطهروا في حمام سليمان بن عبد الملك، فيلطخوا الصخرة بها، ثم تبخر الصخرة وهي مغلقة محفوفة بالستائر، فلما يكثف دخان البخور حتى تختفي القبة، ترفع الستائر، فتفوح رائحة البخور حتى تصل الناس التي في السوق، فيهرعوا للصلاة في القبة، استجابة لإعلان المنادي بذلك⁽⁶⁾.

(1) اللبد: نوع من البسط يصنع من الصوف أو الشعر. المعجم الوسيط، ص812.

(2) ابن المرجى، فضائل، ص72-73؛ مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص273-274.

(3) ابن المرجى، فضائل، ص74.

(4) صف من الأعمدة الصغيرة المتجاورة يعلوها متكأ، تستخدم كحاجز.

(5) الشهاب المقدسي، مثير الغرام، ص174؛ مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص275.

(6) ابن المرجى، فضائل، ص72-73؛ مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص273-274. وتام رواية ابن المرجى:

"وكان في كل يوم إثنين يأمران بالزعفران يدق ويطحن، ثم يعمد من الليل بالمسك والعنبر والماورد الجوري، ويخمر من الليل، ثم يأمر الخدم بالغداة فيدخلون حمام سليمان بن عبد الملك يغتسلون ويتطهرون، ثم يأتون إلى الخزانة التي فيها الخلق فتلقى أثوابهم، ثم يخرجون بأثواب جدد

وبذلك نكون قد درسنا أهم المعالم الدينية التي أنشأها الأمويون في بيت المقدس وتطورها، في

سياقها التاريخي.

- ثانياً: العمران المدني في مدينة بيت المقدس.

لم يقتصر عمران بيت المقدس في العهد الأموي على المسجد الأقصى ومرافقه وإن بلغ ذروته فيما يمكن تسميته بالعمارة الدينية أو العمارة المقدسة، بل رافق هذه النهضة المعمارية في المسجد الأقصى، نهضة عمرانية موازية أفادت منها أجزاء واسعة من المدينة، وعلى صعيد المرافق وإنشاء الأحياء والمجاورات السكنية التي زادت فرصتها في التوسع في الجانب الجنوبي من المدينة كما دلت على ذلك الآثار.

وكان هذا نتيجة طبيعية للمكانة التي احتلتها المدينة في الفكر والسلوك الأموي الرسمي والشعبي؛ حيث اتخذ الأمويون من بيت المقدس عاصمة لجند فلسطين، واستمرت على هذا الحال -على الأقل- حتى تم الانتهاء من بناء جامع مدينة الرملة في عهد عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/ 717-720م)، التي أنشئت في العهد الأموي على يد سليمان بن عبد الملك حين كان والياً على جند فلسطين، لتصبح فيما بعد عاصمة لجند فلسطين⁽¹⁾، وكان أول ما بنى فيها، قصر الإمارة (المجمع الإداري)، ودار الصباغين،

من الخزانة، مروى وقوهي وشيء يقال له: العصب، ويخرجون منها مناطق محلاة، ويشدون بها أوساطهم، ثم يأخذون سفول الخلق ثم يأتون الحجر حجر الصخرة، فيلطنون ما قدروا أن تناله أيديهم، ثم يغمروه كله، وما لم تنله أيديهم غسلوا أقدامهم، ثم يصعدون على الحجر يلطنون ما بقي، ثم ترفع أنية البخور، ويؤتى بمجامر الذهب والفضة والند والعود القماري المطرى بالمسك والعنبر، فتزخى الستور حول العمدة كلها، ثم يأخذون في البخور حولها، يدورون حتى يحول البخور بينهم وبين القبة، ثم تشمر الستور، فيخرج البخور يفوح من كثرته حتى يبلغ رأس السوق، فيشم الريح من ثم، فيقطع البخور من عندهم، ثم ينادي منادي في صف البزازين وغيره: ألا إن الصخرة قد فتحت للناس، فمن أراد الصلاة فليأت، فيقبل الناس مبادرين إلى الصلاة في الصخرة، فأكثر من يدرك أن يصلي ركعتين، وأكثره أربعاً، ثم يخرج الناس فمن شموا رائحته قالوا: هذا ممن دخل الصخرة، وتغسل آثار أقدامهم بالماء، وتمسح بالأس الأخضر، وتنشف بالسباني والمناديل، وتغلق الأبواب، وعلى كل باب عشرة من الحجة، لا تدخل إلا يوم الإثنين والخميس، ولا يدخلها إلا الخادم.

حارث قال: كنت أسرجها خلافة عبد الملك [كلها] بالبان المدني والزئبق الرصاص. فهذا ما كان يفعل بما في خلافة عبد الملك كلها رحمة الله عليه".

(1) اليعقوبي، البلدان، ص116.

ثم شرع في بناء مسجدها الجامع، الذي أتمه عمر بن عبد العزيز، وسمح سليمان للناس بأن ينشئوا بيوتهم، وشق لهم قناة مياه تدعى بردة، كما حفر آبار مياه، لطبيعة المنطقة الجافة، ولتكون عامل جذب للسكن والاستقرار بها⁽¹⁾

وتعددت الإشارات التي تفيد بجعل بيت المقدس عاصمة للدولة الأموية (الخلافة) في بعض الأحيان، مثل أوائل عهد معاوية بالخلافة، ويوم أن قرر الخليفة سليمان بن عبد الملك اتخاذها مقراً له بعد مبايعته بالخلافة، وشروعه في إجراءات نقل الخلافة إليها، ولا شك أن هذا دلالة على أن المدينة كانت مهياًة معمارياً وعمرانياً، لمثل هذه الوظيفة الجديدة لتكون حاضرة الخلافة الإسلامية في العهد الأموي على امتداد بقعتها شرقاً وغرباً، كما اتضح في مباحث سابقة.

أما على الصعيد الشعبي، فقد مثلته ظاهرة الوافدين الراغبين في مجاورة المسجد الأقصى طمعاً في مضاعفة الأجر، ويبدو أن رغبتهم العيش في بيت المقدس، بدافع أن يكونوا الأقرب إلى الخلاص من الدنيا وفتنها، ففي الحديث أنها ستكون أرضاً للمحشر والمنشر⁽²⁾، وتعددت وانتشرت الأحاديث التي ترغب في الإقامة في بيت المقدس وقرب المسجد الأقصى لدرجة أن بعضها جعلت من يدفن في بيت المقدس فكأنما دفن في السماء، وغيرها الكثير الذي يعلي من شأن الإقامة فيها ويضمن للمقيم فيها الرزق والشهادة فضلاً عن دخول الجنة⁽³⁾. وقد أحصى أحد الباحثين كما كبيراً من الكتب التي ألُفت في فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى، ضمنها

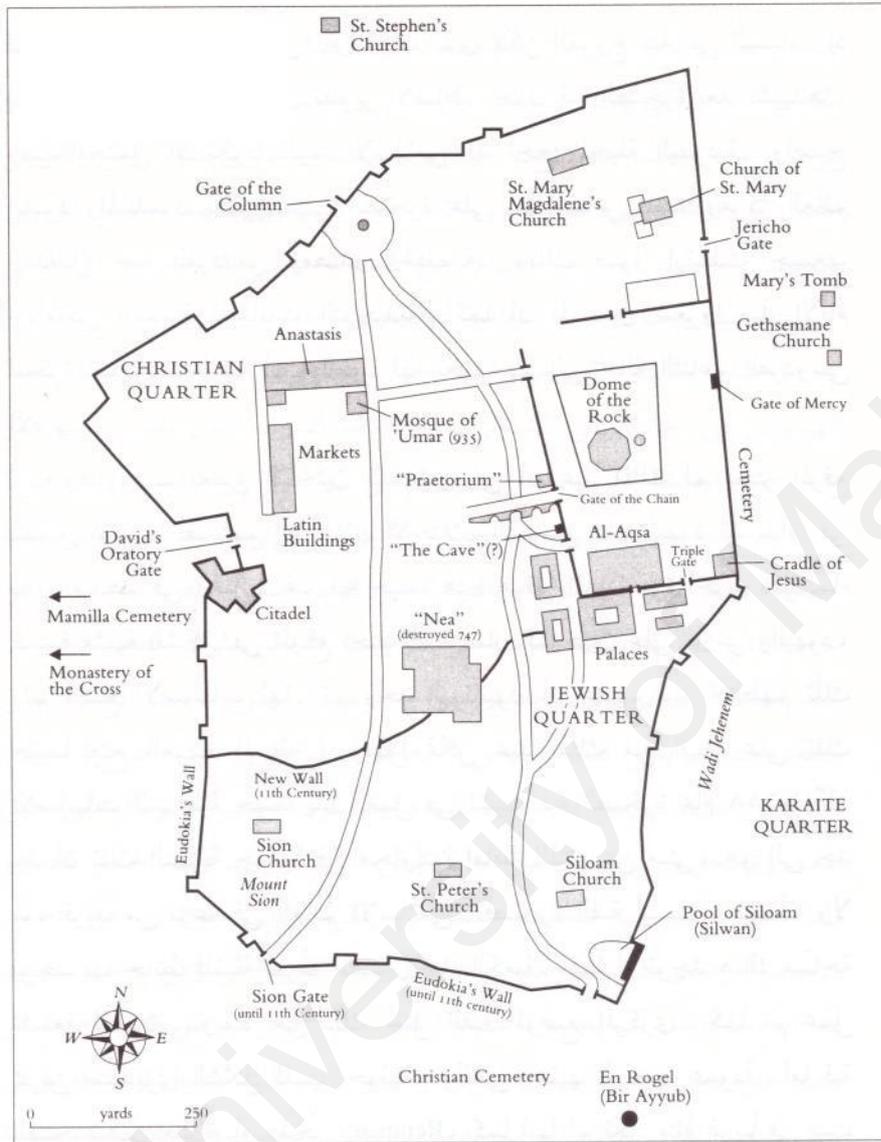
(1) اليعقوبي، البلدان، ص 116؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 149.

(2) ابن حنبل، المسند، ج 45، ص 597.

(3) انظر: ابن الجوزي: تاريخ بيت المقدس، ص 65. للمزيد، ينظر: الضياء المقدسي: فضائل بيت المقدس، ص 39-96؛ الشهاب المقدسي: مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ص 65-105؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج 1، ص 226-240.

معجماً بذلك⁽¹⁾. كما دلّ على ذلك عدد كبير من الروايات حول الأعلام الذين وفدوا المدينة

وعمروها واستقروا بها لهذا الغرض.



شكل 3. 20: مخطط بيت المقدس وأهم معالمها في صدر الإسلام

المصدر: أرمسترونج، القدس، 402

(1) شهاب الله بهادر: معجم ما ألف في فضل وتاريخ المسجد الأقصى.

- الأسوار.

تبين في الفصل السابق أن المدينة استسلمت للفتاحين المسلمين، و"فتحت صلحاً"، وأن السور بقي على حاله من العهد البيزنطي، ومن المهم هنا، أن نثبت المعلومات العمرانية التي دونتها رحلة الحاج الفرنسي أركولف، والمتعلقة بالسور، مثل أنه أحصى أربعة وثمانين برجاً على سور المدينة، وكذلك ست بوابات⁽¹⁾ اخترقت هذا السور، وأكثرها استخداماً كانت البوابات التي تقع على غربي المدينة وشرقها وشمالها⁽²⁾. ولم تذكر المصادر تغييراً في هذا السور طيلة العهد الأموي، وتبقى رواية تسوقها المصادر الأدبية، وظاهر عليها أنها من باب الطرف لا التاريخ، إذ لم تؤيدها أو تسندها شواهد أخرى، مفادها أن عبد الملك بن مروان بنى باباً ببيت المقدس باسمه، وكذلك فعل الوالي الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي، فجاءت صاعقة حرقت باب عبد الملك بينما سلم منها الباب الذي أنشأه الحجاج، فاغتم عبد الملك لذلك فأرسل إليه الحجاج: "وما مثلي ومثلك إلا كابي آدم إذ قربا قرباناً، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر"، فلما وقف عبد الملك على كتابه سري عنه⁽³⁾.

عمرانياً، يمكن القول أن إعادة تأهيل منطقة المسجد الأقصى (التي كانت خارج مدينة بيت المقدس قبل الفتح حسب خريطة مأدبا)⁽⁴⁾، جعلها جزءاً من المدينة المسورة، وعليه يكون حائط المسجد

(1) بعد أركولف بثلاثة قرون، وثَّق المقدسي (ت: نحو 380هـ/990م) ثمانية أبواب للمدينة في عهده، لكنه لم يبين مواقعها، وهي: "باب صهيون، باب التيه، باب البلاط، باب جب أرميا، باب سلوان، باب أريحا، باب العمود، باب محراب داود". المقدسي، أحسن التقاسيم، ص167.

(2) Arcoulf, p.1

(3) نصر الله بن مُجَدِّد، ضياء الدين بن الأثير (ابن الأثير الكاتب)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: مُجَدِّد محي الدين عبد الحميد، (بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1420هـ)، ج1، ص311؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُجَدِّد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، 1900م)، ج1، ص234-235؛ بهاء الدين مُجَدِّد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: مُجَدِّد عبد الكريم النمري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م)، ج2، ص31.

(4) انظر: المبحث الثالث من الفصل الأول.

الأقصى الشرقي هو الحد الشرقي الجديد للمدينة، وفيه تم تشييد باب الرحمة⁽¹⁾ الذي يعد من أضخم تلك الأبواب وأكثرها أناقة والمعروف بالمصادر الأوربية باسم (Golden Gate).

وبحسب حفريات وأبحاث علماء الآثار، شهد العهد الأموي بعض التغييرات على سور المدينة، ذلك أن سور المدينة الشرقي قد تم إضافة أجزاء له تداخلت مع سور العهد البيزنطي، ولوحظ أنه من الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى اتجه سور أموي نحو الجنوب ليضم المجمع الإداري (دار الإمارة وملحقاتها) التي بناها الأمويون جنوبي المسجد الأقصى⁽²⁾.

لم يدم هذا السور طويلاً، فحسب ما ذكره المؤرخ البيزنطي ثيوفانس (Theophanes) (ت: 201هـ/817م) في حولياته، وتحديداً أواخر عهد الدولة الأموية، هدم الخليفة مروان بن محمد (127-132هـ/744-750م) سور بيت المقدس مع أسوار مدن شامية أخرى مثل دمشق وحمص، كإجراء وقائي أثناء مواجهته للثورة التي نشبت في حينه⁽³⁾.

- دار الضرب.

ومن الجوانب المهمة للدلالة على العمران المدني الذي نعمت به المدينة، أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان قد أمر بأن تقام في بيت المقدس دار لضرب العملة الإسلامية، ولأول مرة في التاريخ الإسلامي ظهر الدينار الذهبي الإسلامي، الذي ضرب في مدينة بيت المقدس، وأثبت ذلك دنانير ذهبية عثر عليها حديثاً، وضربت عليها كلمتي "إيليا فلسطين"، دون إشارة الصليب التي كانت تضرب عادة على الدنانير

(1) سيتم دراسة هذه البوابة تفصيلاً في المبحث الأول من الفصل الرابع.

(2) Shamma, A. Z., The Umayyad Dome of the Rock in Jerusalem: A seventh-century cultural paradigm, University of California, Los Angeles, (2004), pp.21-22.

(3) Theophanes (The Confessor), The Chronicle of Theophanes: An English translation of Anni Mundi 6095-6305, U.S.A, Oxford university press, (1997), p.584.

البيزنطية⁽¹⁾. وكذلك ظهرت في بيت المقدس العملات التي ضربها عبد الملك بن مروان وحملت أحد وجوهها صورته واقفاً حاملاً سيفه وهي المعروفة في أدلة العملات الأجنبية باسم الخليفة الواقف (Standing Caliph)⁽²⁾، وعلى الوجه الآخر ضرب اسم بيت المقدس الروماني "إيليا"، وفلسطين، بينهما حرف (m). (انظر الشكل 3. 20)⁽³⁾

ومن المرافق الأخرى كان هناك نزل للحجيج، ومعسكراً، وأبنية عامة أخرى، كالحمامات التي

قامت بجوار البرك التجميعية⁽⁴⁾.



شكل 3. 21: عملة عائدة لفترة الخليفة عبد الملك المبكرة (قبل الإصلاح النقدي الكامل) ويظهر على أحد وجوهها (يسار) الخليفة واقفاً حاملاً سيفه وهو في غمده، ويحيط به عبارة "مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ" بالخط الكوفي، وعلى الوجه الآخر (يمين) فلسطين m (رمز لاتيني) إيليا، وهي من العملات النادرة.

المصدر: <http://agoraauctions.com/listing/viewdetail/2832>

(1) عبد المتعال مُجَد الجبيري، أصالة الدواوين والنقود العربية، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1989م)، ص70؛

Foss, C., A Syrian Coinage of Mu'awiya, In: *Revue numismatique*, V.6, Issue 158, 2002, pp. 353-365.

(2) Heidemann, S., The Standing Caliph Type – the object on the reverse, in: (The Seventh Century Syrian Numismatic Round table, an informal group of numismatists and historians whose convenors are Tony Goodwin. (London, Archetype Publications Ltd., 2010), pp.23-34.

(3) للاطلاع على نموذج آخر من عملات عبد الملك المقدسية، انظر: ملحق رقم (7).

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص168.

- العمائر المائية

أبرز تلك العمائر وما تعلق بها كالحمامات، والبرك، والآبار والصحاريج، والقنوات الناقلة. وقد فصل المقدسي في ذلك، ذاكراً أن حمامات المدينة قامت على البرك، ذاكراً أن المدينة قد اعتمد نظامها المائي في الجمل على ثلاث برك عظيمة، وهي: بركة بني إسرائيل، وبركة عياض، وبركة سليمان، اثنتان منهم كانتا في الواد المجاور للمدينة، وقد كان مصدر مياه تلك البرك أمطار المطر القادمة إليها خلال فصل الشتاء عبر قنوات جرت مع الأزقة إلى حيث البرك، فضلاً عن السيول، ومن هذه البرك تم حفر وتركيب قناة تدخل إلى البلد، لتزويد المدينة بالماء وقت الربيع فتملاً صحاريج المسجد الأقصى، وغيرها. فضلاً عن هذه البرك، لعبت الآبار العامة التي في الحارات وفي المسجد الأقصى، دوراً مهماً في تزويد المدينة بالماء، يقول المقدسي: "وفي المسجد عشرون جباً متبحرة، وقلّ حارة إلا وفيها جب مُسَبَّل" (1).

ويشير الباحث طهبوب أن آبار المسجد الأقصى كانت تعتمد على مصدرين للماء: مياه الأمطار التي تتجمع على مسطحات المسجد الأقصى، وعلى مياه قناة السبيل (2) القادمة من بركة سليمان (كما أشار المقدسي)، كما أنه من المحتمل أن يكون هناك تزويد آخر لآبار المسجد الأقصى عبر شبكة القنوات المنتشرة بين آبار المسجد داخله وخارجه، وقدرت دراسات حديثة، سعة آبار المسجد الأقصى بعشرة ملايين جالون، بما يعادل (45000) متر مكعب (3).

ودلت آثار أحد القصور الأموية المكتشفة حديثاً (1968-1972) أن الأمويين استخدموا في بيت المقدس نظاماً مائياً متقدماً، عماده نوعين من القنوات؛ النوع الأول استخدم لنقل مياه الاستعمال اليومي، وتتبع خط هذه القناة تبين أنها قادمة من المسجد الأقصى، وتحديدًا منطقة الباب المزدوج

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 168.

(2) للمزيد حول قناة السبيل ونظامها، ينظر: إبراهيم أبو ارميس، قناة السبيل تاريخها وأهميتها وواقعها، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع18، (2010م)، ص 42-64.

(3) طهبوب، المصادر المائية، ص 39.

(Double Gate) حيث يوجد صهاريج ضخمة هناك، كما كان هناك قنوات مخصصة قادمة من الغرب من قناة المياه الرئيسة للمدينة (Aqueduct)، أما النوع الثاني فكان قنوات مخصصة للصرف خارج القصر⁽¹⁾.

- البيوت:

ليس لدينا تفاصيل وافية عن بيوت بيت المقدس في صدر الإسلام، أو كيف بنى المسلمون بيوتهم، أو خصائصها المعمارية، لكن يبقى ما ذكره أركولف (Arculf) من ملاحظته لبيوت كبيرة داخل المدينة، قد بنيت بحجارة جميلة أنيقة، لكن انشغاله في المزارات الدينية شغله عن إعطائنا تفاصيل أوفى عنها⁽²⁾، وفي حفريات كاثرين كينيون جنوب وشرق كنيسة القيامة، ظهرت كمية قليلة من بقايا البيوت التي تعود لفترة صدر الإسلام قد بنيت فوق الطبقة البيزنطية، مما يثبت أن البناء كان داخل أسوار المدينة وخارجها⁽³⁾، كما ذكر المقدسي بعض من خصائص بيوت المدينة في تلك الفترة أنها مجهزة لخزن الماء، "وقل دار ليس بها صهريج وأكثر"⁽⁴⁾، وقد ساعدت طبيعة التكوين الجيولوجي لصخور المدينة في إيجاد ومعالجة تلك الآبار والصهاريج⁽⁵⁾، فكما ظهر معنا في الفصل الأول من هذه الدراسة أن مدينة بيت المقدس تقوم على أربعة جبال صخرية.

Taleb Al-Samadi, , Bait Al-maqdis within a historical and archaeological contex until (1) the end of the Umayyad period, Journal of the College of Humanities and Social Sciences. Vol.24 (2001), p.28.

Arcoulf, p.7 (2)

Kenyon, K., Digging Up Jerusalem, p.275. (3)

(4) المقدسي، أحسن الأقاليم، ص 167.

(5) طهوب، العمائر المائية، ص 33.

ويبدو أن بيوت المدينة لم تصمد أمام الزلزال الذي ضرب بيت المقدس عام (130هـ/747م)، وقد أشارت المصادر بأنه تركز في بيت المقدس، حتى "فني كثير ممن كان فيها من الأنصار وغيرهم"، ومنهم عائلة الصحابي شداد بن أوس الذي أقام في المدينة منذ الفتح، "ووقع المنزل الذي كان فيه محمد بن شداد على كل من كان فيه من أهله وولده ففنوا جميعاً، وسلم محمد وقد ذهب رجله تحت الردم"⁽¹⁾.

- المجمع الإداري الأموي.

وشأنها شأن المدن الإسلامية الكبرى في عصرها الإسلامي الأول، بنى الأمويون دار الإمارة (القصر) وما يلحق به من مكاتب ودواوين، وقاعات ضيافة وإقامة لكبار الزوار، ولم تحفل المصادر بكثير معلومات عن دار الإمارة الأموية، ووقف الباحث على إشارتين لها في المصادر المتاحة:

الأولى: ضمن مراسلات قرة بن شريك والي مصر للأمويين التي سبق الإشارة إليها، وفي أحدها (بردية: 1403) يطلب من بسيل، صاحب مدينة أشقوة، أن يرسل صناعاً وعمالاً "لجامع القدس ودار أمير المؤمنين..."⁽²⁾.

الثانية: ما ذكرته الروايات المتعلقة بتعامل وإجلال الأمويين لقبة الصخرة، جاء من ضمن التفاصيل أن الخدم الذين أوكل لهم تبخير وتطيب الصخرة المشرفة كانوا يغتسلون ويتطهرون في حمام سليمان بن عبد الملك⁽³⁾، ولا بد أنه ليس من الحمامات العامة، بل حمام تابع لدار الإمارة.

وبعد الاحتلال الصهيوني لمدينة بيت المقدس عام 1967م، هدم اليهود حارقي الشرف والمغاربة الإسلاميتين، ثم باشر بنيامين مزار (B. Mazar) بقيادة حفرياته الأثرية بخلفية توراتية، في المواقع التي بمحاذاة السور الجنوبي والغربي للمسجد الأقصى، باسم الجامعة العبرية، وجمعية الاستكشاف الإسرائيلية،

(1) ابن عساکر، تاریخ دمشق، ج22، 409.

(2) راجع ملحق (4).

(3) ابن المرجی، فضائل، ص72-73؛ مجیر الدین، الأنس الجلیل، ج1، ص273-274.

واستمرت هذه الحفريات إلى سنة 1974م⁽¹⁾، وحسب ما تظهره وثيقة تقرير اللجنة الإسلامية التي زارت موقع الحفريات، في (22/ديسمبر/1968م)، يظهر أنه جرى تنفيذ تلك الحفريات وتوسيعها رغم الاعتراضات المستمرة من المسلمين ومصلحة الوقف الإسلامي، والهيئة الإسلامية المشرفة على الأقصى، التي رأت في تلك الحفريات تعرية الجدران الحجرية للمسجد، من الناحيتين الجنوبية والجزء الجنوبي من الجدار الغربي⁽²⁾.

كان الهدف الصهيوني من تلك الحفريات الحصول على مساحة 60 متراً لما يسمونه "حائط المبكى" أي الحائط الغربي للمسجد الأقصى، ليصبح 485 متراً، وفي المقام الثاني العثور على بقايا المعبد اليهودي، وكانت النتيجة بعد سنوات الحفريات أن صرَّح مسؤولو تلك الحملة: "إننا لا نعرف عن مكان الهيكل شيئاً، ولم نصل إلى ذلك بتاتاً"⁽³⁾، لكن تلك الحفريات، على غير ما أرادت، فقد كشفت عن نتائج أخرى، وهي عبارة عن ستة من الأبنية الفخمة والكبيرة التي أقيمت بجوار المسجد الأقصى من الجهة الجنوبية، والجزء الجنوبي من السور الغربي للمسجد الأقصى، وبفحص أنماطها الإنشائية، وخصائصها المعمارية، وتقنيات التشييد، تبين أنها تشابه القصور الأموية في جنوب بلاد الشام وخصوصاً قصر خربة المفجر، وقصر المنيا شرق طبرية، وقصر الحراثة في الأردن، الأمر الذي ساعد على تحديد زمانها في العصر الأموي، وتبين أنها لم تشغل أو ترمم إثر انهيارها في منتصف القرن الثامن⁽⁴⁾. وهو يطابق وقت الزلزال الذي ضرب بلاد الشام وتركز في بيت المقدس كما أشرنا إليه سابقاً (130هـ/747م) وتسبب في هدم بيوت بيت المقدس والجامع القبلي. وقد استمرت أعمال الحفريات، حتى تم الكشف عن ستة من تلك الأبنية

(1) شامخ علاونة، الحفريات الأثرية في مدينة القدس ما بين الأعوام 1863-2009م والحق التاريخي للعرب منذ تأسيسها دراسة تاريخية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع:27، (2012)، ص348-378.

(2) خاطر، موسوعة القدس، ج1، ص470.

(3) خاطر، موسوعة القدس، ج1، ص470.

Harold Mare W., The Archaeology of the Jerusalem Area, Wipf & Stock Publishers, (4)

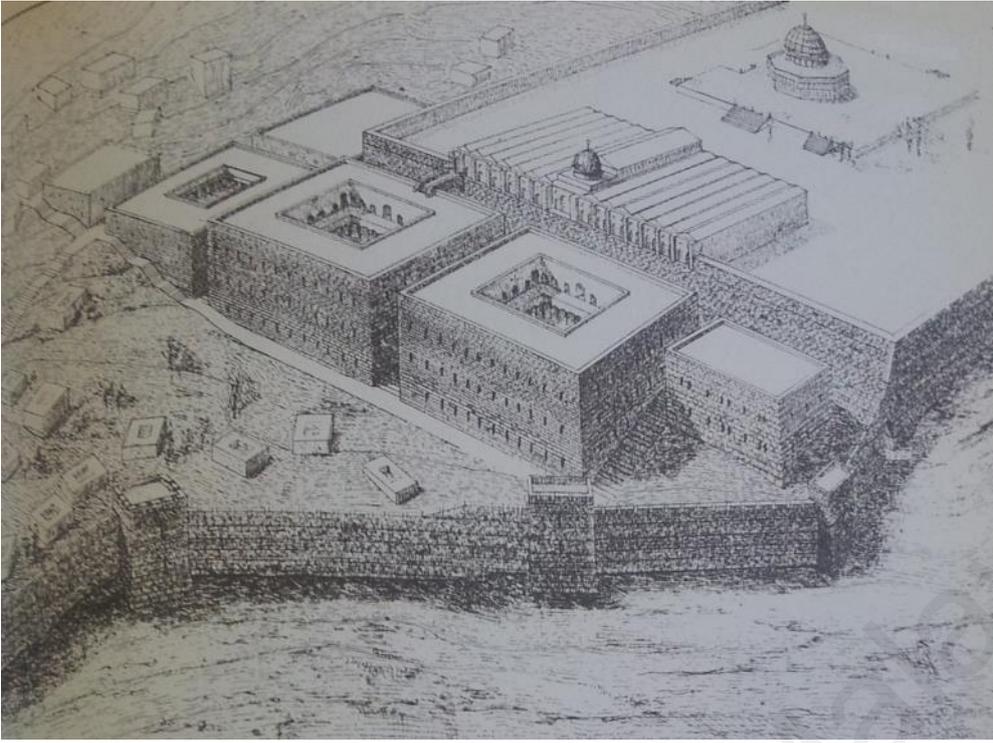
pp.272-273.

التي أُطلقَ عليها فيما بعد - تسهيلاً - القصور الأموية أو مجمع القصور الأموية (Umayyad Palaces

Complex) . (انظر الشكل 3. 21، 3. 22)



شكل 3. 22: الحفريات في الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد الأقصى ويظهر فيها جزءاً من المجمع الإداري الأموي ،
وخصوصاً القصر الكبير (II) بمحاذاة الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى إلى الغرب من الزاوية الخنثية التي بنيت في العهد
الأيوبي .

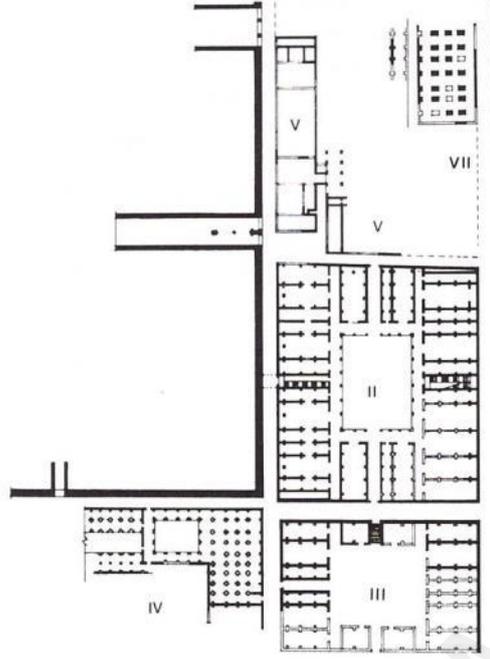


شكل 3. 23: منظور تخيلي للقصر والمجمع الإداري الأموي في صدر الإسلام على الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد

الأقصى، تم رسمه اعتماداً على المخططات التي تم رفعها هندسياً من موقع الحفريات.

المصدر: Bahat, The Illustrated Atlas,

JULIAN RABY



شكل 3. 24: مخطط المجمع الإداري وعلاقته بالزاوية الجنوبية الغربية للمسجد الأقصى.

المصدر: Raby, In Vitro, p.170.

هذه المباني الأموية، فصل بينها وبين حائطي المسجد الأقصى؛ الجنوبي والغربي، شارعان مبلطان (paved-streets) ينتميان لنفس الحقبة الزمنية للقصور، يلتقيان عند الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد أحدهما يسير بمحاذاة السور الغربي ويسير من الشمال إلى الجنوب، الشارع الجنوبي يسير بمحاذاة السور الجنوبي من الشرق إلى الغرب بدءاً من البوابة المزدوجة إلى التلة الغربية، مما حدا بالمكتشف أن يصل لنتيجة مفادها أن المدينة الدنيا (الجزء الجنوبي الغربي من المدينة) كان أهلاً بالسكان في صدر الإسلام لأن تهيئة تلك الشوارع ورصفها (أكثر من 70 متراً)، كان مزامناً لمرحلة إنشاء تلك القصور خصوصاً القصر

الأكبر⁽¹⁾. وبمراجعتنا لنص المقدسي عن أبواب المدينة، يذكر أن هناك باباً للمدينة يسمى باب البلاط⁽²⁾، مما يجعل الباحث يرجح أن أحد هذين الشارعين يقود إلى تلك البوابة.

قام فريق الحفريات بإعطاء كل مبنى في هذا المجمع رقماً خاصاً (كما يظهر في شكل 3. 23)، وتم تحديد وظيفة كل مبنى بعد دراسة مخططاته، وعناصره المعمارية، والأبعاد الوظيفية للفراغات، وعلاقتها البيئية، فتبين أنها كانت تحتوي على ثلاثة قصور، ومبانٍ إدارية تختلف في وظائفها، لكنها تتكامل في مجموعها لتشكيل مجماً إدارياً.

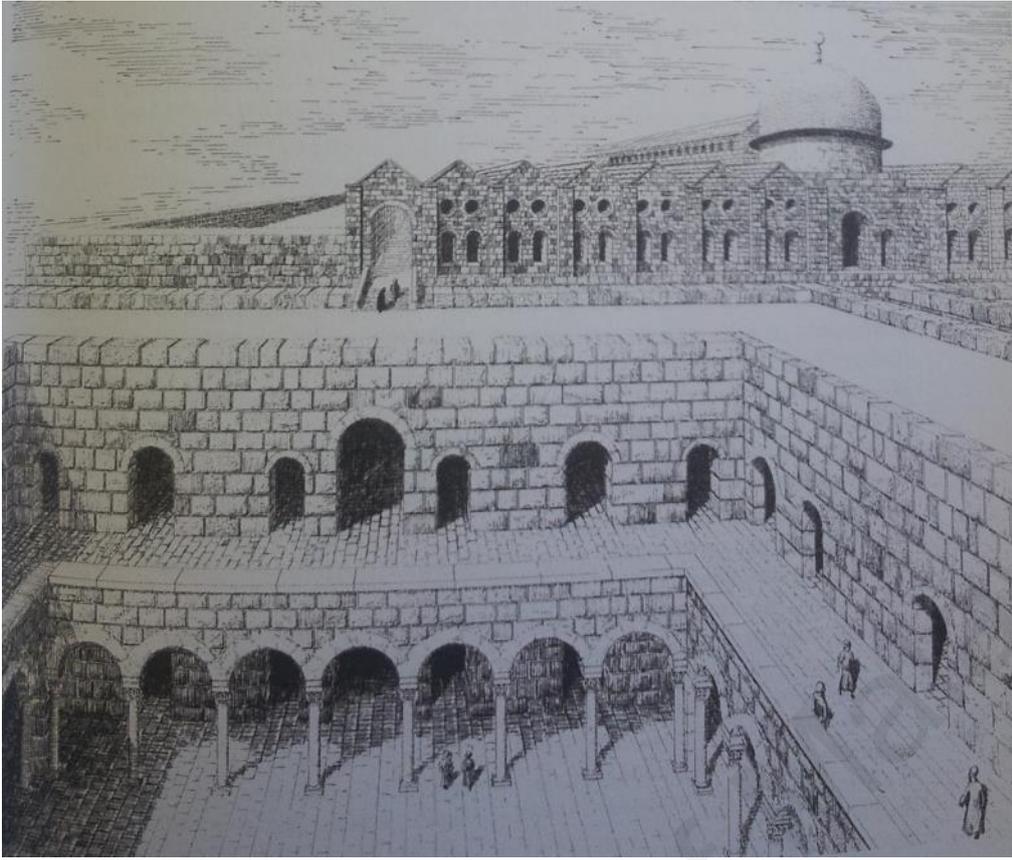
كان هناك ثلاثة قصور ضخمة، أكبرها هو القصر (II) وهو الواقع إلى الجنوب من المسجد، أبعاده (48 متراً*98 متراً) يمتد من الشرق إلى الغرب، وكان يتكون من طابقين، يقيم الخدم والحرس في الطابق الأول الذي يضم إسطبلًا وغرفاً للتخزين، بينما استعمل أصحاب القصر الطابق الثاني، وتتشابه مخططات القصور الثلاثة من حيث أنها مجموعة كبيرة من الغرف التي يربط بينها رواق مسقوف، يحيط بفناء (Courtyard) مربع الشكل.

واللطيف في الأمر، أنه تم اكتشاف ما يثبت قدرة المهندس المسلم في إيجاد الحلول المعمارية، أنه كان يصل بين القصر (حيث ينزل الخليفة) والجامع القبلي (على شمال القصر)، جسر خاص بمكّن الخليفة من الدخول إلى الجامع القبلي، دون الحاجة ليتخطى رقاب المصلين، المنهي عنها في الإسلام⁽³⁾، أو يمشي مسافة طويلة ليلتف حتى يصل للجامع. وهذا يفسر وجود آثار عتبات ناتئة في جدار المسجد القبلي (حالياً) لتكون ركائز تحمل الجسر من جهة المسجد. (انظر الشكل 3. 24).

(1) Al-Samad , Bait Al-maqdis, pp.27-28.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 167.

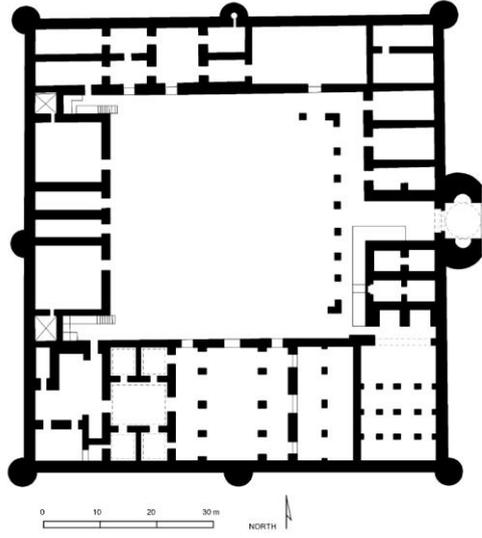
(3) في الحديث عن عبد الله بن بسر: جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ - ﷺ - يَخْطُبُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - « اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ ». أبو داود، السنن، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت)، ج 1، ص 435، ح: 1120، وللمسألة شروح عديدة في كتب الفقه.



شكل 3. 25: منظور تخيلي للقصر الكبير (II) اعتماداً على مخططه المكتشف، تظهر فيه الفناء الداخلي (courtyard) الذي ميز القصور الأموية، ويظهر في أعلى الرسم، علاقة القصر بالجامع القبلي عبر الجسر. المصدر:

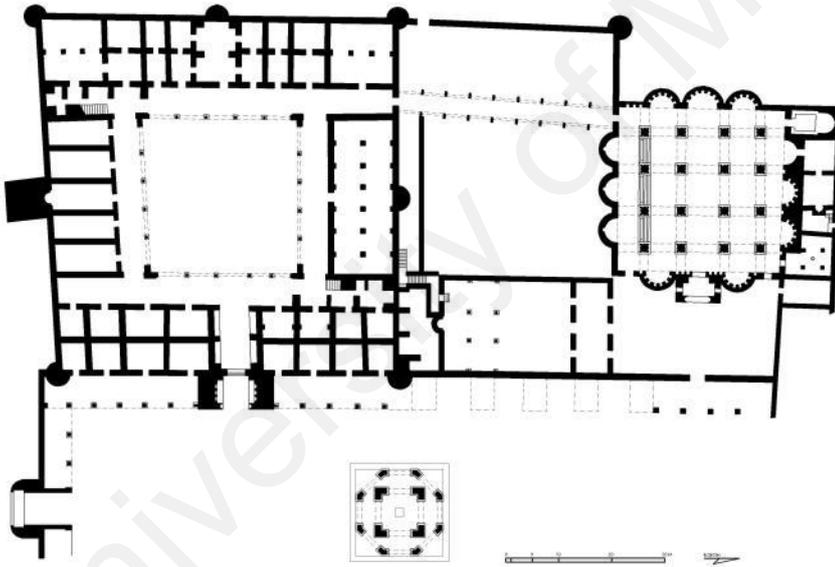
Bahat, Atlas, 179.

وبدراسة مخطط هذا القصر نجده يتشابه مع مخطط قصر خربة المفجر في فلسطين، وكذلك خربة المنيا في الأردن (انظر الشكل 3. 25، و3. 26)، واستناداً إلى تلك المعطيات بالإضافة لبرديات قرة بن شريك، يتعزز لدى الباحث أن هذا القصر كان للخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م).



شكل 3. 26: مخطط خربة المفجر.

المصدر: http://archnet.org/sites/4142/media_contents/48917



شكل 3. 27: مخطط قصر خربة المنيا.

المصدر: http://archnet.org/sites/4136/media_contents/44545

ومن المباني الكبيرة التي تم اكتشافها، مبنى (IV)، في البدء تم تعريفه كمسجد، لكن في مواسم لاحقة من الحفريات، تم الكشف عن حجرات نظام التدفئة فيه (Hypocaust system)⁽¹⁾ التي بينت أنه كان حماماً، وكانت مساحة الغرفة الحارة فيه (1000) متر مربع، وبذلك يكون أكبر حمام عرف في صدر الإسلام، مقارنة بحمامات القصور الأموية الأخرى، التي كانت مساحتها تقارب (80) متراً مربعاً، مما يوحي بأن هذا الحمام تم بناءه ليخدم أعداداً كبيرة⁽²⁾. وعليه يمكن القول أن هذا الحمام كان مخصصاً للخدم والأخماس، الذين كانت مهمتهم العناية نظافة المسجد الأقصى ومرافقه، فضلاً عن تطيب الصخرة، وقد مر بنا أنهم كانوا يتطهرون في حمام سليمان بن عبد الملك قبل الدخول للمسجد⁽³⁾.

بعد العرض السابق الذي من خلاله أمكن الوقوف على أهم مواضع وأشكال التطور العمراني الذي حل بمدينة بيت المقدس خلال صدر الإسلام، والذي تعددت أشكاله بين عمران ديني تركز في المسجد الأقصى ابتداءً بتهيئة المسجد وتحديد، وتوسيع ساحته، ثم ما شهدته المسجد من نهضة عمرانية تمثلت في إقامة ثلاثة من الإنشاءات الكبيرة، كانت كالتالي: الجامع القبلي، وقبة السلسلة، وقبة الصخرة، وقد تم الوقوف على تفاصيل إنشاء كل بناية منهم والتي في مجملها بينت حجم النشاط العمراني ومدى الاهتمام الذي أولاه مختلف الخلفاء للوصول بالعمارة الدينية في المسجد الأقصى إلى قمته، وأكبر دليل على ذلك أن الباقي من تلك البنايات (قبة الصخرة مثلاً) لا تزال عجيبة معمارية ومحط أنظار الدارسين والباحثين على اختلاف أديانهم وأعرافهم وأزمانهم.

(1) نظام التسخين المركزي في الحمامات، وهي عبارة عن أعمدة قصيرة تحمل أرضية (الغرفة الساخنة) ويمر الهواء الساخن بين تلك الأعمدة فتسخن الأرضية. انظر الشكل في ملحق (8).

Raby, J., In Vitro veritas Glass pilgrim vessels from 7th-century Jerusalem, in: Bayt Al- (2) Maqdis Jerusalem and early Islam, edited by: Jermy Johns, UK, Oxford University press, (1999), p.170.

(3) انظر: مطلب عناية الأمويين بالصخرة.

أما الشكل الآخر لهذا العمران، كان العمران المدني، وقد ظهر جلياً عبر صفحات هذا الفصل، أن اهتمام الأمويين العمراني بالمدينة لم يكن قاصراً على العمران الديني، بل رافقه اهتمام بالمدينة ككل، من خلال تعزيز محور دمشق بيت المقدس، وإقامة المرافق الكفيلة بجعل المدينة توازي ثقل دمشق في المحور، وتهيئة أنظمة المياه، وتحصين السور، وكانت درة هذا الجهد والنشاط مجموعة المباني الإدارية والقصور التي أحاطت بالمسجد الأقصى، والتي كانت غاية في الضخامة والإتقان والحس العمراني والحلول الخلاقة في التصميم والتنفيذ.

إن إمعان النظر في خرائط تلك المباني الإدارية (الرسمية) وعلاقتها بالمسجد الأقصى وكأنها تحتضنه، يوحي بأن الأمويين أرادوا أن يقولوا للعالم المحيط بهم، نحن أصحاب هذا المسجد (الدرّة) (عبر عنها بقبة الصخرة البراقة) ونحن محتضنوها وحماؤها.

وبعد هذا العرض، أصبح بالإمكان الجزم بأن عمران مدينة بيت المقدس في عصرها الأموي عكس صورة صادقة ومعبرة عن الاتجاهات الفكرية والنفسية لذلك العصر، الذي امتاز عن سابقه (العصر الراشدي) بأنه عصر الرخاء والاهتمام بالمظهر، كتطور طبيعي للدولة التي انتقلت من مرحلة التأسيس إلى التمكين، وهو ما يمكن تسميته -معمارياً على الأقل- "عصر القدرة على التعبير عن القوة"، في وسط إمبراطوريات عريقة وعظيمة أحاطت بتلك الدولة من شرقها وشمالها.

الفصل الرابع

الخصائص العمرانية والمعمارية لمدينة بيت المقدس في صدر الإسلام

المبحث الأول: الخصائص المعمارية .

المبحث الثاني: الخصائص العمرانية .

المبحث الأول

الخصائص المعمارية

تم في الفصل السابق، التعرف على مظاهر التطور المعماري في مدينة بيت المقدس، من خلال دراسة أهم المعالم المعمارية التي نظمت شكل النسيج الحضري للمدينة، وحددت الطابع العمراني، ضمن سياقها التاريخية والاجتماعية، فكانت كالتالي: المسجد الأقصى وما به كالجوامع القبلي، وقبة السلسلة، وقبة الصخرة، ومن خارج المسجد الأقصى تم الاطلاع على المجمع الإداري الأموي وما به من قصور ومرافق خدمية، كما تم رصد الإشارات المتوفرة عن باقي العناصر المعمارية كالبيوت والسور ودار الضرب والشوراع والنظام المائي، وكان بعضها من العمائر التي لا تتوفر معاينة مادية لها، وفي هذا المبحث سيتم تسليط الضوء على الخصائص والصفات المعمارية لتلك المعالم بما يخدم دراستنا.

- خصائص الشكل والهيكل:

سبق القول أن من الأعمال المهمة التي قام بها الأمويون هي تحديد المسجد الأقصى وتسوية ساحته، ورفع أسواره، وتهيئة مداخله، فضلاً عن إنشاء المعالم المعمارية البارزة فيه، وقد جاء المسجد في صفاته العامة مثل باقي مساجد العالم الإسلامي في صدر الإسلام، من حيث الشكل المربع والجامع المسقوف في جهة القبلة⁽¹⁾، غير أنها تفوق عليها جميعاً من حيث المساحة التي بلغت (142000) متراً مربعاً⁽²⁾.

- أبعاده:

(1) انظر مخططات تلك النماذج ومواقعها في ملحق رقم (3).

(2) انظر مقارنة المساحات

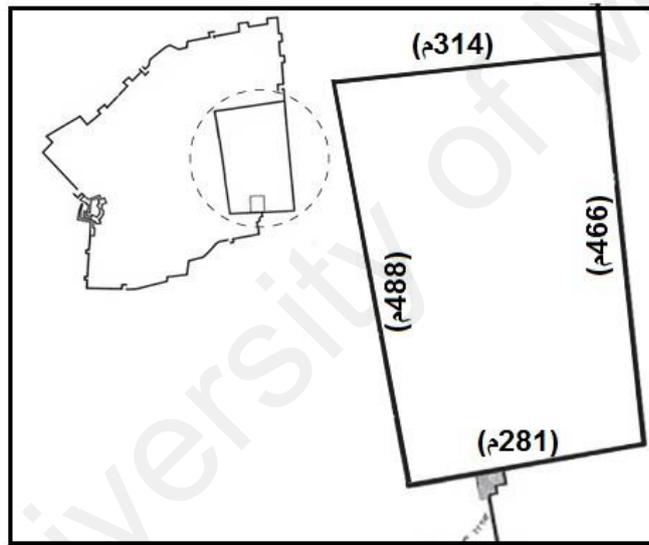
تشكل أضلاع المسجد الأقصى شبه منحرف، يتحدد طوله من الشمال إلى الجنوب، وقد اهتمت المصادر الإسلامية بذكر أبعاده، بوحدة الذراع التي تختلف من بلد لآخر، ومن زمان لآخر مثل (الذراع الملكي، والذراع الهاشمي، وذراع الإمام، والذراع المعماري)، أما القياسات الحديثة فتشير إلى أبعاده بالشكل التالي:

الجدار الشرقي: 466م

الجدار الغربي: 488م

الجدار الجنوبي: 281م

الجدار الشمالي: 314م (انظر الشكل 1.4).



شكل 1.4: أبعاد المسجد الأقصى بالأمتار (المصدر: الباحث)

أعمال التسوية الشرقية الجنوبية:

كما اتضح سابقاً من دراسة طبوغرافية مدينة بيت المقدس⁽¹⁾، فإن المسجد يقوم على منطقة مرتفعة هي جبل المسجد الأقصى، أو ما تسميه المصادر الغربية (Moriah Mount)، وتعتبر الصخرة المشرفة قمته، وينحدر الجبل باتجاه الجهة الجنوبية، الأمر الذي يجعل من ساحة المسجد غير مستوية أفقياً، وحالاً لهذه المشكلة - كما تشير الدراسات الأثرية والمعمارية - فإن الأمويين - في إطار حملتهم لتهيئة المسجد وبناء معالمه الأولى -، قاموا بعمل تسوية (Basement) للجزء الجنوبي الشرقي من المسجد الأقصى، بحيث يكون سقف تلك التسوية على نفس مستوى أرضية ساحة المسجد الأقصى فتستقيم الساحة أفقياً.

وتطلق المصادر الغربية على هذه التسوية اسم اسطبلات سليمان (Solomon's Stables)، وهي تسمية خاطئة ظهرت زمن الحروب الصليبية، إذ أطلق "فرسان المعبد" هذه التسمية على هذا الجزء من المسجد الأقصى فترة احتلالهم للمسجد الأقصى، حيث حولوا الجامع القبلي مقراً لهم، بينما اتخذوا من التسوية الشرقية اصطبلًا لخيولهم⁽²⁾، ولا تزال آثار الحلقات التي استحدثوها في أعمدة التسوية ظاهرة، وقد أهملت هذه التسوية وسدت مداخلها الشمالية الأثرية والردم لفترة طويلة حتى قامت مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية وعدد من الهيئات القائمة على المسجد الأقصى، وأصلحت تلك التسوية وترميمها وتأهيلها لتكون مصلىً أطلق عليه اسم "المصلى المرواني" عام (1417هـ،/1996م)⁽³⁾.

من الناحية المعمارية، تقع تلك التسوية في الزاوية الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى، وتنخفض أرضيتها عن أرضية المسجد الأقصى حوالي (12.5م)، وأبعادها من الجنوب إلى الشمال (57م)، ومن

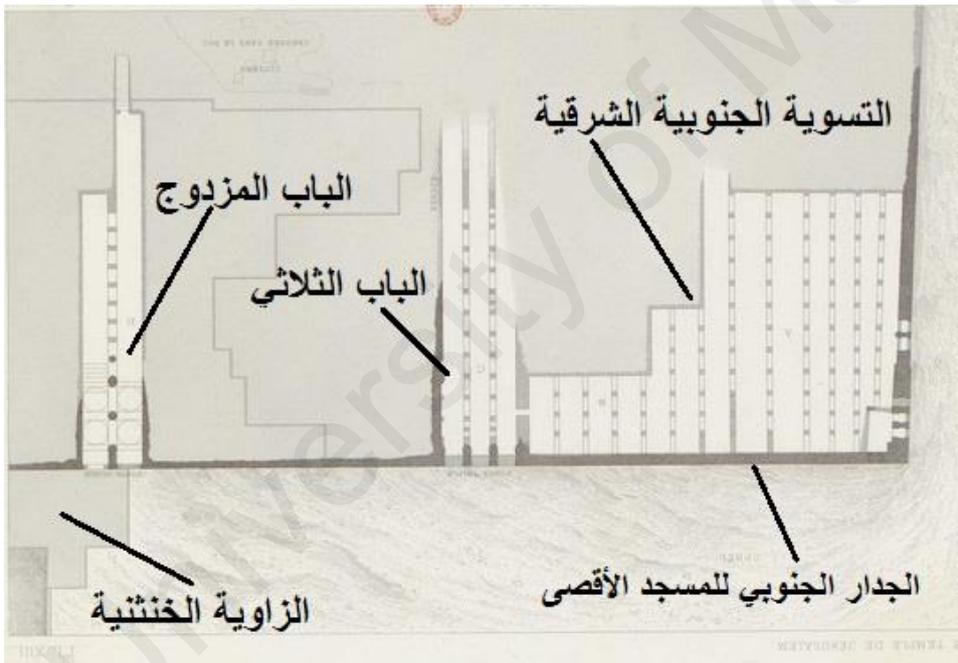
(1) انظر: المبحث الأول من الفصل الأول.

(2) Guy Le Strang, Palestine under the Moslems. A description of Syria and the Holy Land, (UK: Committee of the Palestine exploration fund, 1890) pp.107-109.

(3) مسيرة إعمار وإحياء المسجد الأقصى المبارك في صور، (مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات، د.ت)، ص 9.

الشرق إلى الغرب (79م)، وهي تتألف من ثلاثة عشر قبواً متجاوراً، تستند على (88) ركيزة حجرية تتوزع في 12 صفاً من الركائز يربط بينها أقواس عريضة تمتد من الجنوب إلى الشمال، وتختلف المسافات بين الصفوف (عرض الأقبية)؛ فكان بعضها (3م) في الأقبية الشرقية، وبعضها (3.5م)، والبعض (4م)، بينما عرض القبوين الأوسطين (7.2م) و(7.6م)⁽¹⁾. (انظر الشكل 2.4 ، 3.4)

ويمكن القول إن هذه الطريقة في معالجة فرق المناسيب في المنشآت تعد من الطرق الفعالة والاقتصادية، حيث إنها توفر فراغاً وظيفياً يمكن استخدامه كمخزن لأدوات صيانة المسجد، أو صهرنجاً للماء، يعزز هذا القول أن المصادر الإسلامية (قبل الحروب الصليبية) لم تذكره، مما يعني أنه لم يكن له دور ظاهر في المسجد.



شكل 2.4: موقع ومسقط التسوية الجنوبية الشرقية وعلاقتها بالتسويتين الأخرين (الباب الثلاثي والباب المزدوج) كما تظهر في منتصف القرن 19م.

المصدر: Melchior de Vogue, Le Temple de Jerusalem, (Paris:

Noblet et Baudry, 1864), pl. XIII.

(1) إبراهيم الفني، طاهر النمري، المسجد الأقصى وقبة الصخرة: التاريخ، العمارة، الأنفاق، الحفريات، الخطط الصهيونية، (رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2001م)، ص646-647.



شكل 4. 3: صورة للتسوية الجنوبية الشرقية كما كانت تظهر مطلع القرن العشرين (حوالي 1915م).

المصدر: [www.flickr.com/photos/osucommons/4879295853/in/album-](http://www.flickr.com/photos/osucommons/4879295853/in/album-72157624703327078)

[72157624703327078](http://www.flickr.com/photos/osucommons/4879295853/in/album-72157624703327078)

مداخل المسجد.

حسب ما أفادت المصادر، وأيدت ذلك البحوث الأثرية، يمكن القول أن الأمويين قد فتحوا

عدداً كبيراً من المداخل للمسجد الأقصى، عددها ابن الفقيه (ت: 290هـ/903م) فكانت (12)

مدخلاً⁽¹⁾، بينما أحصاها ابن عبد ربه (301هـ/913م) في كتابه العقد الفريد، فكانت عشرة مداخل⁽²⁾،

وميز المقدسي بين المداخل والأبواب، فذكر: "ويدخل للمسجد من ثلاثة عشر موضعاً بعشرين باباً"⁽³⁾،

(1) ابن الفقيه، البلدان، ص151.

(2) أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب المعروف بابن عبد ربه، العقد الفريد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ)، ج7، ص292.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص170.

وهو هنا يشير إلى أن المدخل الواحد قد يحتوي على عدة أبواب (مثل الباب الثلاثي)، وقد توزعت هذه
المدخل على حوائط المسجد الأقصى الأربعة⁽¹⁾، على النحو التالي:

الجدار الشرقي: باب الرحمة والتوبة (الباب الذهبي).

الجدار الجنوبي: أبواب محراب مريم (الباب الثلاثي)، باب النبي (الباب الثنائي)، باب الدار (باب الخليفة).

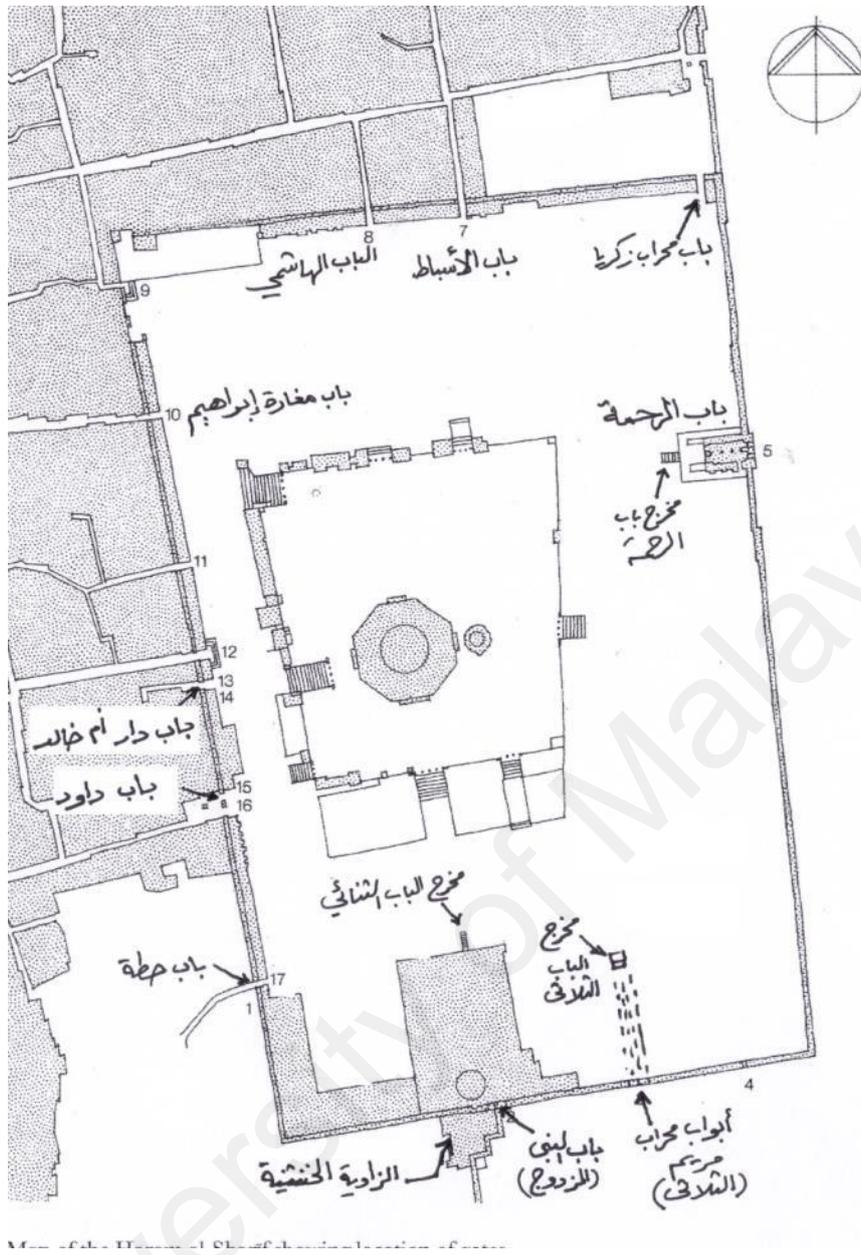
الجدار الغربي: باب حطة، باب داود، باب دار أم خالد، باب مغارة إبراهيم.

الجدار الشمالي: الباب الهاشمي، باب الأسباط، باب محراب زكريا. (انظر الشكل 4.4)

ومن الناحية المعمارية، سنتناول في دراستنا هذه، أربعة منها، تشكل نماذج عن تلك البوابات وتمثل

عمارة وفلسفة فترة الدراسة، وهي: باب الرحمة والتوبة، وأبواب محراب مريم، وباب النبي، وباب دار الخلافة.

(1) استمرت حركة فتح المداخل إلى المسجد الأقصى إلى فترات متأخرة من التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، وحالياً يمكن إحصاء (17) مدخلاً، منها 10 مفتوحة. ينظر: خاطر، موسوعة القدس، ج1، ص186-202.



شكل 4.4: مواقع أبواب المسجد الأقصى في صدر الإسلام

المصدر: (بتصرف). Burgoyne, The Gates of the Haram, p.106.

1. بوابة الرحمة والتوبة، ويسمىها الغربيون (The Golden Gate)

وهي البوابة الوحيدة التي كان يدخل منها آنذاك إلى المسجد الأقصى من الناحية الشرقية، نسبتها الروايات الغربية وعدد من علماء الآثار الأوائل المهتمين بدراسات القدس إلى فترات سابقة للفتح الإسلامي، مثل دي فوجيه (De Vogue)، وكريزويل (Creswell)، لكن الدراسات الأثرية الحديثة، تؤكد أن أسلوب بناء البوابة وتقنيات التشييد وخصائصها المعمارية والزخرفية، تشير إلى أنها معاصرة للباب المزدوج، أي أنها تعود للعصر الأموي، وقد تم إغلاقها بعد استرداد صلاح الدين الأيوبي للمدينة (583هـ/1187م) لأسباب أمنية، واتخذت بعد ذلك كمصلى وزاوية للصوفية⁽¹⁾.

من الناحية المعمارية، يتكون الباب الذهبي من طابقين؛ الطابق السفلي ويشتمل على الواجهات الخارجية التي تضم كل من الواجهة الشرقية المطلة على مقبرة باب الرحمة، وعلى الواجهات المطلة على المسجد الأقصى، وكذلك على قاعة المدخل والقباب التي تغطيها، أما الطابق العلوي فيتكون من غرفتين للمراقبة والحراسة، وتتميز البوابة بواجهتها الشرقية الجميلة ذات الزخارف الحجرية المنقوشة، كذلك بيرونها عن حدود السور الشرقي، ويبلغ عرض البوابة من الشمال إلى الجنوب (16.60) متراً، وارتفاعها حوالي 16 متراً، بينما الجزء السفلي منها مطمور حوالي ثلاثة أمتار، وهي من أجمل بوابات المسجد والمدينة، ويسمىها الغربيون البوابة الذهبية لشدة جمالها⁽²⁾. (انظر الشكل 4. 5، و 4. 6)

الجزء الأساسي من البوابة هو قاعة المدخل، وهي قاعة مستطيلة يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب (20.60م) وعرضها (10.50م)، في الجهة الشرقية منها يقوم المدخلان المغلقان (باب التوبة، وباب

(1) رائف نجم، وآخرون، كنوز القدس، (الكويت، منظمة المدن العربية، ط1، 1983م)، ص84-85.

Burgoyne, M. H., The gates of The haram Al-Sharif, In: Raby, J. and Johns, J. (eds.), Bayt Al-Maqdis Abd al-Malik's Jerusalem, Part 1, Oxford studies in Islamic art, IX, Oxford, Oxford University press, (1992), pp.105-12;

(2) أحمد يوسف طه، باب الرحمة والتوبة في القدس الشريف الباب الذهبي في الفترة الإسلامية دراسة تاريخية معمارية، (نابلس، دار الفاروق، ط1، 1999م)، ص17-34.

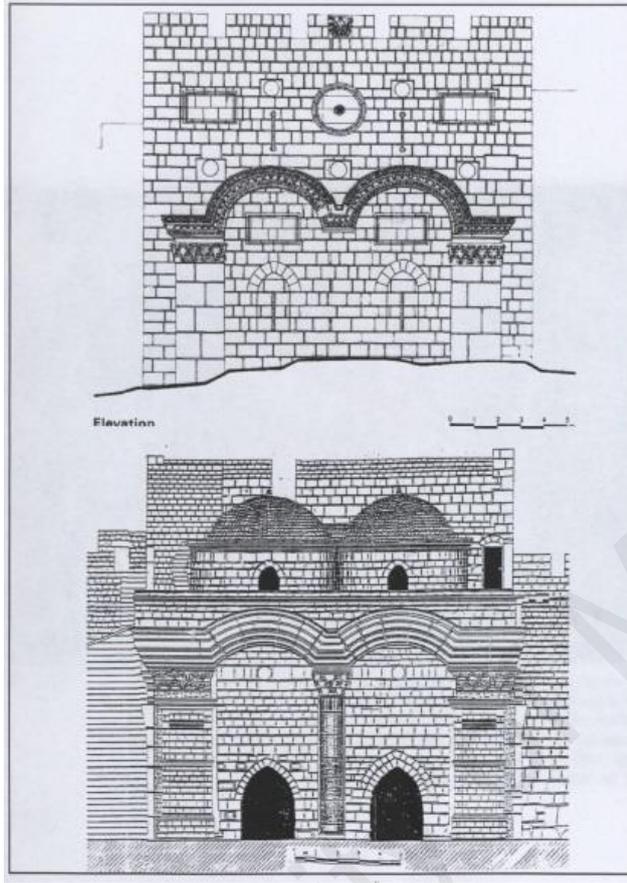
الرحمة)، تكون سقف القاعة من عقدين حجريين وست قباب ارتكزت على الحائطين الشمالي والجنوبي، وفي المنتصف على ثلاثة أعمدة، وركيزة حجرية في الجهة الشرقية (التي تفصل بين البابين) وأخري في الجهة الغربية، وبعد اجتياز القاعة (من الشرق إلى الغرب) ينتقل الزائر إلى ساحة المسجد الأقصى عبر درج من (27 درجة)⁽¹⁾. (انظر الأشكال: 4. 7، و4. 8، و4. 9، و4. 10)



شكل 4. 5: صورة من الجهة الشرقية لبوابة الرحمة والتوبة (الباب الذهبي)، تعود لعام 1890، ويظهر فيها الحجارة التي تم سد الأبواب بها.

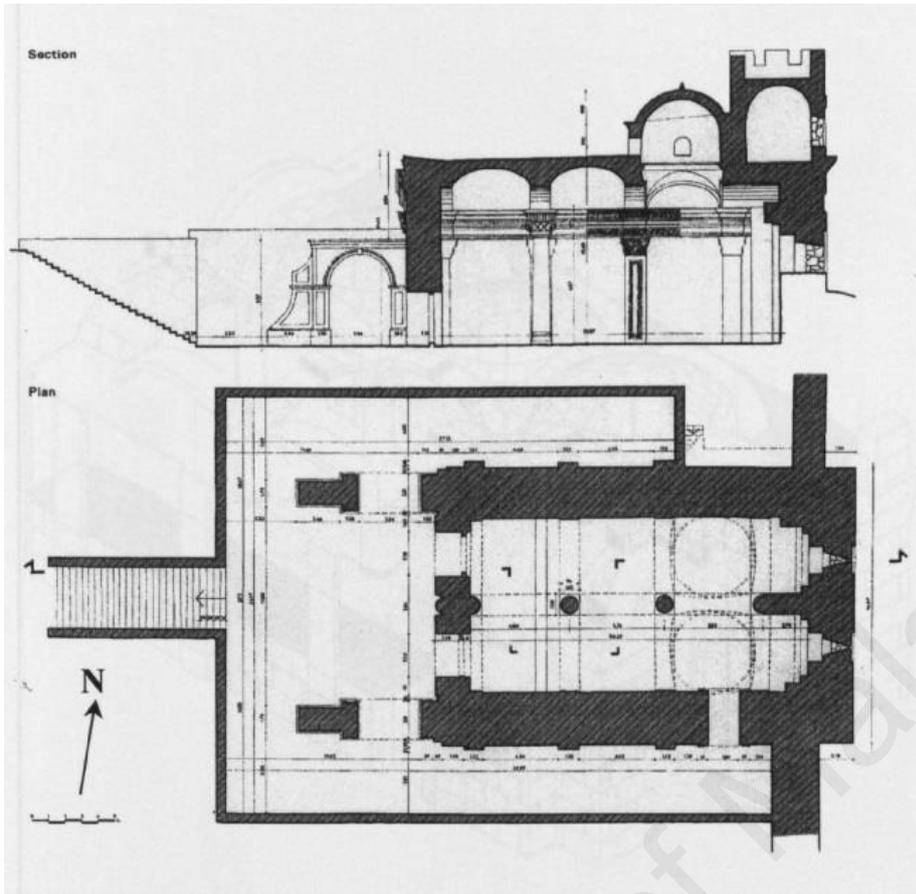
المصدر: http://ar.wikipedia.org/wiki/media/File:Jerusalem_Goldenes_Tor_um_1900.jpg

(1) المرجع نفسه.



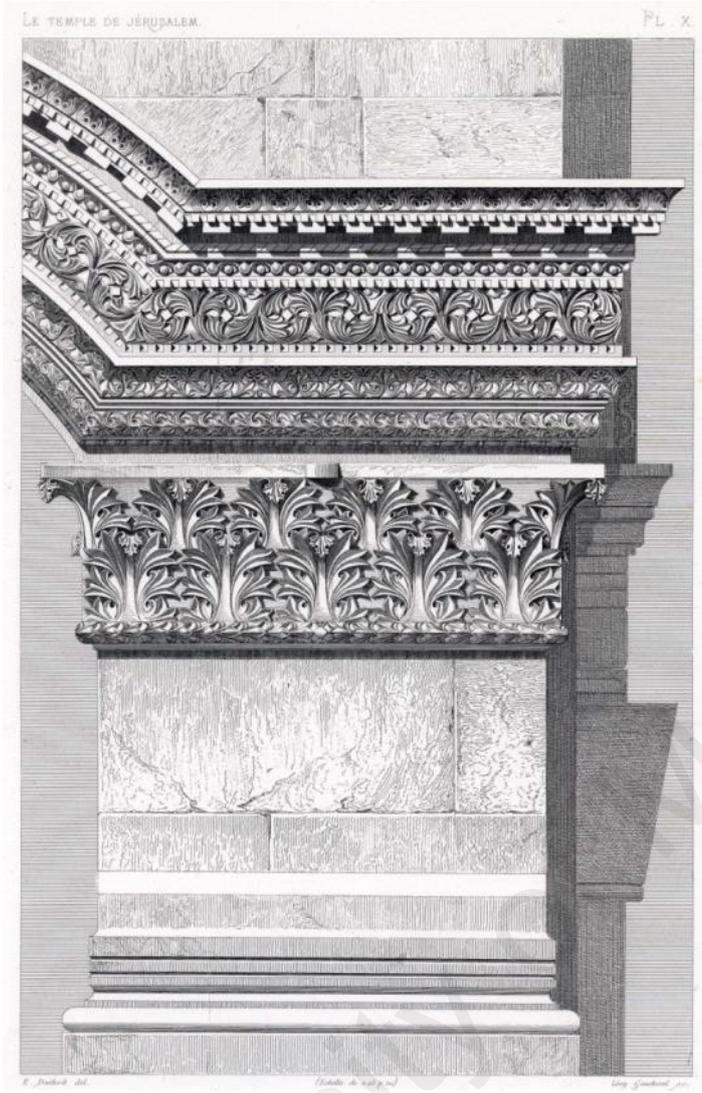
شكل 4. 6: الأعلى: الواجهة الشرقية لبوابة الرحمة والتوبة ، الأسفل: الواجهة الغربية (من داخل المسجد الأقصى)

المصدر: طه، باب الرحمة والتوبة، ص 45، 49.



شكل 4.7: في الأعلى: قطاع في بوابة الرحمة والتوبة، وفي الأسفل: مسقط البوابة كما تظهر في الوقت الحالي.

المصدر: رائف نجم، كنوز القدس، ص 85.



شكل 4. 8: زخرفة على الواجهة الشرقية من البوابة الذهبية

المصدر: De Vogue, Le Temple, pl. X.



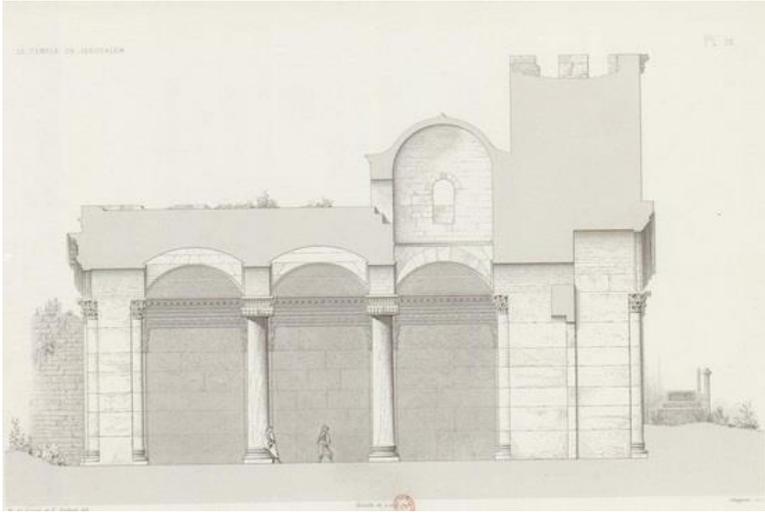
شكل 4. 9: صورة من داخل البوابة (من الزاوية الشمالية الغربية)، ويظهر فيها القباب المحمولة على الأعمدة والحوائط.

المصدر: Cyril Mango, The temple Mount AD 614-638, in: Julian Raby and

Jermy Johns (editors), Bayt Al-Maqdis: Abd al-Malik's Jerusalem, Part one,

Oxford Studies in Islamic Art, Oxford: University of Oxford (1992), pp.1-

16.



شكل 4. 10: قطاع في بوابة الرحمة والتوبة (الباب الذهبي) كما كانت تظهر في منتصف القرن 19م.

المصدر: De Vogue, Le Temple, pl. IX.

2. أبواب محراب مريم ويسميه الغربيون (الباب الثلاثي: The Triple Gate)

تقع على واجهة الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى، وهي عبارة عن بوابة مكونة من ثلاثة أقواس، (مغلقة بالحجارة في الوقت الحالي)، فحص وارن (Warren) هذه البوابة ضمن حفرياته التي أجراها حول المسجد الأقصى (1867-1870م)، وأثبت بياناتها وخصائصها المعمارية في تقريره، ذاكراً أن عرض الأبواب من الخارج قد بلغ (16.3م)، بينما ارتفاعها (6.9م)، أما مستوى عتبة البوابة فتنخفض (11.5م) عن مستوى ساحة المسجد الأقصى. يبلغ طول البوابة من حافة الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى إلى مخرج النفق (58.5م)⁽¹⁾. (انظر الشكل 4. 11)

تشكل تلك البوابة في مرحلتها الأولى قاعة من ثلاثة أقبية متجاورة، تسير من الجنوب إلى الشمال لمسافة (18.5م) بعدها يتوقف القبو الشرقي، بينما يستمر القبوان (الأوسط والغربي) في السير شمالاً على هيئة نفق صاعد مكون من قبوين متجاورين، بنسبة ميل (1:12) وتنتهي بدرج ينقل الزائر إلى ساحة

(1) Warren, pp.164-166.

المسجد الأقصى (انظر الشكل)، ويختلف شكل الأقواس التي تغطي تلك الأقبية من نصف دائري في المرحلة الأولى (القاعة الأولى) إلى بيضاوي كتغطية للنفق الصاعد⁽¹⁾. (انظر الشكل 4. 12).

لا تزال وظيفة تلك البوابة وسبب تشييدها، محل بحث بين العلماء، ويرى الباحث الرطوط أنه بالنظر لتشابه طرق التشييد والهيكلة الإنشائي لكل من التسوية الشرقية للمسجد الأقصى والبوابة المزدوجة يمكن الافتراض أنها نفذت لتكون تسوية تحمل الجامع القبلي لكن لم يتم بناء الجامع القبلي عليها⁽²⁾.



شكل 4. 11: صورة لأبواب محراب مريم (الباب الثلاثي) في الجدار الجنوبي، ويبدو واضحاً الأقواس وأن الأبواب

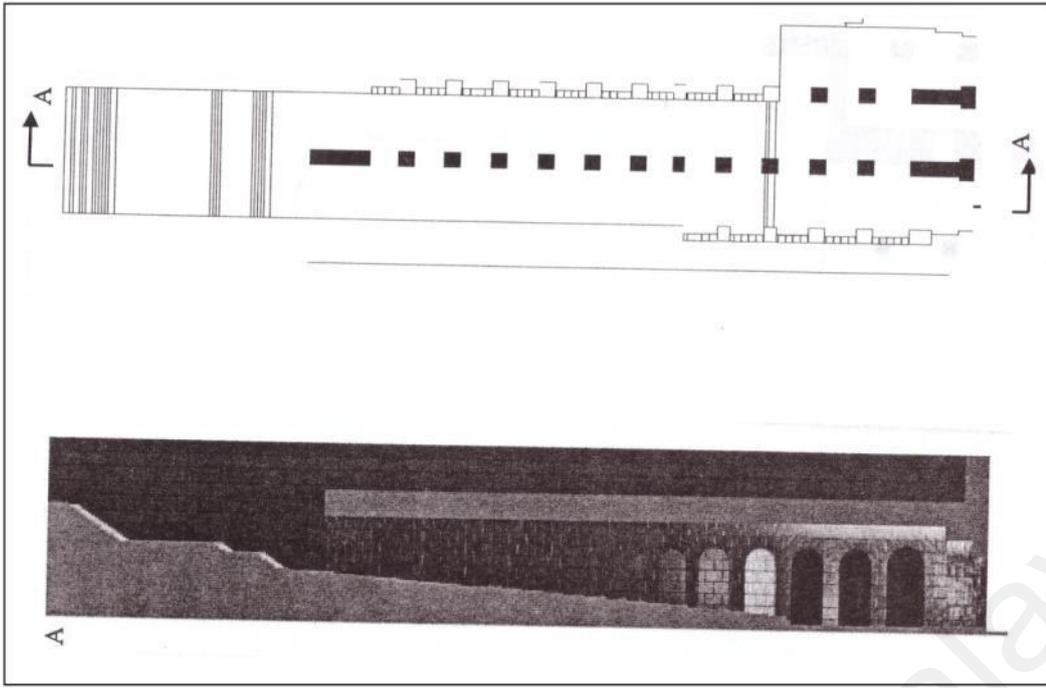
مسدودة بالحجارة.

المصدر:

http://www.islamichistoryandtravel.com/jerusalem_archaeological_park_photos.html

Warren, pp.164-166. (1)

Al-Ratrout, p.311.(2)



شكل 4. 12: الأعلى: مسقط للباب الثلاثي والنفق، الأسفل: قطاع يوضح النفق الصاعد من الجنوب إلى الشمال، كما كان يبدو في صدر الإسلام.

المصدر: Al-Ratrouf, The Architectural, p.297.

- باب النبي (الباب المزدوج: The Double Gate)

تسميه المصادر الإسلامية باب النبي للاعتقاد بأن النبي ﷺ دخل المسجد الأقصى منه ليلة الإسراء والمعراج⁽¹⁾، ويقع هذا الباب على الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى، على بعد حوالي (100) متر من الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد، لا تظهر في الوقت الحالي معظم الواجهة الجنوبية للبوابة، بسبب تغطيتها ببناء الزاوية الخنثية، التي تم تشييدها ملاصقة للبوابة، بعد استرداد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس (583هـ/1187م) لضمان عدم قيام الصليبيين بغزو المسجد والمدينة من جهتها⁽²⁾. وفي عام 1998م، تم تنظيف وإعادة تأهيلها لتستخدم كمصلى تابع للجامع القبلي أطلق عليه اسم "الأقصى القديم" بعد أن

(1) ناصر خسرو، سفرنامه، ص64.

(2) عارف العارف، المفصل، ص236.

كانت هذه البوابة مهجورة في القرون الأخيرة من تاريخ المسجد الأقصى، ولم يكن الدخول لها ممكناً بسبب الأتربة والحجارة التي كانت تغطي مساحة كبيرة منه⁽¹⁾. (انظر الأشكال 4. 13، 4. 14، 4. 15، 4.16)

من الناحية المعمارية، البوابة عبارة عن ممر عريض تحت أرضية الجامع القبلي يبلغ طوله من الجنوب إلى الشمال (79م)⁽²⁾، تبدأ البوابة من الجنوب ببابين متشابهين عرض كل منهما (5.20م)، يفصل بينهما ركيزة حجرية تحمل قوين بيضاويين، يشكلان مع المنطقة الأمامية قاعة مستطيلة عرضها (12.96م) يتشكل سقفها من القبوين في مقدمة البابين، ثم أربع قباب يتوسطهن عمود (انظر الشكل 4. 17)، تتحول القاعة إلى قوين متجاورين يسيران باتجاه الشمال ليتوصل بهما إلى ساحة المسجد الأقصى عبر درج حجري مشيد في نهاية القبو الشرقي، وقد استند القبوان على جداري البوابة الشرقي والغربي وفي المنتصف على ركائز حجرية ضخمة بلغت أبعادها (1.7م * 1.2م)⁽³⁾، حتى أن ناصر خسرو عندما زار المسجد الأقصى وسجل ملاحظاته، عبّر عن استغرابه من ضخامة تلك الركائز، قائلاً: "وقد استخدمت في بنائه حجارة لا يصدق العقل كيف استطاعت قوة البشر نقلها واستخدامها"⁽⁴⁾

أدت هذه البوابة وظيفتين في آن واحد؛ الوظيفة الأولى: تم استخدامها كتسوية لإقامة الجامع القبلي عليها، حيث أن المسجد الأقصى يقع على منحدر، أما الوظيفة الثانية فكانت بمثابة بوابة للقائمين على خدمة ونظافة المسجد الأقصى من الأحماس وغيرهم، فضلاً عن كونها بوابة للعاملين والمقيمين وكبار

(1) مسيرة إعمار وإحياء المسجد الأقصى المبارك، ص 19.

(2) Warren, pp.164-166.

(3) Gibson, S., and Jacobson, D. M., Below the Temple Mount in Jerusalem: A Sourcebook on the Cisterns, Subterranean Chambers and Conduits of the Haram al-Sharf, Oxford, British Archaeological Reports (BAR) (1996), pp.246-258.

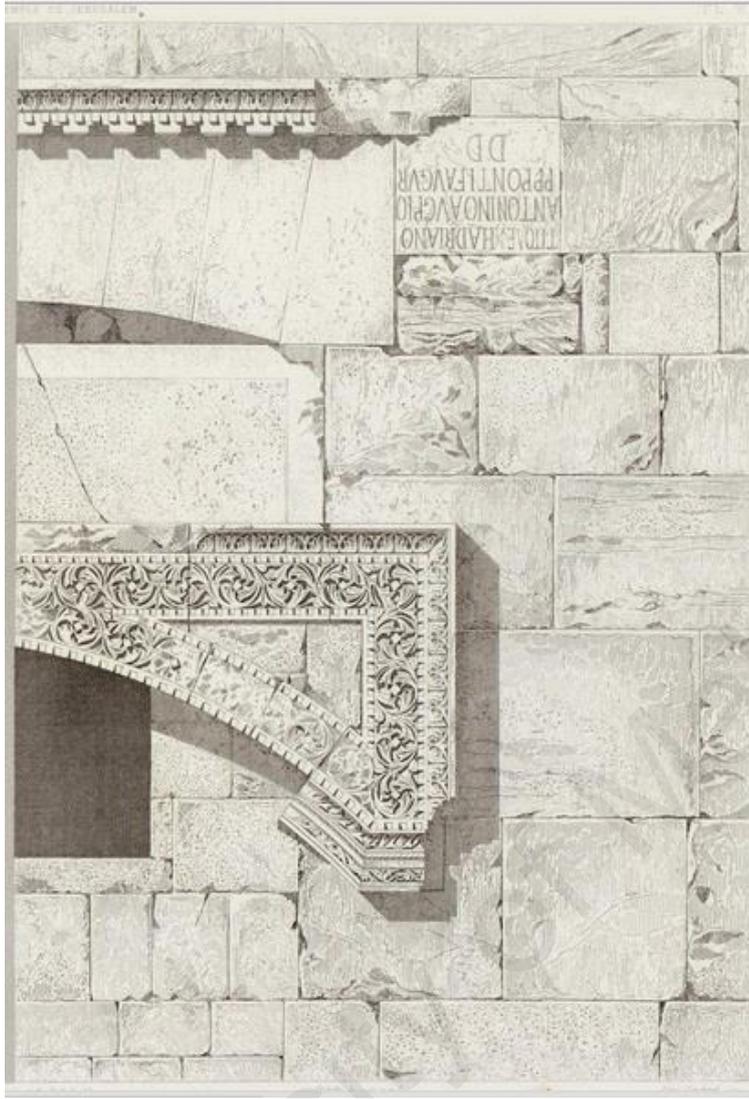
(4) ناصر خسرو، سفرنامه، ص 64.

الزوار الذين ينزلون المجمع الإداري الموجود جنوب المسجد الأقصى في العهد الأموي، حسب الاكتشافات الأخيرة (1968-1974م)، بحيث تمكنهم من الوصول إلى المسجد الأقصى بوقت وجهد أقل (انظر الأشكال 4. 18، 4. 19).



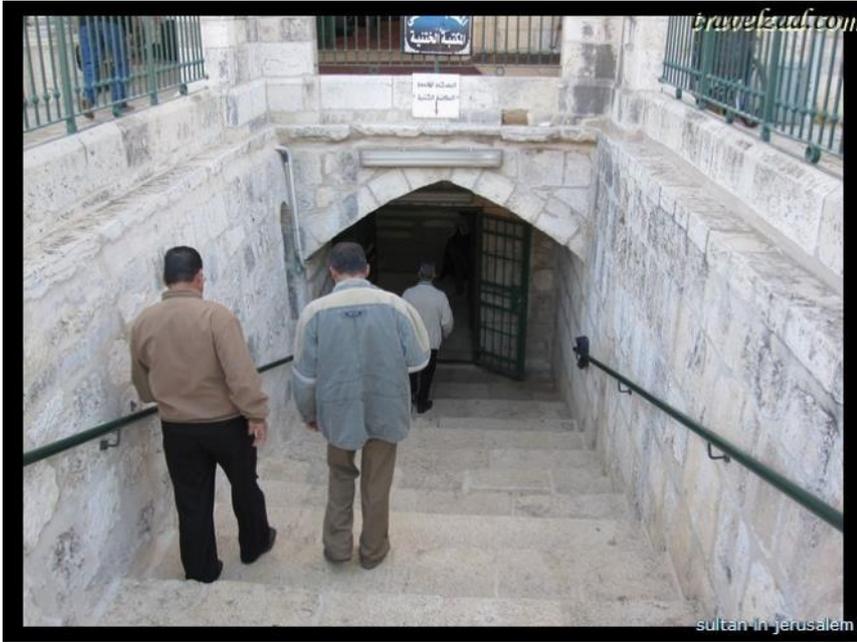
شكل 4. 13: الجدار الجنوبي للجامع القبلي ويظهر في وسط الصورة جزء من باب النبي (الباب المزدوج) ويختفي بقيته وراء الزاوية الخنثية (يسار الصورة)

المصدر: www.islamichistoryandtravel.com/jerusalem_archaeological_park_photos.htm

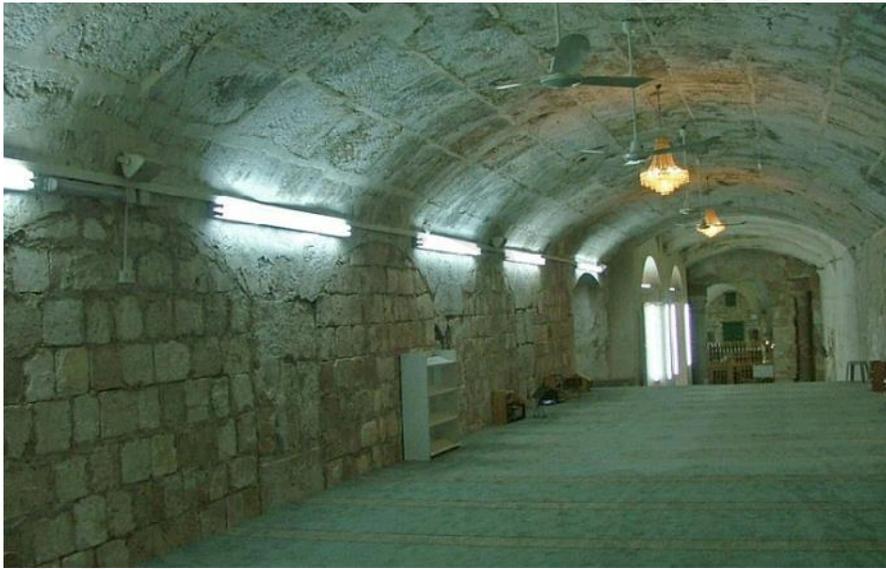


شكل 4. 14: قوس وزخارف الجزء الظاهر من الباب المزدوج كما بدت في منتصف القرن 19م.

المصدر: De Vogue, Le Temple, pl. V.



شكل 4. 15: صورة تظهر مخرج باب النبي (الباب المزدوج) لكنه في الوقت الحالي مدخلاً لمصلى تحت الجامع القبلي.



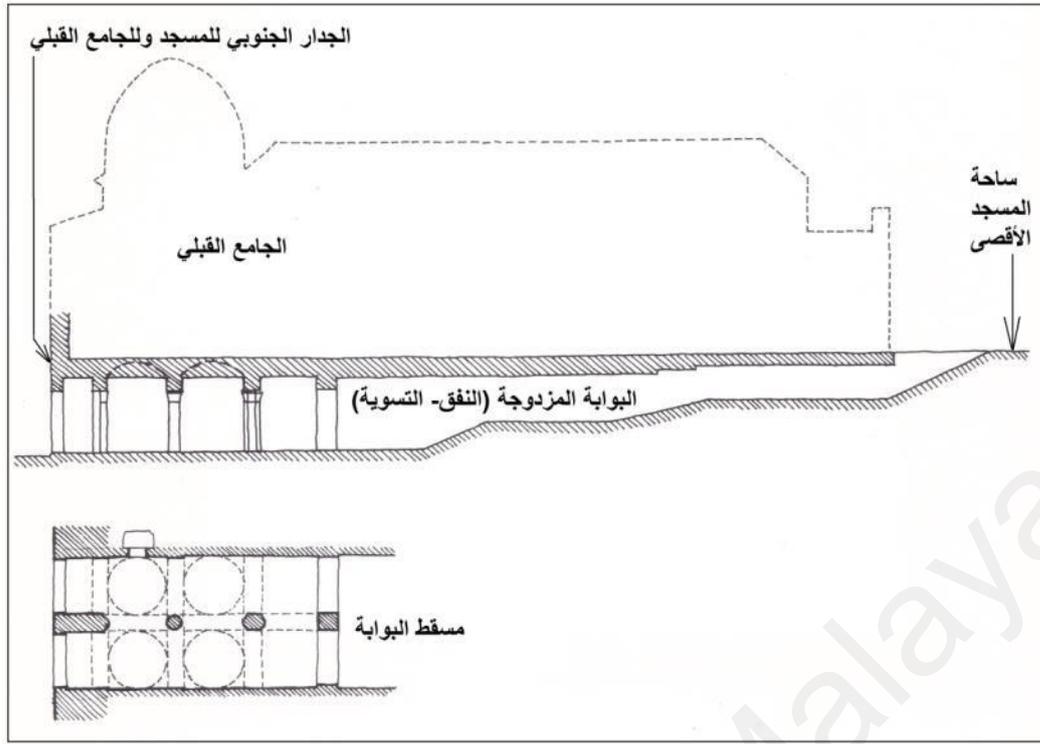
شكل 4. 16: صورة للقبو الشرقي داخل الباب المزدوج بعد تهيئته كمصلى، وتسميته "الأقصى القديم"، ويظهر في الجزء

الأيسر من الصورة الركائز الحجرية الضخمة وقد تم سدها بالحجارة في الوقت الحالي.



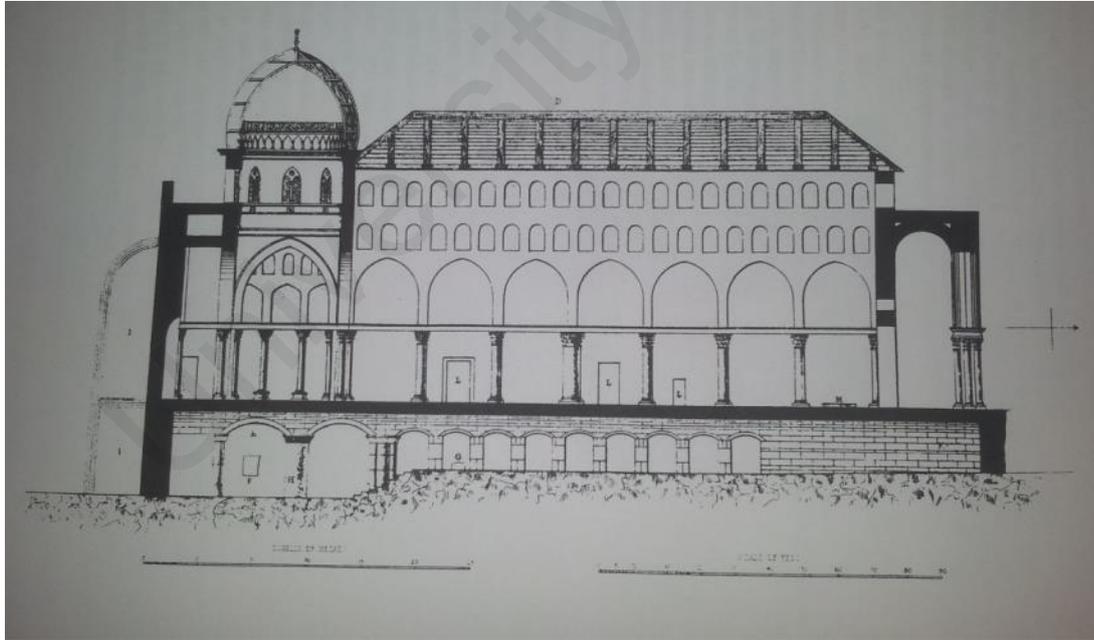
شكل 4. 17: باب النبي (الباب المزدوج) كما كان يظهر في منتصف القرن 19م.

المصدر: De Vogue, Le Temple, pl.IV.



شكل 4. 18: قطاع في الجامع القبلي وبوابة النبي (الباب المزدوج) تظهر دور البوابة في الربط بين المنطقة الجنوبية والمسجد الأقصى من الداخل.

المصدر: Burgoyne, The Gates, p.109.



شكل 4. 19: قطاع رأسي يمر بالجامع القبلي والرواق الغربي من البوابة المزدوجة ويظهر وظيفة البوابة كتسوية لأرضية الجامع القبلي.

المصدر: Shimon Gibson, Below, p.242.

- باب دار أمير المؤمنين أو باب الخليفة.

وهو باب كان مفتوحاً في الجدار الجنوبي من الجامع القبلي والمسجد الأقصى في الوقت نفسه، إذ يعد الجدار الجنوبي للجامع القبلي جزءاً من الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى، كشفت عن هذا الباب دراسات بن دوف (Ben-Dov) أثناء حفرياته في الجهة الجنوبية من المسجد الأقصى، بعد اكتشاف القصور الأموية. (شكل 4. 20، 4. 21)

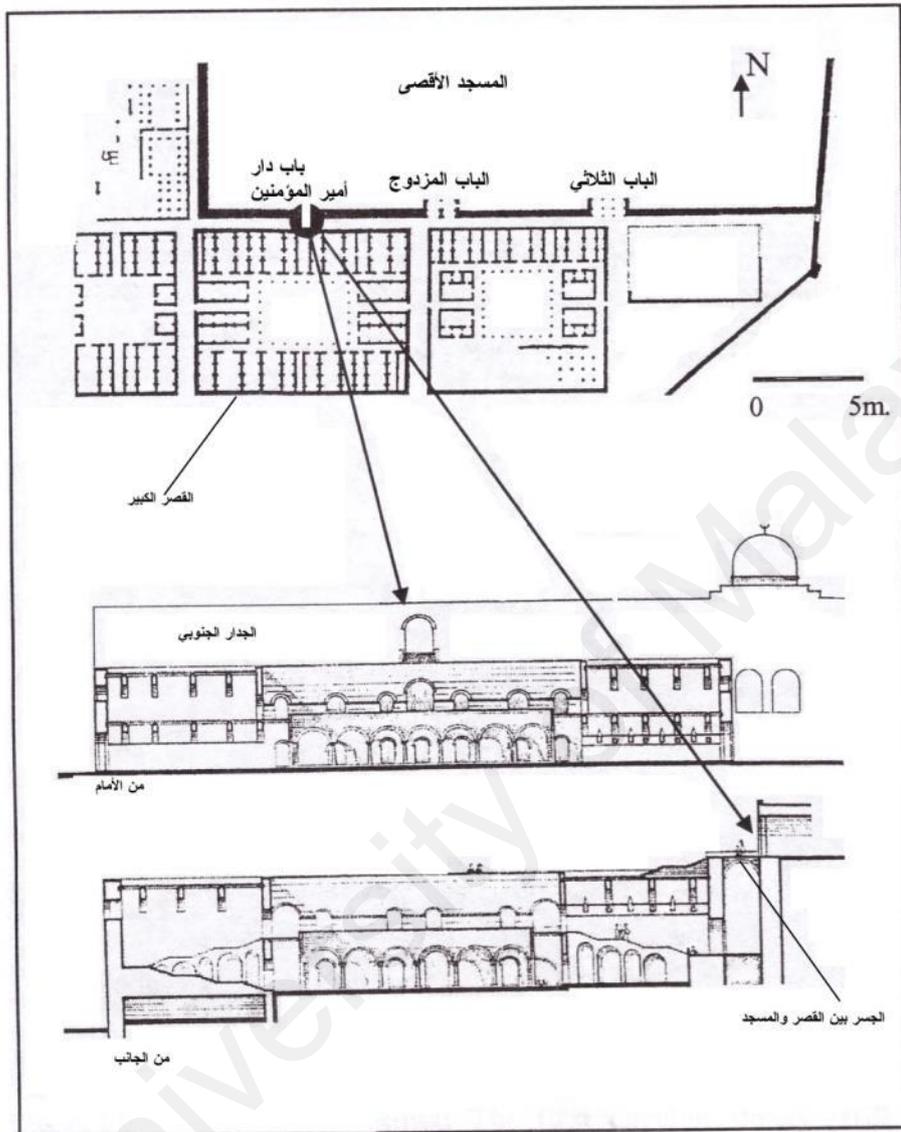
لا تتحدث عنه المصادر الإسلامية المتاحة، وربما يكون إهمال ذكره أنه لم يعد له أثر واضح منذ زلزال عام (130هـ/748م) الذي دمره كما دمر القصر الموصول به، وأجزاء واسعة من الجامع القبلي، فالمصادر المتاحة دونت أسماء بوابات ومدخل المسجد الأقصى بعد حوالي (150) عاماً من هذا الزلزال، كابن الفقيه (ت: 290هـ/903م) في كتابه البلدان، وقد أطلق الباحث هيثم الرطروط على هذا الباب اسم "بوابة إلى الجامع الأقصى" (The Gate to al-Jami' al-Aqsa) وفي موضع آخر أسماه بوابة صغيرة (Small Gate)⁽¹⁾، والاسمان المذكوران في العنوان هما من اقتراح الباحث، الاسم الأول نسبة للدار أو القصر المتصل بالباب، وفضل الباحث استخدام كلمة الدار عن القصر، لأنها الواردة في برديات قرة بن شريك المعاصرة لهذه الإنشاءات "دار أمير المؤمنين"⁽²⁾، أما باب الخليفة فنسبة إلى الشخص الذي خصص له الباب وهو الوليد بن عبد الملك على الأرجح.

هذه الأبواب الأربعة التي تناولنا عمارتها كنماذج مختارة لبوابات المسجد الأقصى، تكشف ما تمتع به المهندس المسلم من قدرة على الإبداع وإيجاد الحلول للمشاكل المعمارية، وقدمت نموذجاً في معالجة فرق

(1) Al-Ratrout, p. 262, 334.

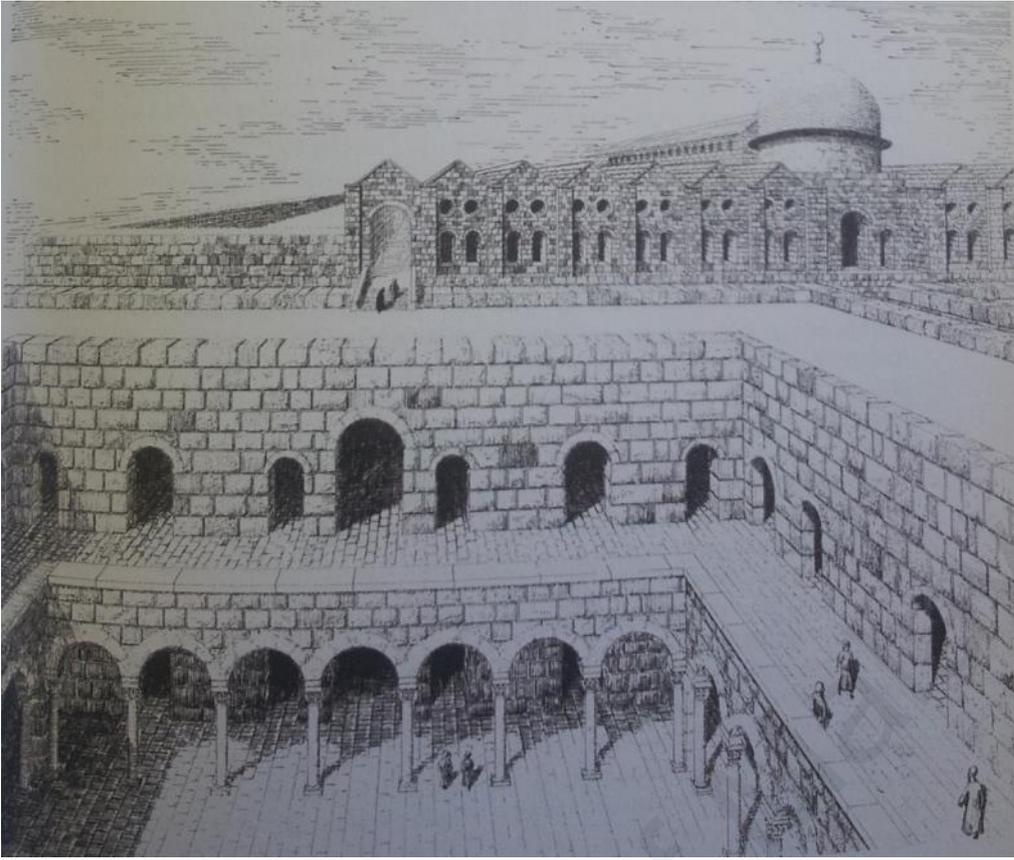
(2) انظر الفصل الثالث.

المستويات في المباني، وكيفية تحقيق الاستفادة القصوى من العناصر المعمارية، بتصميمها لتحقيق عدة وظائف في آن واحد، وكيف أنها وازنت بين الشكل والوظيفة.



شكل 4. 20: صورة توضح موقع باب دار أمير المؤمنين والجسر بينها وبين الجامع القبلي.

المصدر: Al-Ratrout, p. 338.



شكل 4. 21: منظور تخيلي للقصر الكبير (II) اعتماداً على مخططه المكتشف، يظهر فيه الفناء الداخلي (courtyard) الذي ميز القصور الأموية، ويظهر في أعلى الرسم، علاقة القصر بالجامع القبلي عبر الجسر.

المصدر: Bahat, Atlas, 179.

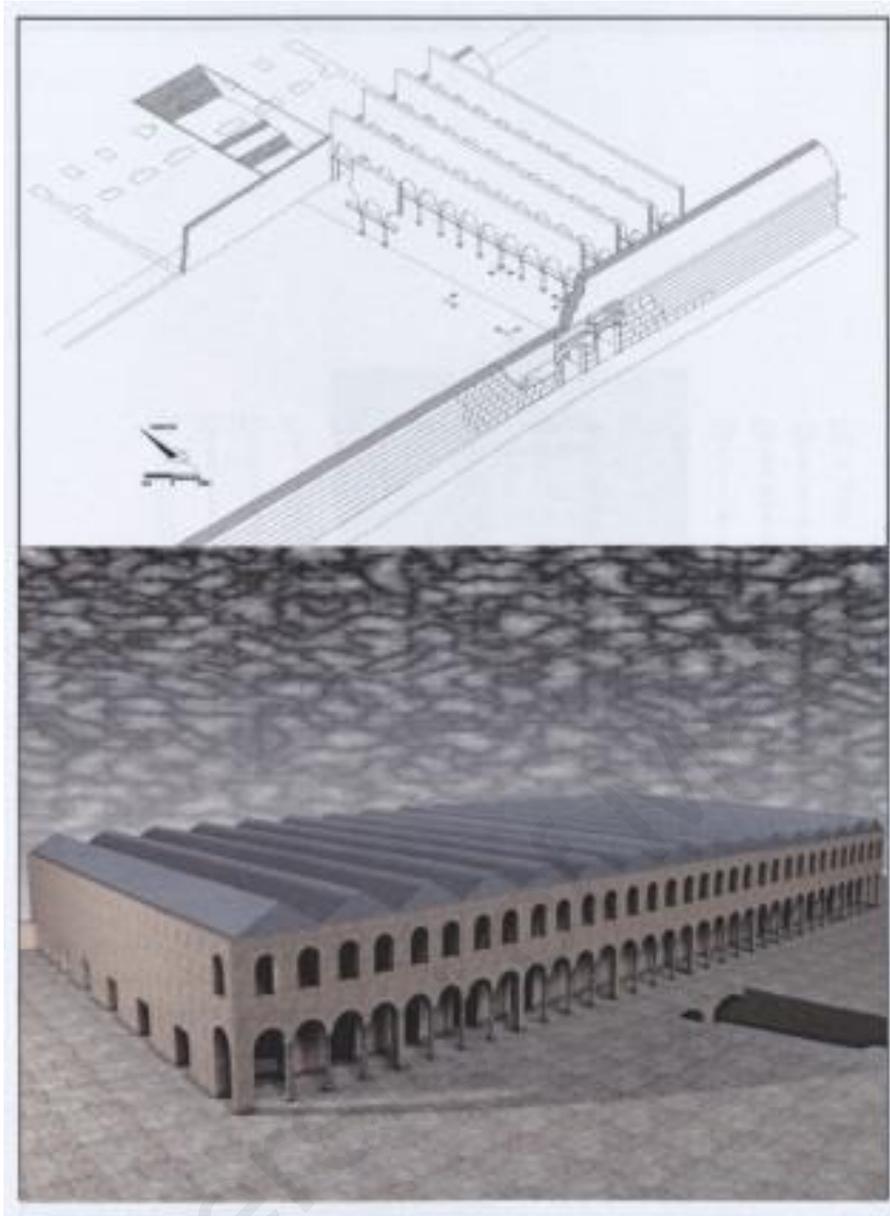
- عمارة الجامع القبلي.

اتضح فيما سبق، أن الجامع القبلي قد انهار إثر زلزال عام (130هـ/748م)، في نهاية العصر الأموي، وقد شهد الجامع أطواراً من التغييرات في عمارته اللاحقة، أخفت ملامحه الأموية، لكن أعمال الصيانة التي شهدتها الجامع في الفترة (1938-1942م)، أتاحت الفرصة لهاميلتون (Hamilton) لإلقاء الضوء على بعض الأساسات الأموية مثل أجزاء من جدار القبلة (الجنوبي) وبعض قواعد الأعمدة، مما ساعده على استنتاج بعض الخصائص المعمارية للجامع، وهي كالتالي:

- موقع الجامع نفس الموقع الحالي للجامع القبلي.

- كانت حدود الجامع الشمالية أقل بجوالي 19 متراً من الحدود الشمالية للجامع الحالي.
- استخدم الرخام لعمل أرضية الجامع، وهي تنخفض عن الأرضية الحالية بجوالي (50-60 سم).
- قسم المسجد إلى أروقة استندت على جدار القبلة، واتجهت من الجنوب إلى الشمال.
- وكان معدل المسافات بين أروقة الجامع (4.2) متراً.
- انتهت تلك الأروقة بدعامات التحمت بالجدار الشمالي للجامع.
- لم يكن للجامع قبة.
- استند رواق عرضه أربعة أمتار على الجدار الشمالي للجامع (من الخارج) أي أنه يسير من الشرق إلى الغرب.⁽¹⁾
- استخدمت التغطية الجمالونية لتغطية السقف.
- فتح في الحائط الجنوبي للجامع من الناحية الغربية مدخلاً خاصاً بالخليفة يمكنه من الوصول للجامع من قصره مباشرة.

Creswell, Early, p.379. (1)



شكل 4. 22: في الأعلى طريقة إنشاء المسجد (الأروقة)، وفي الأسفل: منظور افتراضي للجامع القبلي في العهد الأموي.

المصدر: Al-Ratroun, p. 523.

قبة الصخرة.

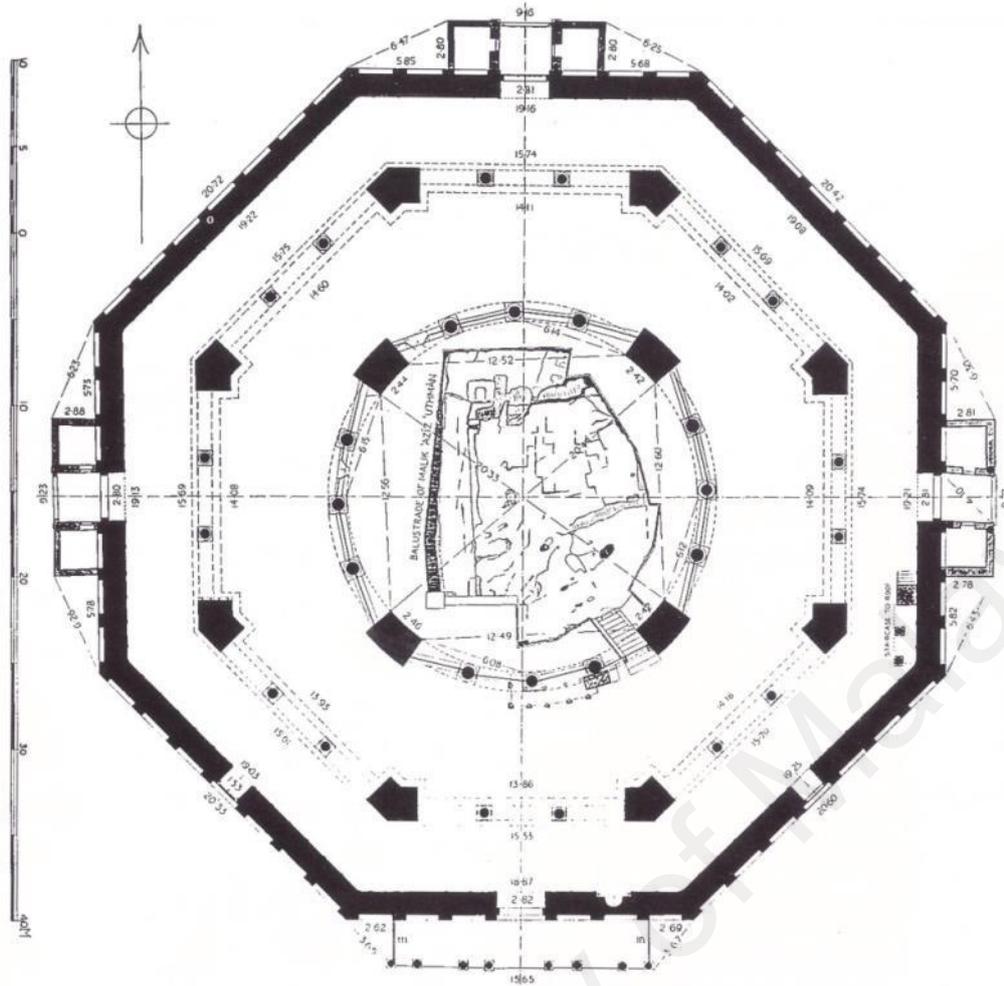
يتكون البناء من جدار خارجي، على شكل مئمن منتظم الأضلاع، طول كل ضلع (20.59م)، وارتفاعه حتى السقف (9.5م) وتبلغ ارتفاع الدروة⁽¹⁾ (2.6م)، وعليه يكون ارتفاع الجدار الخارجي للناظر من الخارج (12.1م).

يحيط الجدار الخارجي بقنطرة مئمنة الأضلاع (التمثينة الداخلية)، طول ضلعها (15.47م)، حددت زواياها بثمانية ركائز حجرية، بين كل ركيزتين عمودان، يربط بين الركائز والأعمدة عارضة (Beam) خشبية فوق تيجان الأعمدة، تحمل (24) قوساً نصف دائري، بمعدل ثلاثة أقواس لكل ضلع، يعلو تلك الأقواس عارضة يرتكز عليها سقف البناء⁽²⁾.

تحيط التمثينة الداخلية بقنطرة دائرية الشكل، وهي القنطرة المركزية التي تحيط بالصخرة المشرفة وتحمل القبة، وقد صمم هيكلها قوياً ليتناسب مع وظيفتها في حمل رقبة القبة والقبة؛ بحيث تتألف القنطرة من أربعة ركائز حجرية كبيرة، بين كل ركيزتين ثلاثة أعمدة، وبين كل ركيزتين خمسة أقواس نصف دائرية تستند على الركيزتين وتيجان الأعمدة الثلاثة، ويعلو هذه الأقواس عنق القبة التي تستقر عليها قبة المبنى.

(1) الدروة: الجدار القصير الذي يقام فوق سقف المبنى للحماية، ولتحقيق الامتداد البصري.

(2) Creswell, Early, p.68-69.



شكل 4. 23: مسقط أفقي لقبة الصخرة موضح عليه الأبعاد والأطوال (بالمتر).

المصدر: Creswell, p.71.

والقبة على شكل نصف كرة، يبلغ قطرها (20.44م)، وكانت القبة في ذلك العصر كما يصفها

المقدسي، تتكون من ثلاث (طبقات)، وهي من الداخل إلى الخارج على الترتيب التالي: الطبقة الأولى

عبارة عن ألواح خشبية مدهونة ومنزخرفة، والطبقة الثانية عبارة عن هيكل معدني لحفظ شكل القبة ولمقاومة

الرياح، والطبقة الخارجية من ألواح خشبية ثبتت عليها صفائح النحاس المذهبة، وترك فراغ في وسط طبقات القبة ليتسنى للفنيين الدخول لتفقد القبة وإصلاحها⁽¹⁾.

ينتج المئمنان حول الصخرة رواقين؛ الداخلي عرضه (10.22م)، والخارجي (4.63م)، تم سقف الرواقين باستخدام جمالونات خشبية صقحت من الخارج بألواح الرصاص، وكُسيّت من الداخل بألواح خشبية نالت قسطاً وافراً من الدهان والزخرفة، بينما تشكل القبة سقفاً مستقلاً للقنطرة المركزية⁽²⁾.

حددت محاور الدخول للقبة بأربعة أبواب حسب الجهات الأربع الرئيسة، عرض كل باب منها (2.55م)، وارتفاعه (4.35م). ويذكر كريزويل أن هناك انحراف في توجيه المسقط الأفقي للقنطرة المركزية التي تحمل القبة، قدره بثلاث درجات وذلك حتى يتمكن الزائر للقبة عبر أي هذه الأبواب، من رؤية جميع الأعمدة، فلا تحجب الأعمدة الأمامية الأعمدة الخلفية، كذلك يرى أقواس القنطرة، وعنق القبة ويستشعر ضخامتها واتساعها⁽³⁾.

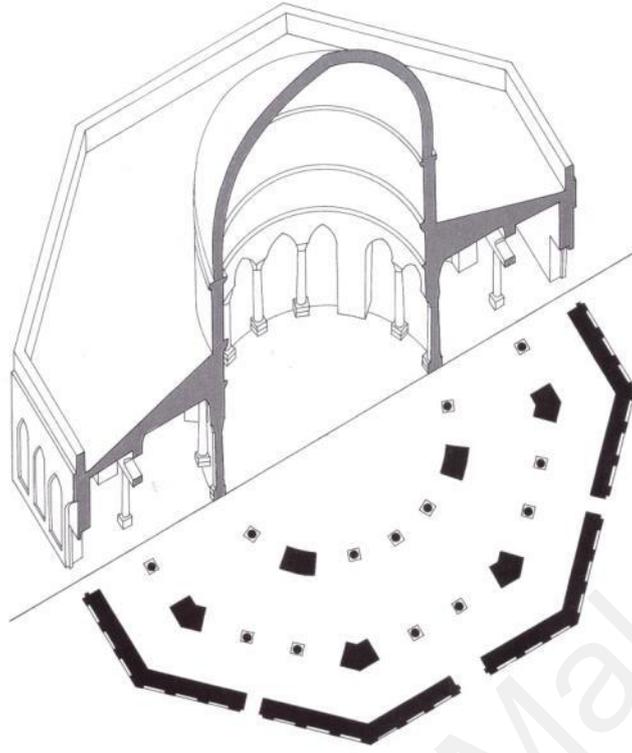
يستمد المبنى إضاءته من نوافذ الحوائط الخارجية؛ 5 نوافذ في كل حائط (المجموع: 40 نافذة)، ومن نوافذ عنق القبة البالغ عددها (16) نافذة، توافق في مجموعها (56) نافذة ما ذكره ابن الفقيه من نوافذ قبة الصخرة⁽⁴⁾.

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص170.

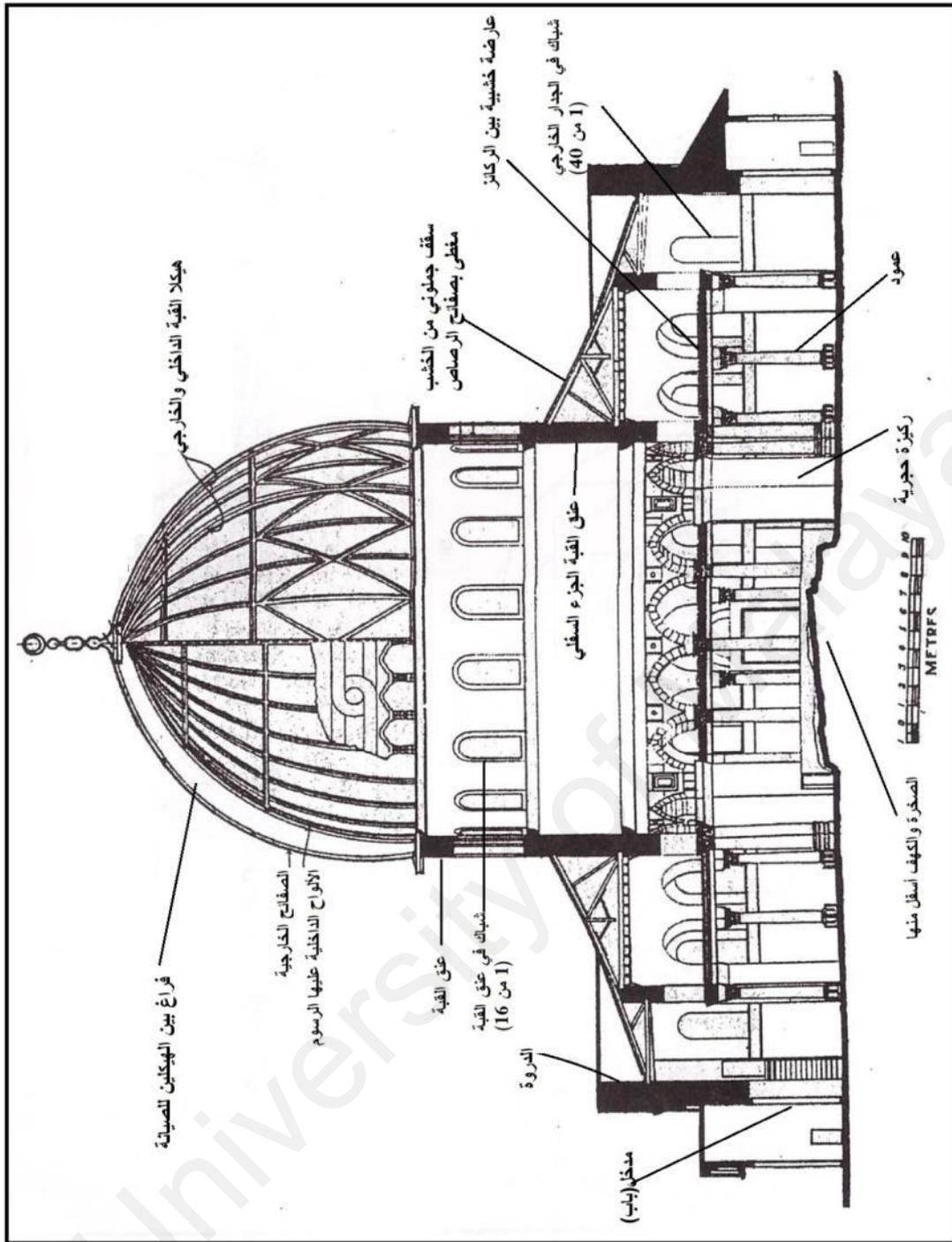
(2) علي حسن خاطر، موسوعة القدس، ج1، ص 211.

(3) Creswell, Early, p.69.

(4) ابن الفقيه، البلدان، ص151.

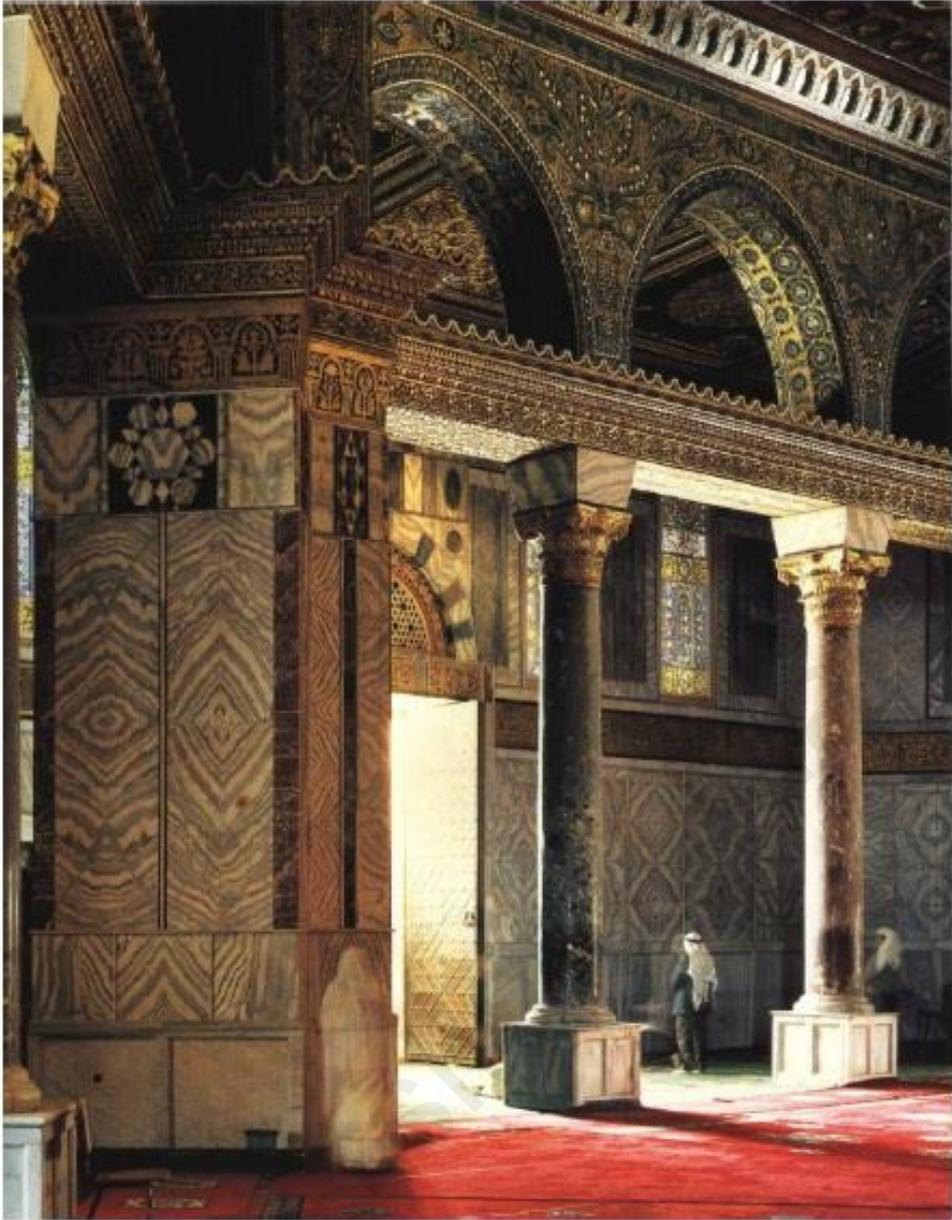


شكل 4. 24: قطاع رأسي في قبة الصخرة. المصدر: Creswell, p.68.



شكل 4. 25: قطاع (من الشرق إلى الغرب) في قبة الصخرة يبين أجزاء المبنى والهيكال والفتحات

المصدر : الباحث



شكل 4. 26: صورة من داخل قبة الصخرة ويظهر فيها الرواقين الداخلي والخارجي والباب الجنوبي (القبلة) والنظام

الإنشائي من ركائز وأعمدة ربطت بالعارضة الخشبية، وفي أعلاها الزخارف الأموية في التثمينة الداخلية.

المصدر: أمل نمر ولد علي، الزخارف الإسلامية والعناصر المعمارية في المسجد الأقصى وقبة الصخرة بالقدس

الشريف، دراسة تحليلية، (الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، 2009م)، ص 165.

عمارة القصور الأموية.

سبق الإشارة إلى اكتشاف المجمع الإداري الأموي جنوب وغرب المسجد الأقصى، إذ قام فريق الحفريات بإعطاء كل مبنى في هذا المجمع رقماً خاصاً، (شكل 3. 23) وأمكن تحديد وظيفة بعض المباني بعد دراسة مخططاتها، وعناصرها المعمارية، والأبعاد الوظيفية للفراغات، وعلاقاتها البينية، فتبين أنها كانت تحتوي على ثلاثة قصور، وحمام، ومبنيين آخرين، لكنها تتكامل في مجموعها لتشكل مجماً إدارياً. من الناحية المعمارية، تتشابه مخططات القصور الثلاثة التي كان أكبرها هو القصر (II)، وهو الواقع إلى الجنوب من المسجد، مخططه العام على شكل مستطيل أبعاده (48متراً x 98متراً) يمتد من الشرق إلى الغرب، وبدراسة الآثار المتبقية من هذا القصر وفراغاته أمكن من معرفة خصائصه الشكلية والهيكلية بالشكل التالي:

-تكون القصر من طابقين، يقيم الخدم والحرس في الطابق الأول الذي يضم إسطبلًا وغرفاً للتخزين، بينما استعمل أصحاب القصر الطابق الثاني.

- القصر عبارة عن مجموعة كبيرة من الغرف والقاعات التي أقيمت بشكل متعامد على جدران القصر الأربعة الخارجية.

- في الوسط كان هناك فناء (Courtyard) مبلط بالحجارة المربعة، تم زراعة بعض الأشجار فيه.

- أحاط رواق مسقوف بالفناء، ارتكز على جدران الغرف من جهة وعلى الأعمدة المحيطة بالفناء في الجهة المقابلة.

- هناك تماثل تام بين الجزء الشرقي والجزء الغربي من القصر.

- كان الدخول للغرف من الأروقة عبر مداخل في النهايات الداخلية للقاعات.

- كان الدخول للقصر من خلال بوابتين رئيسيتين: الأولى في الشرق والثانية في الشمال.

- ارتبط القصر بالجامع القبلي عبر جسر بينهما.

ويمكن القول أن هذا البناء بهذه المواصفات يمثل أحد النماذج على فلسفة عمارة البيوت

الإسلامية التي يمكن تحديدها بالتالي:

- الانفتاح على الداخل، مما يراعي خصوصية أهل البيت ومفاهيم الحشمة التي تمنع الانكشاف

على الخارج.

- يحافظ هذا التصميم على اتصال جميع الغرف بالمركز (الفناء)، رغم كبر مساحة البناء.

- يتيح الفناء لأهل هذا البيت النظر إلى السماء ويحفزهم على التفكير.

- تم ضبط عدد المداخل للقصر بحيث يكون فقط مدخلان لبناء تقارب مساحتي (5000) متراً

مربعاً.

- يتم من خلال الرواق الدائر حول الغرف تحقيق الظل لهذه الغرف مما يقلل درجة الحرارة.

بعد الدراسة السابقة لمجموعة مختارة من المعالم المعمارية وفحص شكلها وهيكلها ودراستها في

البعدين الأفقي والرأسي، نخلص إلى أن عمارة بيت المقدس في صدر الإسلام من ناحية الشكل والهيكل،

انقسمت إلى نوعين؛ عمارة وظيفية وعمارة رمزية، وتوضيح ذلك:

عمارة وظيفية: (أي تحقق وظيفتها بأفضل الطرق وأقل المساحات المستخدمة) ومثال ذلك واضح

في الجامع القبلي ذو الشكل البسيط فهو عبارة عن أروقة متجاورة أنتجت قاعة صلاة فسيحة، تتيح

للمصلين الوقوف في صفوف طويلة متصلة دون عوائق، وكذلك تمكنهم من الاتصال البصري مع الخطيب

من جهة، ومع بعضهم من جهة أخرى؛ وكذلك ظهر جلياً في دراستنا للبوابات (الثلاثية والمزدوجة) أنها

لعبت أدواراً وظيفية متعددة، فكانت ممراً ناقلاً للناس إلى داخل المسجد، وفي الوقت نفسه تسوية ليقوم

عليها الجامع القبلي، كما كان واضحاً من شكل غرف القصر التي اتسمت باستقامة الزوايا، وتعدد مساحات الغرف التي تناسب دورها.

عمارة رمزية: فهي واضحة في معلمين مما درسناهم، الأول البوابة الذهبية التي كانت رمزاً للمدينة الجديدة وعنواناً للنهضة العمرانية التي شهدتها المسجد الأقصى، وقد حققت تلك البوابة رمزيته بأن المصادر الأجنبية لا تذكرها إلا باسم البوابة الذهبية (Golden Gate)، وأفضل الأمثلة على ذلك مبنى قبة الصخرة الذي جاء فريداً في هيكله وشكله، بديعاً في زخرفته ونقوشه، فأصبح رمزاً لقدسية المكان وعلامة على عراقية المدينة، ظهرت رمزيته بارتفاعه الكبير، وقبته المتألفة، وسيطرته على ما يحيط به من بيئة عمرانية أو طبيعية.

ولا يعني تصنيف الباحث لأي من تلك المعالم في نماذج العمارة الرمزية نفي الصفة الوظيفية عنها، لكن التصنيف هنا تم على ما ظهر من أثر لتلك المعالم، وغالب ما عرفت به، ويرى الباحث أن الجسر الذي ربط بين قصر الخليفة والجامع القبلي أدى دوراً وظيفياً ورمزياً في آن واحد، فهو من جهة يستخدم للوصول بأقصر الطرق وأسهلها إلى الجامع القبلي، لكنه في الوقت نفسه، يرمز إلى حرص القصر على ربط نفسه بالجامع ولو كان هذا الرابط صغيراً في حجمه، ومعروف ما مثله المسجد الأقصى من ثقل سياسي وشرعي للأمويين في مختلف مراحلهم.

- الخصائص الزخرفية.

احتوت عمارة بيت المقدس على قسط وافر من الزخارف، تمتع المسجد الأقصى ومعامله بنصيب كبير منها، أهمها ما كان في الجامع القبلي، وقبة الصخرة، والباب المزدوج.

ففي الجامع القبلي، كشفت أعمال الترميم التي جرت في الفترة (1938-1942م) عن مجموعة نادرة من النماذج الزخرفية الأموية، تم حفرها على ألواح خشبية مستطيلة الشكل، استخدمت في تغطية أطراف وبواطن عوارض (beams) الهيكل الإنشائي الحامل لسقف الرواق الأوسط، وقد تشابهت هذه الزخارف مع زخارف أموية أخرى؛ كالتي في المسجد الأموي بدمشق، وقبة الصخرة، وقصور بادية الشام⁽¹⁾. وهي في مجملها زخارف نباتية يشاهد فيها أوراق العنب والعنب والرمان والزهور والسلال التي تخرج منها عروق نباتية، وهي غاية في الاتقان والرشاقة⁽²⁾. (انظر الشكل 4. 27)

Hillenbrand, R., Umayyad Woodwork in the Aqsa Mosque, in: Bayt Al-Maqdis (1) Jerusalem and early Islam, edited by: Jermy Johns, UK, Oxford University press, (1999), pp.271-310.

(2) مارغريت فان برشيم، وسولانج أوري، القدس الإسلامية في أعمال ماكس فان برشيم، ترجمة: عطا الله دهينة وآخرون، (دمشق، دار الشام، 1994م)، ص 89.



شكل 4. 27: نماذج من الزخارف النباتية والهندسية المحفورة على ألواح خشبية من العصر الأموي تم استخراجها من الجامع القبلي.

المصدر: Hillenbrand, R., Umayyad Woodwork in the Aqsa Mosque, in: Bayt Al-Maqdis Jerusalem and early Islam, edited by: Jermy Johns, UK, Oxford University press, (1999), pp.271-310.

أما في قبة الصخرة، فتقدر مساحة الزخارف الفسيفسائية داخل المبنى بحوالي (1280) متراً مربعاً، يتفق علماء الآثار والفنون أن معظمها يعود للفترة الأموية بغض النظر عن التجديدات والإصلاحات التي

لحقت بها⁽¹⁾، تتركز هذه اللوحات والزخارف على رقبة القبة في الجزئين العلوي والسفلي منها، وعلى الوجهين الداخلي والخارجي للقناطر الدائرية التي تحيط بالصخرة، وكذلك على الوجهين الداخلي والخارجي للثمنية الداخلية وكذلك بطنيات أقواسها، ويذكر أن الجدران الخارجية لقبة الصخرة كانت مكسوة بالزخارف الفسيفسائية قبل أن تستبدل بكسوة من القيشاني المزجج في العصر العثماني وتحديدًا في القرن (السادس عشر الميلادي)، وتنوعت تلك الزخارف بين الأشكال النباتية وما يلحق بها من عروق وأزهار وأوراق وثمار، والزخارف الهندسية والمزهرية، والكتابات العربية⁽²⁾. (انظر الشكل 4. 28، 4. 29، 4.

30) وتعد زخارف قبة الصخرة الأهم والأكبر بين زخارف المسجد الأقصى.

وثالث المواقع أهمية في زخارف المسجد الأقصى وجد في باب النبي (الباب المزدوج)، حيث يُرى بقايا الجص على القباب، وقد نقشت على هذا الجص الزخارف الهندسية والنباتية، وقد نقلها دي فوجيه في منتصف القرن (19م) (انظر الشكل 4. 31)

(1) Shamma, p.134.

(2) فان برشيم، القدس الإسلامية، ص89.

Oleg Grabar, The shape of the holy: Early Islamic Jerusalem, New Jersey, Orinceton University Press, (1996), pp.61-103.



شكل 4. 28: نموذج من الزخرفة الفسيفسائية على الركيزة الجنوبية الغربية من القنطرة الدائرية (المركزية). المصدر:

.Grabar, 85.



Figure 42. Dome of the Rock, inner octagon, S arcade (22°–338°).

شكل 4. 29: نموذج من الزخارف النباتية والهندسية على الوجه الداخلي للثمانية الداخلية. المصدر: Grabar, The

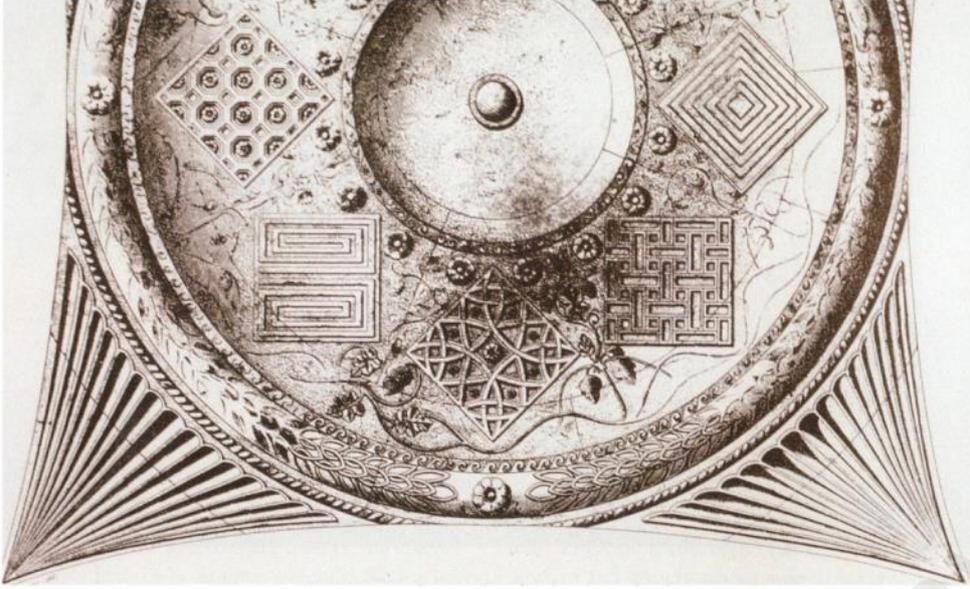
Shape of Holy, p.92.



Figure 53. Dome of the Rock, soffit of octagon (22°).



شكل 4. 30: نموذج من زخارف بطنيات الأقواس في قنطرة التمنية الداخلية. المصدر: Grabar,



شكل 4. 31: زخرفة في واحدة من قباب باب النبي (الباب المزدوج) كما كانت تبدو في منتصف القرن 19م، أما الآن

فلم يتبقى منها إلا القليل. المصدر: De Vogue,

تتجلى في هذه الزخارف قدرة الفنان المسلم على التجريد والإبداع الفني على مستوى الشكل والمضمون، ضمن إطار من الضوابط الشرعية والنفسية؛ فعلى مستوى الشكل، نجدتها ابتعدت عن تصوير ذوات الأرواح من حيوانات وبشر، واتجهت في الأشكال نحو تصوير الطبيعة وما أحاط بالإنسان من جمال تمثل في الأشجار والأزهار والثمار، والأوراق، فضلاً عن الأشكال الهندسية البسيطة والسلال والمزهريات التي يخرج منها الفروع حاملة الثمار والأزهار، ومع أن مفهوم الزخرفة قائم على تكرار العنصر بوتيرة معينة، نجد الفنان المسلم قد استطاع أن يحقق التكرار دون ملل، فمثلاً؛ نجد في لوحات التثمينة الداخلية، أن كل لوحة زخرفية تصور نوعاً مختلفاً من النباتات والأزهار والثمار وحركة العروق اتجاهها، لكنها في أحد وجوهها تكرر لعناصر مجاورة، مما يتيح للمتأمل أن ينتقل من لوحة إلى أخرى وكأنه ينتقل من فكرة إلى أخرى بانسيابية وحيوية وإعمال ذهني.

وعلى مستوى الشكل أيضاً، نجد الفنان المسلم قد استخدم الخط العربي في صورته الكوفية الهندسية على الشريط الأعلى للثمينة الداخلية على الوجهين الداخلي والخارجي بطول (240م)، بخط مذهب على أرضية زرقاء، تتيح له البروز والمنافسة الفنية- رغم صغر مساحته- مقارنة بباقي المساحات الزخرفية الكبيرة، ولاحظ النقاد الفنيون في تلك الزخارف خاصية الانسجام اللوني الذي يتماشى مع معنى التكوينات وليس مع حقيقة وواقعية لونها⁽¹⁾.

أما على مستوى المضمون؛ فتتعدد القراءات لها بين أنها تعكس صورة الجنة وما فيها من أشجار وثمار مختلفة الألوان، ومجوهرات ثمينة وقصور⁽²⁾، وبين أنها تعبير عن امتلاك السلطة والقوة والمال⁽³⁾، بينما يرى آخرون أن تلك الزخارف وما تصوره من أشجار مثمرة يأتي في إطار الدعوة إلى زراعة الأشجار المثمرة و "الفلاحة" وما تحمله هذه الكلمة من دلالات "الفلاح والنجاح"، فضلاً عن قيم استمرارية العطاء الذي يحتاج إلى عناية وصبر كالزراعة⁽⁴⁾.

ويمكن القول أن تعدد محاولات تفسير مضمون تلك الزخارف والغوص في مدلولاتها، الرمزية والصريحة، دلالة على قدرة هذه الزخارف نفسها، -والفنان المسلم من قبل- أنها لا تزال موضوع بحث وتحفيز للباحثين لاستنباط مضامينها، ومحاولة تقديم قراءات جديدة حولها.

(1) حسن نُجْد نعيرات، خصائص العمارة والزخرفة الإسلامية في بيت المقدس، مؤتمر يوم القدس العالمي، ص92.

(2) حسن خاطر، موسوعة القدس، ج1، ص217.

(3) Grabber, O., Umayyad Dome of the Rock in Jerusalem, Ars Orientalis, Vol. 3 (1959), pp. 33-62

(4) Shamma, pp.143-146.

- الأصول المعمارية لعمارة بيت المقدس.

لم تسلّم عمارة بيت المقدس، ولا سيما الدينية منها، من نظرة مسبقة لدى كثير من المستشرقين تنزع عنها صفة الأصالة، إذ يميل كثير من المؤرخين ودارسي الآثار الغربيين إلى المسارعة بالقول أن المسلمين لم يبدعوا عمارة خاصة بهم في بيت المقدس، إنما قلدوا الأنماط المعمارية السابقة لهم، ولا سيما العمارة البيزنطية، فقالوا إن عمارة الجامع القبلي تنتمي إلى تصميم الكنائس، حتى أن أحدهم مثل وارن (Warren) لم يجد حرجاً ليقول أن الجامع القبلي ما هو إلا بازيليك القديسة مريم البيزنطية، استخدمها المسلمون كجامع وغيروا اسمها⁽¹⁾. لكن قوله هذا لم يعد يُكرَّر بعد أن اكتُشف الموقع الحقيقي لتلك البازيليك خارج المسجد الأقصى، ويدعي آخرون، مثل كريزويل (Creswell)، أن المسلمين كانوا إذا ما فتحوا مدينة، أخذوا إحدى الكنائس وحولوها مسجداً، أو تشاركوها مع المسيحيين، وأن هذا مكنهم من التعرف على العمارة البيزنطية والاقْتباس منها، ويحاجج على رأيه بأن المسلمين لم يبنوا جوامع قبل أن يفتحوا بلاد الشام أو بلاد الفرس⁽²⁾.

وامتدت هذه الدعاوى إلى قبة الصخرة وزخارفها، ومنطلقهم بأن البناء الثماني كان معروفاً قبل قبة الصخرة، وأخذوا يوردون النماذج والأمثلة لمبانٍ اتخذت الشكل المثلث، قبل تاريخ إنشاء القبة، فيما عرف بدراسات الأصول المعمارية⁽³⁾، ولم تسلّم الزخارف التي زينت العمارة الإسلامية في بيت المقدس من نزع أصالتها—ولا سيما زخارف قبة الصخرة—حتى أن كريزويل قسّم عناصر الزخارف إلى مجموعات بنسب

(1). Warren, p.39.

(2) Creswell, A Short account of early Muslim architecture, (Alder shot: Scholar Press, 1989), pp.6-7.

(3) Creswell, Early, pp.101-114.

مغوية فجعل (22%) عناصر رومانية، و(22%) عناصر بيزنطية، و(55%) من العناصر السورية المسيحية، وبقي (1%) من تلك الزخارف لم ينسب⁽¹⁾.

وإن كان من الصعب على الإنسان المنصف أن ينكر تأثير الحضارات ببعضها، أو تأثر العناصر المعمارية الإسلامية بالعمارة المحلية، إلا أنه في المقابل إنكار وجود خصائص إسلامية أو عربية ميزت هذه العمارة، فيه انحراف بائن عن الموضوعية، فالإدعاء بأن المسلمين قد بنوا جوامعهم بتأثر من عمارة الكنائس البيزنطية أو عمارة المنشآت العامة الرومانية، فيه تجاهل لدور مسجد الرسول ﷺ في تشكيل الهوية المعمارية للعمارة الإسلامية، وهو أمر يتضح أكثر باستقراء نماذج عديدة من الجوامع التي أقيمت في صدر الإسلام بتأثر ومحاكاة واضحة للمسجد النبوي القائم على الشكل المربع وظلة للصلاة في مقدمته، ولم يكن المسلمون بحاجة لاستعارة عناصر هذه الجوامع من غيرهم، وهي مذكورة في القرآن كالمسجد والحراب والقبلة، بالتوازي مع حضور مفهوم المسجد ودوره الروحي والوظيفي في ذهن المسلمين أثناء تخطيطهم وإنشائهم للمسجد، وهذا ما يمكن تطبيقه على المسجد الأقصى، الذي اتخذ شكل المسجد النبوي بإقامة الجامع القبلي في صدر المسجد بصفوف الأعمدة المسقوفة، التي كونت فراغاً واسعاً بعيداً عن تعقيدات المراحل وتنوع الفراغات والقيود المفروضة على دخولها، التي ميزت التصاميم الكنسية آنذاك، وخارج الجامع تكون الساحة أو الفناء لمناشط المسلمين بين الصلوات.

أما قبة الصخرة، فإن جاء تصميم قبة الصخرة بشكلها الثماني متوافقاً مع بعض المعالم المعمارية السابقة، إلا أنه كان مختلفاً في الداخل والهيكلي، فالعمارة على الشكل الثماني -السابقة لقبة الصخرة- جاءت إما دائرة تحيط بها دائرة، وإما دائرة يحيط بها ثماني⁽²⁾، أما في عمارة قبة الصخرة فقد جاءت على النحو التالي: دائرة يحيط بها ثماني يحيط به ثماني آخر وهو نظام معماري غير معروف قبل إنشاء قبة

(1) أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها: المدخل، (مصر، دار المعارف، د.ت)، ص9.

(2) Creswell, Early Muslim architecture, pp.101-114.

الصخرة، وقد جاء بناء قبة الصخرة بعد حوالي نصف قرن من دخول الإسلام إلى فلسطين وبلاد الشام، مما يعني خروج جيل جديد من البنائين الذين كونوا شخصيتهم وفلسفتهم المعمارية على أساس الإسلام، وتصوره لعلاقة الإنسان بالمادة والآخر ومحيطه.

أما الزخارف، فغني عن القول أن التطرف ظاهرٌ في دعوى تجريدتها من أصالتها، وقد دلت الكشوف الأثرية على تراث عربي في الزخرفة والتزيين سابق للإسلام، كما أن الزهور والعروق والثمار والأشكال الهندسية هي من المشترك الإنساني، الذي يتجاوز الدين والجنسية، وكان ظاهراً في تلك الزخارف أنها تجنبت تصوير ما لا يقره الإسلام، واتجهت نحو محاورة الواقع وليس نقله، ويمكن القول هنا أنه من الصعب على المرء ألا يتأثر بما حوله من منتجات ثقافية وحضارية، لكن الفنان المسلم استطاع صهر تلك الموروثات الحضارية وأضاف لها قيمة وتصوراته للحياة وللجمال، وأنتج أكبر تلك اللوحات الزخرفية التي لا تزال شاهدة على قدرته على التصوير والتحوير ومخاطبة الآخر بغض النظر عن لغته وخلفيته الدينية أو العرقية.

المبحث الثاني

الخصائص العمرانية

تمهيد:

تم في المبحث السابق تناول عمارة بيت المقدس في صدر الإسلام، من خلال دراسة مخططاتها وخصائصها الشكلية والهيكلية والزخرفية وأصولها المعمارية، في سبيل الوقوف على الصورة الأقرب لحال العمارة آنذاك، وقدرتها على تحقيق أهدافها في البعدين الوظيفي والجمالي، وإن كان مجال العمارة هو المبنى نفسه كوحدة معمارية بما يحتويه من عناصر كحوائط وأعمدة وفراغات ومداخل، أو ما يؤديه من وظائف دينية أو اجتماعية أو اقتصادية، فإن مجال العمران أوسع من ذلك، ليشمل المدينة كلها بصفاتها وحدة عمرانية بما تحتويه من مبانٍ وشوارع وساحات عامة وأسواق ومرافق ومواصلات وخدمات، فضلاً عن علاقة هذه العناصر مع بعضها البعض، وما تؤديه في مجموعها من وظائف متكاملة، تحقق الغاية من المدينة كبيئة عمرانية تحقق سعادة الإنسان.

وفي هذا المبحث سيحاول الباحث استكشاف خصائص وصفات المظهر العمراني العام لمدينة بيت المقدس وعلاقة العناصر العمرانية ببعضها، خلال فترة الدراسة من خلال ما توفر من معلومات تم الوقوف عليها في الفصول السابقة أو ما تقدمه المصادر والكشوف الأثرية الحديثة.

- طبيعة عمران بيت المقدس كمدينة.

يقسم عالم التخطيط عبد الباقي إبراهيم، المدن الإسلامية في صدر الإسلام، بالنسبة لمراحل تكوينها التاريخي إلى قسمين؛ الأول: مدن كانت قائمة قبل الإسلام وأتى عليها الإسلام، فعدّل بعض ملامحها العمرانية التي لا تتفق مع هدف رسالة الإسلام، والقسم الثاني: مدن أقيمت بعد ظهور الإسلام

كقواعد للحكام، مثل البصرة (14هـ / 635م) أو الكوفة (17هـ / 639م) أو الفسطاط (21هـ / 641م) والقيروان (48هـ / 670م) وغيرها، فخططها المسلمون كما أرادوا، الأمر الذي ينعكس بالتالي على الخصائص العمرانية في كلا الحالتين، ومع ذلك، فهناك ملامح عمرانية مشتركة تتميز بها المدينة الإسلامية، أهمها وجود المسجد الجامع كمركز للنشاط الديني والسياسي والاجتماعي، وتنتهي إليه الأنشطة التجارية والإدارية، ومنها التركيب العمراني الذي يعكس التركيب الاجتماعي للسكان والذي يظهر في تقسيمات المدينة إلى أحياء وخطط أو حارات⁽¹⁾.

وتعريف المدينة هنا يشمل كل من الشق العمراني والشق الإنساني معاً اللذان يكونان المدينة الإسلامية، فتكون الخصائص العمرانية للمدينة الإسلامية مرتبطة بالخصائص الاجتماعية والثقافية للمجتمع، وذلك باعتبار أن الخصائص العمرانية هي انعكاس للخصائص الاجتماعية والثقافية والعقائدية للسكان⁽²⁾.

وبناء عليه، يمكن تحديد طبيعة عمران المدينة حسب ما تبين معنا سابقاً من تاريخ بيت المقدس، حيث نجد أنها كانت قائمة بعمارتها وشخصيتها العمرانية قبل الفتح الإسلامي، حتى أنها استقبلت قبل أعوام قليلة من الفتح، وتحديدًا في العام (629م) الإمبراطور هرقل الذي سار في شوارعها وزار معالمها المسيحية المقدسة إثر انتصاره على الفرس⁽³⁾، وقد أمكنتنا خريطة مآدبا تحديد الشكل العام للمخطط العمراني للمدينة آنذاك، فقد بينت مكان الساحة العامة في المدينة، والبوابات، والكنائس، وشارعي المدينة الرئيسيين؛ الكاردو والكاردو الكبير⁽⁴⁾. أما بالنسبة للواقع الاجتماعي والثقافي المؤثر على هوية العمران فهو

(1) عبد الباقي إبراهيم، الخصائص العمرانية للمدينة الإسلامية، في: الحلقة الدراسية لأسس ومعايير تصنيف المباني والمدن التراثية الإسلامية وكيفية الحفاظ عليها، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، (1996م)، منشورة على موقع الباحث: (www.cpas-egypt.com)

(2) المرجع نفسه.

(3) أرمسترونج، القدس، ص366.

(4) راجع المبحث الثالث من الفصل الأول.

كما تلخصه كارين أرمسترونج فقد كانت إيلياء "مدينة مسيحية مقدسة"⁽¹⁾، وهو الأمر الذي استمر لفترات بعد الفتح الإسلامي كما أخبر المقدسي (ت: نحو 38هـ/990م)⁽²⁾.

لم تكن هذه الطبيعة العمرانية للمدينة هي التحدي الوحيد لعملية تطوير أو تعديل الشكل العمراني في مدينة بيت المقدس، بل كان هناك عدة عوامل أخرى أثرت فيه وفي طرق معالجته، يمكن تحديدها بالتالي:

1. المكانة الدينية الخاصة، التي تحتلها المدينة في قلوب أتباع الديانات الثلاث، من المسلمين والمسيحيين، واليهود.

2. المنزلة السياسية التي تتمتع بها المدينة، وما تشكله من ثقل للدولة الأموية التي تشرف عليها.

3. نصوص العهدة العمرية التي ضمنت للمدينة حفاظها على طابعها العمراني القائم.

4. طبيعة الفاتحين أنفسهم الذي لم يظهر في سلوكهم عداء مع مكونات المدينة البشرية أو العمرانية، رغم اختلاف الدين والخلفيات الثقافية للمرحلتين.

5. حرص المسلمين على الإعمار وتحقيق رسالتهم في تعمير الأرض، وإقامة الخلافة بمفهومها الحضاري كما المفهوم السياسي.

ولا شك أن اجتماع هذا الواقع، مع هذه المؤثرات يجعل من وظيفة قيادة المدينة (ما يصطلح عليه حديثاً بالمخطط) أصعب في تنزيل أفكاره وفلسفته العمرانية على الأرض، بتحديد استعمالات الأراضي أو تحديد المواقع العامة والخاصة، والساحات، والشوارع، ويكون دوره التعديل أو التطوير بحيث تتوافق مع رؤيته العمرانية.

(1) أرمسترونج، القدس، ص325.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص170.

وعليه، يمكن الاستنتاج أن عمران المدينة في صدر الإسلام كان قائماً على التعديل والتأثير في توزيع الساحات والمرافق العامة، والكتل البنائية، ونظام الحركة. ويمكن تحديد أهم ملامح عمران بيت المقدس في صدر الإسلام بالخصائص التالية:

- محورية المسجد في عمران المدينة.

من المعروف أن من خصائص المدينة الإسلامية أن يكون المسجد في وسطها، وهو ما أمكن استقراؤه من مخططات المدن الإسلامية الأولى، كالبصرة التي أسسها عتبة بن غزوان عام (14هـ/634م)، والكوفة التي أسسها سعد بن أبي وقاص (17هـ/638م)، أو الفسطاط التي أسسها عمرو بن العاص (21هـ/642م)، أو الرملة التي أسسها سليمان بن عبد الملك حين كان والياً على فلسطين (86-96هـ/705-715م)⁽¹⁾، أو ما نص عليه علماء وحكماء معاصرون لنشأة المدن الإسلامية الأولى، مثل ما ذكره ابن أبي الربيع (ت: 272هـ/885م)، أنه "يجب على من أنشأ مدينة أو اتخذ مصراً... أن يبني فيها جامعاً للصلاة في وسطها، ليقرب على جميع أهلها"⁽²⁾.

وفي حالة مدينة بيت المقدس لم يكن بإمكان المسلمين إنشاء مسجدهم الأقصى في وسط المدينة، وإنما كان موقعه في الجزء الشرقي منها، في منطقة كانت مهملة منذ العهد السابق لهم، فقاموا بتهيئتها وإقامة مسجدهم عليها، ولما تعذر أن يكون موقع المسجد في وسط المدينة، لجؤوا إلى حل تخطيطي مبدع، بأن جعلوا المسجد محورياً بالنسبة للمدينة، عبر مجموعة من الإجراءات:

(1) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988م)، ص 49-57.

(2) شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عا ف عبد الغني، (دمشق، دار كنان، 1996م)، ص 107.

1. فتح أبواب عديدة للمسجد على الجهات الأربع، وكان توزيعها مناسباً للكثافة السكانية التي تحيط بها، فكان أكثرها في الجهة الغربية من المسجد وأقلها في الجهة الشرقية، مما يعني -فلسفياً وتخطيطياً- أن المكان مرحبٌ بالقادمين إليه من كل الجهات.

2. تسهيل عملية الوصول للمسجد، من خلال تهيئة الطرق له (كما أشارت إلى ذلك الحفريات الأثرية)، ومراعاة الواقع الجغرافي والطبوغرافي للمدينة، وذلك بمد جسور تؤدي إلى بوابات المسجد الغربية.

3. تقديم حلول هندسية لتسهيل عملية الوصول للمسجد من المناطق المنخفضة عنه، بعمل البوابات النفقية التي نقلت الزائر من مستوى منخفض (في الجهة الجنوبية من المسجد) إلى مستوى ساحة المسجد، مثل البوابتين: محراب مريم (الباب الثلاثي) وباب النبي (الباب المزدوج) السابق دراستهم معمارياً، وربما استدعى الأمر إنشاء جسر لذلك حسب ما تشير الدراسات الأثرية.

وبهذه الإجراءات، يمكن القول أن التخطيط العمراني الجديد للمدينة، عدل من خاصية (مركزية المسجد) المعتادة والمفضلة في المدينة الإسلامية إلى خاصية جديدة، وهي (محورية المسجد) في تخطيط المدينة بالنسبة لشبكة الطرق المؤدية إليه، وهذا يساعد بشكل مباشر على تحقيق وظيفة المسجد في الفكر العمراني الإسلامي، التي تتجاوز اعتباره مكاناً للصلاة والعبادات فقط، إلى مكان اجتماع المسلمين، فيه يلتقون ويتعلمون الفقه والقرآن والحديث، بل ويناقشون أمورهم الحياتية، وحواراتهم اليومية، ويعقد فيه مجلس الخليفة العام لاستقبال الوفود أو المبايعين، مثل مبايعة الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان بن عبد الملك، كما مر في الفصول السابقة، ويمكن التدليل على فاعلية دور المسجد الأقصى في حياة المسلمين بعدد كبير من

الأمثلة والنصوص في المصادر الإسلامية، وقد اجتهد الباحث أسامة الأشقر بتتبّعها ورصد العشرات منها في كتابه "مدينة بيت المقدس في القرن الإسلامي الأول"⁽¹⁾.

ومن الملاحظ في عمارة المسجد الأقصى أنه ترك مكشوفاً، وسقف الجزء الجنوبي منه (بيت الصلاة: الجامع القبلي)، وجاء وهذا الإجراء لتحقيق غاية عمرانية وروحية للسكان، تتيح لهم فرصة النظر في السماء، والتفكير والتدبر في خلق الله. ومعلوم ما تحقّقه المساحات المكشوفة والاتصال البصري بالسماء دون معيق من راحة نفسية وذهنية.

وليست الطرق فقط التي ساهمت في تحقيق محورية المسجد، بل ساهم في ذلك المساحة الكبيرة التي احتلها المسجد، والتي بلغت (142000) متراً مربعاً⁽²⁾، ليكون أكبر مساجد صدر الإسلام مساحة، مما يعني أنه قادر على تحقيق وظيفته الاجتماعية والنفسية والدينية، باستقباله أي فرد من المدينة في أي وقت، وما سجلته المصادر والدراسات الأثرية من وجود العدد الكبير من الآبار في ساحة المسجد إلا دليل على تهيئة الظروف المناسبة لاستقبال أفراد المدينة في هذه الساحة.

(1) أسامة الأشقر، مدينة بيت المقدس، ص 347-412.

(2) Raby, J., In Vitro veritas Glass pilgrim vessels from 7th-century Jerusalem, in: Bayt Al- Maqdis Jerusalem and early Islam, edited by: Jermy Johns, UK, Oxford University press, (1999), p.170.



شكل 4. 32: مخطط يبين تعزيز محورية المسجد في كثافة الشوارع التي تتجه نحوه وسهولة الوصول له من خارج المدينة أو داخلها. المصدر: الباحث.

- مجاورة دار الإمارة للمسجد.

دلت مخططات المدن الإسلامية الأولى التي شيدها المسلمون، والأخبار المتعلقة بذلك، على خاصية عمرانية ميزت المدينة الإسلامية، اقتضت مجاورة دار الإمارة (بمعناها الإداري ورمزيتها السيادية)

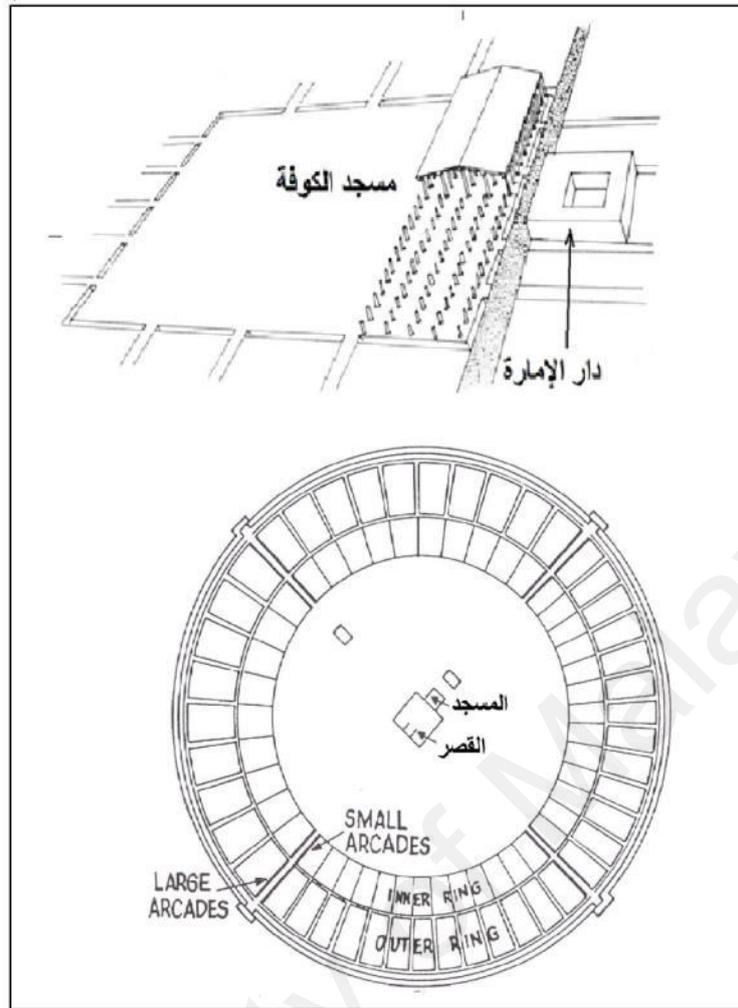
للمسجد الجامع، مثل دار عمرو بن العاص في مدينة الفسطاط التي كانت شرقي مسجدها الجامع ومجاورة له⁽¹⁾، ودار الإمارة في الكوفة، ومن بعدها قصر الخلافة في بغداد التي أسسها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (145هـ/762م)⁽²⁾ (انظر الشكل 4.33).

فهذا الإجراء التخطيطي يتيح للمجتمع سهولة الاتصال بإدارة المدينة، وفي الوقت نفسه، يتيح لإدارة المدينة الاطلاع عن قرب على أحوال الأهالي، كما أن هذا الموقع في ظل المسجد، وسماع القائمين على شأن المدينة للأذان باستمرار كفيل—في أحد وجوهه—أن يذكرهم دائماً بالله، ويكون أدعى لتحري العدل والحق مع الرعية.

University of Malaya

(1) خالد مجّد عزب، *تخطيط وعمارة المدن الإسلامية*، (الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1997م)، ص60.

Jeremy John, 'The House of prophet and the concept of the mosque, in: Jermy Johns (2) (editor), *Bayt Al-Maqdis Jerusalem and early Islam*, UK: Oxford University press, (1999), pp.86-87.

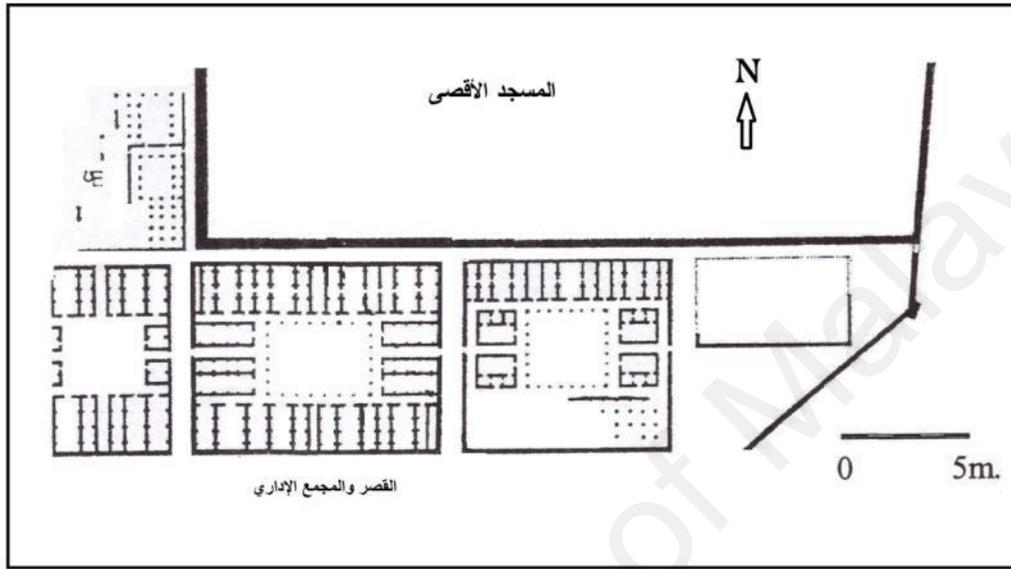


شكل 4. 33: الأعلى: مجاورة دار الإمارة للمسجد الجامع في مدينة الكوفة، الأسفل: مخطط مدينة بغداد ويظهر فيه

مجاورة القصر بالمسجد. المصدر: Jeremy John, 'The House of prophet, pp.86-87.

وفي حالة مدينة بيت المقدس يمكن القول أن المخطط المسلم، قد حقق تلك الخاصية التي ميزت المدينة الإسلامية، فحسب ما دلت الاكتشافات الأثرية (1968-1974) عن وجود المجمع الإداري العائد للفترة الأموية جنوبي المسجد الأقصى، وهو مكون من ست وحدات معمارية، ولا يفصل بين المجمع والمسجد سوى شارع مبلط (انظر الشكل 4. 34، 4. 35)، وقد لوحظ الحرص على ربط تلك المباني بالمسجد من خلال البوابات النفقية كالباب الثلاثي والمزدوج، التي لا بد أنها كانت في اتجاهين أي تستقبل

أصحاب الحاجات القادمين من المسجد، وكذلك تنقل الناس والموظفين إلى المسجد، وقد وردت في المصادر إشارة إلى قيام الخدم الموكل بصيانة المسجد الأقصى والصخرة المشرفة باستعمال "حمام سليمان بن عبد الملك"، قبل العبور إلى المسجد لتطيب الصخرة، ولا بد أنهم استخدموا هذه البوابات التي في مستوى المجمع الإداري.



شكل 4. 34: مجاورة المجمع القصر والمجمع الإداري الأموي للمسجد الأقصى. (المصدر: الباحث)



شكل 4. 35: صورة تبين المسافة بيت القصر الأموي (يمين) وحائط لمسجد الأقصى الجنوبي (يسار).

المصدر:

http://www.islamichistoryandtravel.com/jerusalem_archaeological_park_photos.html

- تحقيق الاتصال بين مرافق المدينة.

وتسميها بعض مراجع التخطيط الحضري (الوصولية)، والمقصود بذلك أن تكون شبكة الطرق في المدينة قادرة على تحقيق وظيفتها بأن تصل أجزاء المدينة ببعضها، بطريقة مريحة، وهي من مسئولية إدارة المدينة في المقام الأول، على مستوى تحديد محاور الحركة، وتجهأتها لتحقيق خاصية سهولة الحركة داخل المدينة، ولا يكون هذا الأمر شاقا عليهم، وهو معدود من جملة حقوق الرعية على الإمارة، وهي خاصية موجودة في الفكر والسلوك الإسلامي لتخطيط المدينة منذ زمن مبكر، ولا أدل على ذلك من حديث النبي ﷺ: "وتميط الأذى عن الطريق صدقة"⁽¹⁾، وما يحمله هذا الحديث من مفهوم يتجاوز إمطة الأذى عن الطريق إلى تعبيدها كمسئولية الحاكم، التي أكدها الموروث التراثي والثقافي الإسلامي، حتى أنها عدت من

(1) البخاري، صحيح، ج3، ص133، الإمام مسلم، صحيح، ج2، ص699.

واجبات الحاكم إذ ما أراد أن يبني مدينة "أن يقدر طرقها وشوارعها، حتى تتناسب ولا تضيق"⁽¹⁾، وهي من الخصائص التي يلمسها الدارس لعمران المدينة الإسلامية، من الانتقال التدريجي في الطرقات بين الشوارع العامة إلى الطرقات المتوسطة إلى الأزقة المخصصة للمشبي، التي روعي في تصميمها تحقيق الظلال والاتصال البصري، فضلاً عن الشعور بالدفء في المجاورات وتشكيل المجتمع المتجاور المتعارف، دون أن يعتدي على خصوصية الآخر⁽²⁾.

وفي مدينة بيت المقدس، لم يكتف المسلمون بشبكة الطرق السابقة لعهدهم، بل كشفت حفريات (1968-1974) عن شارعين مبلطين كان الأول ملاصقاً للجدار الغربي للمسجد الأقصى والثاني ملاصقاً للجدار الجنوبي، والتقيا في الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد الأقصى، واستمر الشارع الغربي في السير من الشمال إلى الجنوب بينما سار الشارع الجنوبي من الشرق إلى الغرب، ابتداءً من الباب المزدوج حتى جبل صهيون (Western Hill) الأمر الذي قاد المستكشفين إلى نتيجة مفادها أن هذه المنطقة (الجزء الجنوبي الغربي من المدينة) تم إشغالها بإقامة أحياء سكنية عليها كمنطقة للتوسع السكاني، تم نسبة هذين الشارعين إلى الفترة الأموية لأنهما ينتميان لنفس فترة تشييد المجمع الإداري وخصوصاً القصر الكبير (II) .
ومراجعتنا لنص المقدسي عن أبواب المدينة، يذكر أن أحد هذه الأبواب يسمى باب البلاط⁽³⁾،
أي قصر الحكم، مما يدل على اتصال تلك البوابة بالمجمع الإداري الأموي، عبر هذا الشارع الجديد.

وقد روعي في تصميم وتنفيذ تلك الشوارع طبوغرافية المدينة التي قامت على جبال أربعة، فكانت تسير نحو الأودية، وقد استفادت المدينة من هذه الخاصية في موسم الأمطار، دلّ على ذلك ما ذكره الأسقف أركولف (Arcoulf) بأن مياه الأمطار كانت تجرف القاذورات من شوارع المدينة باتجاه

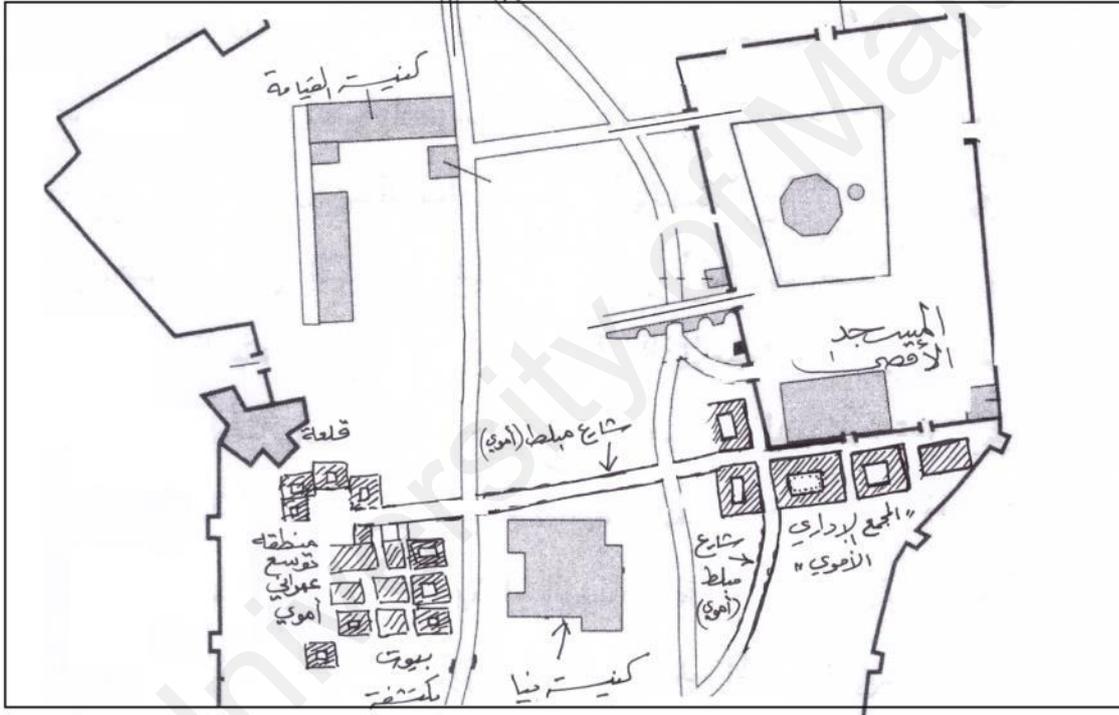
(1) ابن أبي الربيع، سلوك المالك، ص 107.

(2) كامل كاظم الكناني، تخطيط المدينة العربية الخصوصية والحداثة، في: مجلة المخطط والتنمية، المعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، ع 16 (2006)، ص 85-107.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 167.

المنحدرات ثم الأودية، وهكذا تغدو المدينة نظيفة⁽¹⁾، كما أشار إلى هذه الخاصية لشوارع مدينة بيت المقدس، الرحالة والجغرافي المقدسي (ت: نحو 380هـ/ 990م)⁽²⁾.

وتميزت طرق المدينة بأنها رفيعة ومخصصة للمارة، مما ساعد على توفير الظلال المريحة للمشاة وتخفف درجة حرارة الجو، بمنع سقوط أشعة الشمس المباشرة على المارة خصوصاً أيام الصيف، كما أن الطرق المخصصة للأسواق مفتوحة على بعضها لتسهيل الاتصال من سوق لآخر، وكان أي شخص أن يقطع جميع طرق بيت المقدس في وقت قصير، وأن يقضي احتياجاته سيراً على الأقدام دون تعب أو ملل⁽³⁾.



شكل 4. 36: الطرق المحدثه في صدر الإسلام (المصدر: الباحث)

(1) Wright, Early Travels, p.1

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص168.

(3) حسن محمد نعيبر، خصائص العمارة والزخرفة، ص83.

- مراعاة خصوصيات السكان واحتياجاتهم.

يقاس مدى نجاح العمران في المدينة بمدى مناسبتها لتنوع الخلفيات الثقافية والدينية لسكان المدينة، وقدرته على مراعاة تلك الاختلافات⁽¹⁾. لأن المطلوب من المدينة أن تكون لجميع سكانها، وليس لفئة دون أخرى، وهي بذلك تقترب من تحقيق مفهوم العمران البشري كما يعرفه ابن خلدون "خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم"، ويشتق من فهمه هذا تعريفاً للعمران الحضري فيعرفه بأنه: "التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات"⁽²⁾، ومن المفهوم ما يقتضيه اللفظ "التساكن" من "السكينة" التي تتحقق - في أحد وجوهها - بالشعور بالخصوصية الاجتماعية لكل فئة من المدينة، وربما يجد المرء صدقاً لهذه الخصوصية الاجتماعية ليس بين المسلمين والنصارى فحسب، بل بين المسلمين أنفسهم، فعندما شرع عمرو بن العاص ببناء مدينة الفسطاط، قُسمت الخطة (الأحياء) حول المسجد، "وفصلوا بين القبائل"⁽³⁾.

وفي حال مدينة مثل بيت المقدس، شهد تركيبها الاجتماعي تنوعاً، نتج في أحد أسبابه عن اختلاف أديان سكانها، وبالتالي اختلفت خصائصهم الاجتماعية والثقافية والدينية، ويمكن الملاحظة أن المسلمين لم يغفلوا هذا الجانب في تعديل تخطيط المدينة وتخصيصات استعمال الأراضي بالمفهوم الحديث، تلبية تلك الخصوصيات، والتي كان للمسلمين النصيب الأكبر منها، إذ كانوا المكوّن الاجتماعي الأحدث على المدينة، ويمكن تلمس ذلك باستحداثهم مقبرة الرحمة التي جاء موقعها ليحقق معيارين: الأول: تحقيق رغبة المسلمين بمجاورة المسجد الأقصى أحياءً وأمواتاً، والمعيار الثاني أن تكون المقبرة خارج أسوار المدينة.

(1) محمود حميدان قديد، التخطيط الحضري ودور التشريعات التخطيطية في النهوض بعملية التنمية العمرانية، (رسالة ماجستير غير مطبوعة، الأكاديمية العربية، الدنمارك، 2010)، ص 31-32.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 53.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 65.

وفي الجانب الاقتصادي، دلَّت النصوص أن عمر بن الخطاب قام بتخصيص منطقة لسوق المسلمين جاء موقعها بين سوقى المدينة السابقين للفتح الإسلامي، ويكون هذا السلوك التخطيطي مبرراً في إطار عملية التمكين الاقتصادي للسكان الجدد، فضلاً عن الاحتياج الفعلي للمدينة لأسواق جديدة بعد أن استقبلت زيادة سكانية جديدة، وفي هذا الأمر، ينقل ابن المرجى "أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - لما فتح بيت المقدس، وقف في رأس السوق في أعلاه، فقال: لمن هذا الصف؟ يعني: صف سوق البزازين، فقالوا: للنصارى. قال: لمن هذا الصف الغربي الذي فيه حمام السوق؟ فقالوا: للنصارى. فقال بيده هكذا: هذا لهم، وهذا لهم، يعني: النصارى، وهذا لنا مباح. يعني: السوق الأوسط الذي بين الصنفين"⁽¹⁾. ورغم أنه يصعب في الوقت الحالي تحديد موقع تلك السوق الجديدة لدراسة علاقتها بالمخطط العام للمدينة، إلا أن الوصف المذكور يفيد بأن تخصيص السوق جاء في وقت مبكر من دخول المدينة عصرها الإسلامي، مما يعني إدراك القائمين على أمر المدينة أهمية السوق في التوزيع الحضري للمرافق، وهو -في الفكر الإسلامي- من صلب اختصاصات أعلى هيئة للمدينة كما يذكر ابن أبي الربيع في رسالته: "ويجب على من أنشأ مدينة... أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها، ولينال سكانها حوائجهم من قرب"⁽²⁾.

- المقياس الإنساني.

كشفت دراسات المدينة الإسلامية وعمرائها، أن المقياس الذي قامت عليه المدينة هو "الإنسان"، في البعد الحسي (القياس)، وكذلك من حيث أنه روح وتاريخ، كما أنه كائن اجتماعي، وهو الأمر الذي فطن له مخطوطو المدن الحديثون فصاروا ينادون بما يسمى "المنظور الإنساني"، أي إعطاء المدينة المظهر الذي ينم عن ماضي الإنسان وأصالته، وهي من الخصائص الثابتة التي لا يملك الإنسان الاستغناء عنها، وذلك

(1) ابن المرجى، فضائل، ص70.

(2) ابن أبي الربيع، سلوك المالك، ص107.

أن الإنسان مهما اختلف طباعه، يبقى بحاجة إلى التعاطف مع محيطه الذي يرتبط بنموذج معين، وهذه الحاجة عميقة وجوهرية⁽¹⁾.

وفي عمران بيت المقدس، يمكن تلمس هذه الخاصية في المظهر العام للعمارة الجديد، في قياسات الشوارع الداخلية وأبعادها التي أشار لها المقدسي بأنها كانت "أزقة"، كما يمكن تلمس خاصية المقياس الإنساني بمراعاة ارتفاعات المباني التي كانت تتناسب مع طول الإنسان وخصائصه البصرية، فلم تشهد المدينة ارتفاعات شاهقة للمباني لا تناسب المقياس البشري لسكانها وزوارها، كما كانت أبعاد الفتحات من أبواب وشبابيك مناسبة للمقياس البشري، وكذلك أبعاد الفراغات ومساحات الغرف والقاعات حتى في القصر والمرافق الأخرى التي تم اكتشافها جنوب المسجد الأقصى.

- ربط المدينة بالدولة (الخلافة).

وهي من الخصائص التي تحدد أهمية المدينة بالنسبة للنظام السياسي القائم، ومدى اهتمامه بها وقدرته على الوصول لها، وهذه الخاصية العمرانية يزداد وضوحها في العمران الإقليمي، الذي يدرس علاقات الوحدات العمرانية (المدن) ببعضها، وبالنسبة لمدينة مثل بيت المقدس، فيمكن استشعار أهمية هذه الخاصية في مستويين، المستوى الديني والمستوى السياسي.

بالنسبة للمسلمين، فالمسجد الأقصى يمثل أحد الأماكن المنصوص على زيارتها وشد الرحال لها، مما نتج عنه حركة زيارات وانتقال إلى المدينة رغبة في مجاورة المسجد الأقصى، والإقامة في الأرض المقدسة، أما بالنسبة للمسيحيين، فدلّت وقائع رحلة الحاج الفرنسي الأسقف أركولف (Bishop Arculf) لبيت المقدس في أوائل عهد الدولة الأموية، وتحديدًا عام (50هـ / 670م)، ما كانت تتمتع به المدينة من حركة

(1) عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1979م)، ص 117-118.

نشطة للحجاج المسيحيين والتجار والقصّاد من شتى بقاع الأرض، ولا أدل على ذلك من الموسم التجاري الذي كان يقام في منتصف شهر ديسمبر من كل عام، ويقصده الناس من كل البقاع والأجناس، فضلاً عن هذه الحركة التجارية، كان عامل حج المسيحيين إلى كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس المقدسة التي انتشرت في المدينة وحولها، مثل كنيسة الجلجثة، وكاتدرائية قسطنطين، وكنيسة القديسة مريم⁽¹⁾.

أما من الناحية السياسية والإدارية فكانت بيت المقدس عاصمة لجند فلسطين، وعاصمة إقليمية، تشكل الثقل المقابل لمدينة دمشق عاصمة الخلافة، الأمر الذي دعا الخليفة عبد الملك بن مروان تعزيز محور دمشق - بيت المقدس، من خلال أمرين؛ الأول: تهيئة المدينة بإقامة النزل للحجاج والحمامات العامة⁽²⁾، والثاني: تهيئة الطرق المؤدية للمدينة وتعبيدها، دل على ذلك ما عثر عليه المنقبون من صوى⁽³⁾ الأميال (Milestone) حملت اسم الخليفة عبد الملك، تبين المسافات بالأميال بين دمشق وبيت المقدس (إيلياء)⁽⁴⁾، وحجارة الأميال بالعموم عبارة عن إشارات حجرية توضع على طريق المسافرين، مدون عليها المسافة بين نقطتين، وقد شاع استخدامها في العصر الروماني⁽⁵⁾.

وتحتفظ المتاحف العالمية مثل متحف اللوفر بباريس، ومتحف الفنون الإسلامية والتركية بإسطنبول ببعض حجارة الأميال الخاصة بطريق دمشق إيليا (بيت المقدس). وقد وثق المؤرخ ودارس النقوش الأثرية العربية، السويسري ماكس فان برشيم (Max Van Berchem)، أحد هذه الحجارة الذي عثر عليه المنقبون عام 1893م، في منطقة باب الواد على طريق الرملة، مكتوب عليه "[أمر بعمارة هذه] الطريق

(1) Wright, Early travels, p.1

(2) كارين أرمستروج، القدس، ص408.

(3) الصوى: ما نُصِب من الحجارة ليُستدَلَّ به على الطريق. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص471.

(4) Sharon, M., Corpus Inscriptionum Arabicarum Palaestinae (CIAP).: D-F. Volume three, BRILL, 2004, pp.97-101; Johns,J., Archeology and the history of early Islam: The first seventy years, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 46, No. 4 (2003), pp. 411-436

(5) السلامين، معجم المصطلحات الآثارية المصور، (د.م، دار ناشري للنشر الإلكتروني، د.ت.)، ص162.

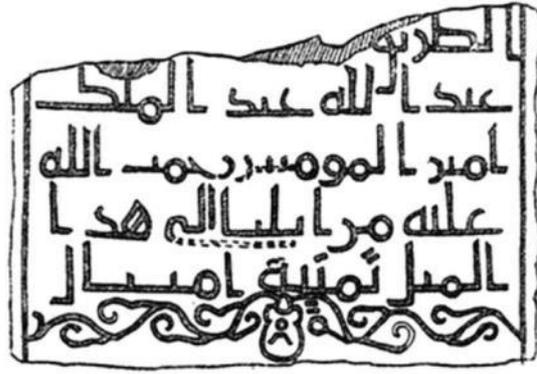
[وصنعة الأميال] عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين رحمة الله عليه من إيليا إلى هذا الميل ثمانية أميال"،
 والعبارات التي بين مقرتين [] مفقودة من النقش نظراً لكسر في الجزء العلوي من البلاطة، وتم استعارتها
 من حجارة أميال أخرى، مماثلة في أسلوب الخط (كوفي غير منقوط) والزمن (اسم الخليفة عبد الملك).
 (انظر الشكل 4. 37)، كما أثبت المؤرخ المقدسي عارف العارف أربعة أخرى من تلك الحجارة
 والنقوش⁽¹⁾، كان منها البلاطة التي عثر عليها المنقبون عام 1884م، في خرائب "خان الخثورة" على طريق
 أريحا، (أبعادها: 40سم طولاً، 30سم عرضاً، وبسماكة 9سم)، مكسور منها الجزء العلوي، ونصها: "...
 وسلم أمر بعمارة هذه الطريق وصنعة الأميال عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين رحمة الله عليه من دمشق إلى
 هذا الميل تسعة ومائة ميل". وهي محفوظة الآن في متحف إسطنبول⁽²⁾. ومنها استفاد الباحث في إكمال
 النص المفقود من "حجر باب الواد- ماكس فان برشيم".



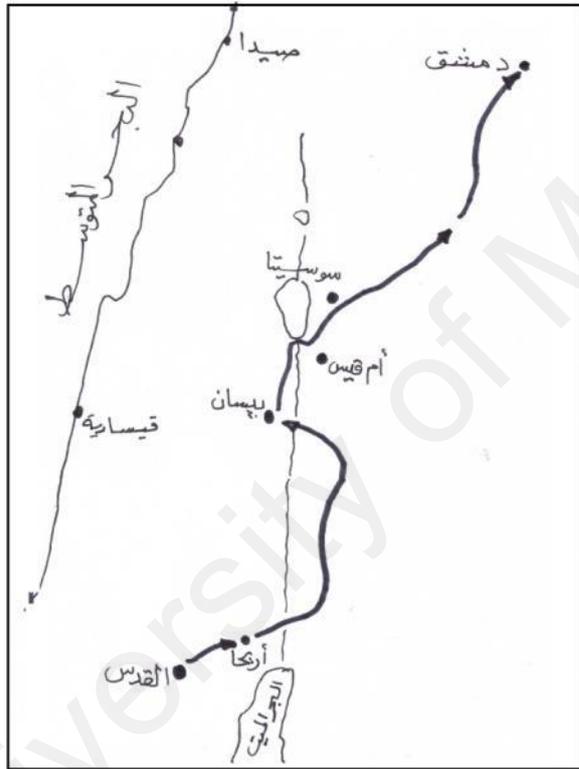
شكل 4. 37: لوح حجري محفوظ في متحف اللوفر بباريس، عبارة عن نقش بالخط الكوفي البسيط على واحد من
 صوى الأميال، ويمكن قراءة التالي: الطريق... عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين رحمة الله عليه من إيليا إلى هذا الميل ثمانية
 أميال.

(1) انظر: ملحق 6.

(2) العارف، المفصل، ص 114.



شكل 4. 38: تجريد كتابي للنقش.



شكل 4. 39: الطريق بين دمشق وبيت المقدس. المصدر: الباحث

وخاتمة القول في هذا الفصل، أن مجموعة من الخصائص قد ميزت مدينة بيت المقدس في صدر الإسلام، سواء على مستوى العمارة أو العمران في المدينة ككل، وفي مجملها أشارت إلى قدرة المسلمين على تكوين مدرستهم المعمارية وأسلوبهم الإنشائي الخاص بهم، بحيث استطاعوا توظيف تصوراتهم وفهمهم وفلسفتهم بالإضافة لخبراتهم والخبرات المحلية التي احتكوا بها، لينتجوا عمارة ذات هوية وأسلوب

تدل عليهم وعلى شخصيتهم، كما دلَّ على ذلك عديد النماذج التي تم دراستها في هذا الفصل إن كان على صعيد الشكل أم الهيكل أو الأصول، وحتى الفنون الزخرفية التي عكست روح الفن التصويري وفلسفته في ذلك العصر.

أما على مستوى العمران والتخطيط الحضري فقد سجلت بيت المقدس نجاحاً في إضافة بصمة حضارية وفلسفية على نسيج المدينة، رغم التحديات التي واجهت المسلمين، وتم ذلك دون إيذاء الإرث العمراني السابق، وبذلك يكون الفتح الإسلامي قد سجل سابقة حضارية على من سبقوه ومن لحقوه⁽¹⁾ في الحفاظ على التراث العمراني، وأضاف مساهمته العمرانية دون أن يعتدي أو يلغي حالة العمران القائمة. وقد تميز النسيج العمراني للمدينة في صدر الإسلام، بأنه حقق خصائص العمران الأمثل للمدن الإسلامية، من محورية المسجد بالنسبة للمدينة، وربط دار الإمارة وملحقاتها بالمسجد، وتحقيق الوصلية وإقامة المرافق المتعددة لإسعاد سكان المدينة، فضلاً عن ربط المدينة بما يحيط بها، كل هذا وقد راعى المقياس الإنساني في الأبعاد والأحجام.

وعليه، يمكن القول أن مدينة بيت المقدس في صدر الإسلام قد شكلت حالة نموذجية في عمارة وتخطيط المدن الإسلامية.

(1) شهدت بيت المقدس بعد قرون من الفتح الإسلامي، احتلالين آذوا عمرانها ونسيجها الحضاري التراكمي، تمثل الأول في الاحتلال الصليبي عام (492هـ/1099م - 583هـ/1178م)، ما مارسه من هدم وطمس لمعالم عمرانية إسلامية، ومن بعده الاحتلال الإسرائيلي عام (1967م - الآن) الذي أعقبه إزالة أحياء أثرية كاملة وإزالة طبقات حضارية وطمس للمعالم ومسيرة طويلة من إجراءات التهويد التي طالت العديد من المعالم والآثار والمواقع التاريخية.

الختامة

وقفت هذه الدراسة على الأحوال العمرانية والمعمارية لمدينة بيت المقدس في صدر الإسلام وبحث في العوامل التي أثرت فيها من النواحي السياسية والاجتماعية، مبتدئة بالتعرف على المدينة وطبيعتها نشأتها وعمارتها في سياقه التاريخي والحضاري، وكيف تفاعلت العوامل مجتمعة لتشكيل عمران وعمارة المدينة في صدر الإسلام، ثم حددت الدراسة خصائص هذا العمران والعمارة، وفي ختام هذه الدراسة، يمكننا القول أن الدراسة قد توصلت إلى جملة من الحقائق والنتائج، كان أهمها التالي:

تشكلت مدينة بيت المقدس كمدينة عربية، وارتبطت بها القداسة منذ عهدها الأولى، مع وضع المسجد الأقصى على أرضها، وارتبط تاريخها بالأنبياء كإبراهيم وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام، لكن ذلك لم يحصنها من الاعتداءات والفتوح المتكررة، فقد تعرضت خلال عهدها الطويلة السابقة للإسلام إلى حالة من تكرار اندثار الهوية المعمارية نتيجة غزوات الفاتحين للمدينة وتدميرها في كثير من المرات، بشكل كامل، مما أفقدها ميزة البناء التراكمي للهوية المعمارية، لكنها بلغت شأناً عالياً مكانةً وعمارةً بين المدن في العهد البيزنطي قبل الفتح الإسلامي.

واحتلت المدينة حيزاً كبيراً في وجدان العرب قبل فتحها، وقد عزز ذلك الإسلام متجلباً في رحلة الإسراء والمعراج، ومجموعة الأحاديث والمواقف التي أشارت إلى فضلها وقداستها، حتى أمكننا القول أن المسلمين قد فتحوا المدينة بقلوبهم قبل أن تنطلق خيولهم لفتحها وتحريرها من البيزنطيين، فلما جاء الفتح الإسلامي، كان تعامل المسلمين الفاتحين مع بيت المقدس مختلفاً عما سبقهم من الفاتحين للمدينة في جميع عصورها، سواء في النواحي السياسية أو الاجتماعية أو العمرانية، ففي حين حافظوا على حقوق السكان وأموالهم، وحرّياتهم الدينية والاجتماعية، لم يتم تغيير وجه المدينة الحضاري والعمراني، بل حافظوا على المدينة وعمارتها.

وقد ارتقت مكانة مدينة بيت المقدس سياسياً خلال صدر الإسلام، فقدم الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه لفتحها، وما تلاه من إجراءات إدارية بحق المدينة، ومعاملتها كجند أو إقليم واتخاذها عاصمة، نبّه لمكانتها في تفكير وسلوك الخلفاء الراشدين، وفي العهد الأموي تعززت تلك المكانة وتعددت مظاهرها سواء بتلقي الخلفاء البيعة في مسجدها، وحرصهم على زيارتها، وإقامتهم بها، أو تولية إمارتها لأمراء البيت الأموي، فضلاً عن اتخاذها عاصمة للخلافة في بعض الأوقات.

أما اجتماعياً، فقد شهدت المدينة تحولات اجتماعية تمثلت في قدوم آلاف المسلمين للسكن فيها ومجاورة مسجدها الأقصى، لكن هذه الزيادات السكانية لم تؤثر على النسيج السكاني، بل تسامح الفاتحون مع السكان السابقين، وقد نظمت تلك العلاقة من خلال العهدة العمرية، والإجراءات الإدارية الواضحة التي ضمنت العدالة بين مكونات المجتمع.

وقد انعكست جملة التغيرات الاجتماعية والسياسية على عمارة وعمران المدينة بشكل مباشر، فشرع المسلمون في تقديم إسهامهم العمراني والحضاري متقيدين بتعاليم الإسلام، والعهدة العمرية، وتصوراتهم ومفاهيمهم، ورغبتهم في التعبير عن ذواتهم، فظهرت المنشآت المعمارية الدينية والإدارية والعامّة، فتم تهيئة منطقة المسجد الأقصى وأقيم فيها الجامع القبلي باتساعه وأروقته المتجاورة، وقبة الصخرة بعظمتها وتناسبها وجمالها، كذلك قبة السلسلة بتصميمها الجميل وتوسطها للمسجد الأقصى، والبوابات الكبيرة والجميلة، وأقاموا المجمع الإداري بجوار المسجد بما احتواه من مبانٍ كبيرة ومتعددة، وأقيمت الأسواق والحمامات والنزل، وأنشئت النظم المائية، بما يتناسب مع احتياج المدينة ومكانتها الدينية.

وقد أبدع المعماري المسلم في إيجاد حلول معمارية للمنشآت، وفي تطبيق أساليب الاستفادة القصوى من المساحات والطبوغرافية، بإقامة المنشآت متعددة الأغراض مثل التسويات التي استخدمت كفراغات وظيفية، كالبوابات الجنوبية والتسوية الشرقية (المصلى المرواني).

يمكن القول بأن المسلمين قد نجحوا في تلبية احتياجاتهم العمرانية والمعمارية التي انطلقت من نظرهم للمدينة باعتبارها مدينة مقدسة، ومن نظرهم للإنسان واحتياجاته الروحية والبدنية كمحور العمران، دون الإضرار بالإرث الحضاري والمعماري للسابقين، بل استطاعوا أن ينتجوا عمارة تبث الفخر في نفوس سكان المدينة، وتمنحهم الثقة بدينهم وقدرتهم على المنافسة في المجال الحضاري.

ومن النتائج التي توصلت لها الدراسة أن الهوية المعمارية الإسلامية لبيت المقدس قد تشكلت في فترة مبكرة من عهد المدينة الإسلامي، عقب الفتح مباشرة، حين ابتدأ الخليفة عمر بن الخطاب بتحديد المسجد وإقامة الجامع الأول فيه (جامع عمر)، متأثراً بالخصائص الشكلية والوظيفية للمسجد النبوي، وهو الأمر الذي تأكدت خصائصه ومعاله في العصر الأموي في مرحلة إعمار المسجد الأقصى ودار الإمارة وباقي المرافق.

وباستخدام المنهجين التاريخي والمعماري في دراسة منشآت بيت المقدس في صدر الإسلام أمكن تقديم تفسيرات، وترجيحات، وآراء جديدة، حول مسائل تاريخية تتعلق بقضايا التطور العمراني لمدينة القدس، فصّلت في مواضعها من الدراسة، وإجمالاً، أمكن إثبات أن بيت المقدس كانت عاصمة لفلسطين منذ أيامها الأولى في العهد الإسلامي، دلّ على ذلك وجود دار الإمارة، كما استطعنا تقديم أدلة قوية على اختراع دور كعب الأحبار أو الراهب صفرونيوس في اختيار موقع الجامع القبلي، كما تم كشف الالتباس في نسبة بناء الجامع القبلي لعبد الملك بن مروان تارة وللوليد تارة أخرى، وذلك بالترجيح بأن البناء كان في عهد عبد الملك، أما الوليد فكان جهده ترميماً وزخرفة، وكذلك تقديم تفسير لسبب إنشاء قبة السلسلة، بالنظر إلى هيكلها وطبيعتها وموقعها، باستبعاد أن تكون نموذجاً لقبة الصخرة أو بيتاً للمال، وترجيح أنها كانت مظلة ومجلساً للخليفة أو من يقوم مقامه في المسجد، وفي الدراسة تم تنفيذ ورفض رواية يعقوبي التي

زعمت أن بناء قبة الصخرة كان لصرف الناس عن الحج إلى مكة، أما ما يتعلق بالصخرة فقدمت الدراسة قراءة جديدة في فلسفة إنشائها بالاستناد إلى سياقها التاريخي، وتكوينها، وما دُوّن عليها من آيات.

ومن خلال دراسة عميقة للإنتاج المعماري، أمكن الوقوف على خصائص الهيكل والشكل لعمارة بيت المقدس في صدر الإسلام، لتخلص الدراسة إلى أن العمارة الإسلامية في بيت المقدس كانت في المقام الأول عمارة وظيفية، أي تحقق وظيفتها بأفضل الطرق وأنسب المساحات المستخدمة، وفي شقها الثاني كانت عمارة رمزية، كقبة الصخرة وسيطرتها على المشهد العمراني لتلك الفترة، ومجاورة دار الإمارة الأموية للمسجد الأقصى لترمز للاحتضان والسيطرة، وبوابة الرحمة والتوبة التي عبرت عن قوة العصر الجديد في بيت المقدس، أما خصائص الزخرفة فتم رصدتها، وتوضيح قدرة الفنان المسلم على تقديم تجربة جديدة في الفن الزخرفي القائم على التجريد والتنويع والتجديد في العناصر والأفكار، أما خصائص الجذور والأصول لعمارة بيت المقدس فأثبتت الدراسة انطلاق عمارة بيت المقدس من الإرث الحضري العريق الذي تمتع به العرب، وأتى الإسلام فصاغ الملامح الفكرية والنظرية له بإنتاج عناصر معمارية جديدة انطلقت من المسجد النبوي، ثم سارت في تطورها على قاعدة التتابع الحضري.

وفي المجال العمراني، رغم أن المدينة كانت قد تشكلت عمرانياً قبل الفتح، أثبت المسلمون أنهم انطلقوا في إعادة تشكيل المخطط الحضري وبناء نسيجها المعماري، من فكر ونظريات عمرانية مشتركة توحدت عليها المدينة الإسلامية، تمثلت في بيت المقدس بمحورية المسجد بالنسبة للمدينة ولحياة سكانها، ومجاورة دار الإمارة للمسجد لتحقيق معاني الاتصال والرعاية، وكذلك نجح المسلمون في تحقيق الاتصال بين مرافق المدينة، وتلبية احتياجات سكان المدينة ومراعاة خصوصياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية، وإعادة الاعتبار للمقياس الإنساني وتعزيز حضوره في نسيج المدينة، وأخيراً ربط المدينة كوحدة عمرانية بالدولة (الخلافة) في محور دمشق - بيت المقدس.

وخاتمة القول، إن التطور المعماري والعمراني في بيت المقدس في صدر الإسلام، كان واضحاً وناجحاً في قدرته على مراعاة محوري القداسة والإنسان، دون تغليب أي من المحورين على الآخر، ويشكل نموذجاً يمكن الاستفادة منه في تطبيقات معمارية و عمرانية معاصرة، وهو نموذج يحتذى للاستفادة منه في إعادة تأهيل المدينة بعد تحريرها من الاحتلال الصهيوني بإذن الله تعالى.

University of Malaya

University of Malaya

الملاحق

ملحق (1)
وقف تميم الداري

الإقطاع للداريين وهم من لحم

قس ج ١ ص ٢٩٦ - السيرة لزيني دحلان ج ٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ - عمخ ع ٢٩ ب - الضوء الساري لمعرفة خبر تميم الداري للمقريزي ورقة ٨٨ ب (مخطوطة باريس) - قلقش ج ١٣ ص ١١٩ (عن ابن عساكر) - الكتاني ج ١ ص ١٤٤ - ١٥٢ - السيرة الحلبية طبع جديد ٢٤٠/٣ . قابل بع ع ١٢٤٨ (إلى أبي هند الداري) - التمهيد فيما يجب فيه التحديد لتقي الدين السبكي ، دمشق ١٣٧٠ هـ ، بحث إقطاع النبي لتميم الداري - بث ٢١٥/١ - بع رقم ٦٨٠ .
F. Krenkow, Grant of Land by Muhammad To Tamim ad - Dâri, in : Islamica, 1924, I, 529 - 532.

وَفَدَّ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدارِيُّونَ مرتين ، مرةً قبل الهجرة ، ومرةً بعدها . وفي المرة الأولى ، سألوا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرضاً ، فدعا بقطعةٍ من آدم ، وكتب كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ذِكْرٍ فِيهِ ما وَهَبَ [محمد] رسولُ الله للداريين ؛

إذا أعطاه الله الأرضَ ، وَهَبَ لَهُم بيتَ عيون، وحبرونَ ، والمرطومَ وبيتَ إبراهيم ، وَمَنْ فِيهِم إلى الأبد .
شهد عبَّاس بن عبد المطلب ، وخزيمة بن قيس ، وشُرْحِبِيلُ ابن حَسَنَةَ وَكَتَبَ .

(المصدر: مُجَدِّد حميد الحيدر آبادي، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة والراشدة، ص 129-130)

ملحق (2)

نص التحالف بين معاوية وعمرو بن العاص بعد مقتل عثمان

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما تعاهد عليه مُعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وعمرو بن العاص ببيت المقدس من بعد قُتَيْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ وحمل كل واحد منهما صاحبه الأمانة. إِنَّ بَيْنَنَا عَهْدَ اللَّهِ عَلَى التَّنَاصُرِ وَالتَّخَالُصِ وَالتَّنَاصِحِ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالإِسْلَامِ وَلَا يَحْذُلُ أَحَدُنَا صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ وَلَا يَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ وَليجعة. وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ أَبَدًا مَا حِينَمَا فِيمَا اسْتَطَعْنَا فَإِذَا فَتَحَتْ مِصرَ فَإِنَّ عُمَرَ عَلَى أَرْضِهَا وَإِمَارَتِهِ الَّتِي أَمَرَ عَلَيْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَيْنَنَا التَّنَاصِحُ وَالتَّوَاظُرُ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى مَا نَابَنَا مِنَ الْأُمُورِ. وَمِعَاوِيَةَ أَمِيرَ عَلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فِي النَّاسِ وَفِي عَامَةِ الْأَمْرِ حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ الْأُمَّةَ فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ فَإِنَّمَا يَدْخُلَانِ فِي أَحْسَنِ أَمْرٍهَا عَلَى أَحْسَنِ الَّذِي بَيْنَهُمَا فِي أَمْرِ اللَّهِ الَّذِي بَيْنَهُمَا مِنَ الشَّرْطِ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. وَكُتِبَ وَرَدَانِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ".

(المصدر : ابن سعد، الطبقات الكبرى . ج4، ص191-192؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج55، ص27).

ملحق (3)

المساجد في صدر الإسلام

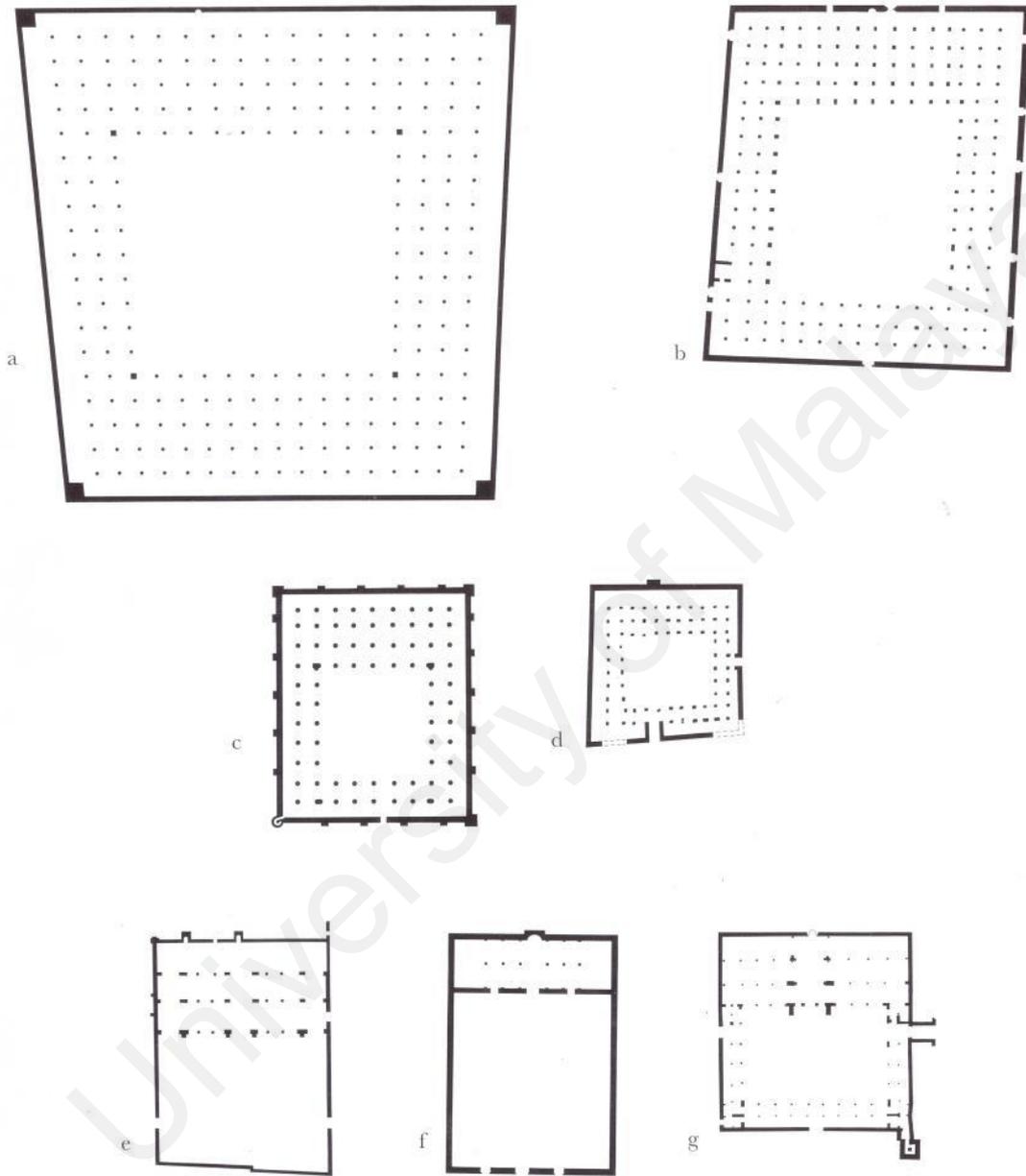
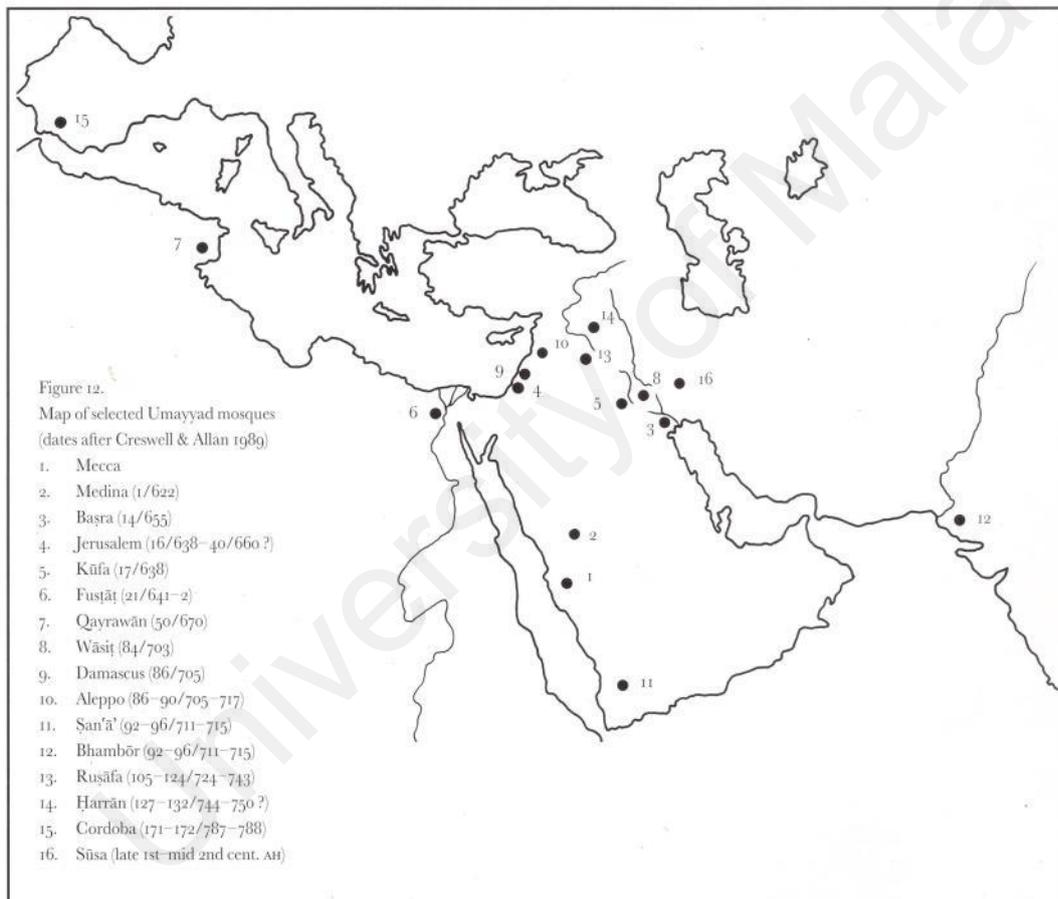
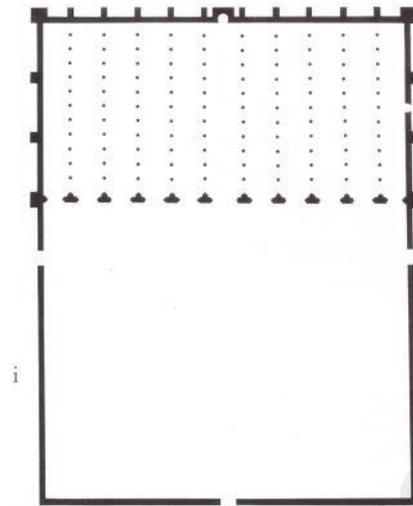
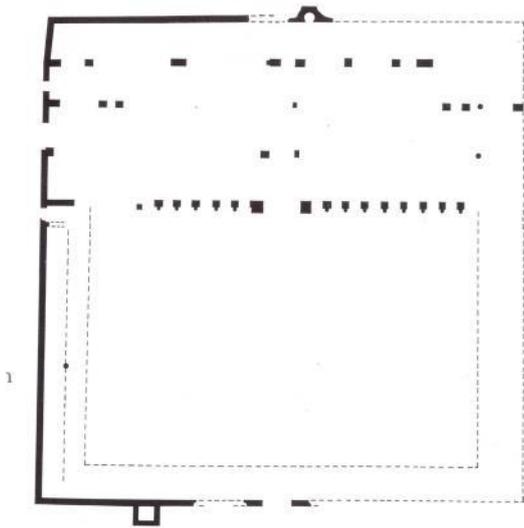


Figure 11. Plans of *jawāmi'* mosques built under Umayyad rule:

- a. Madīna (after Creswell 1969)
- b. San'ā' (after Creswell & Allan 1989)
- c. Sūsa (after Creswell & Allan 1989)
- d. Bhambōr (after Ashfaque 1969)
- e. Ruṣāfa (after Ulbert 1990)
- f. 'Ammān (after Northedge 1992)
- g. Dar'a (after Creswell 1969)
- h. Harrān (after Creswell & Allan 1989)
- i. Cordoba 1 (after Creswell & Allan 1989)

Scale approximately 1:700



ملحق رقم (4)

برديات قرة بن شريك

بردية رقم 1334

في فَعَلَة وِصْنَاعٍ لِلْبِنَاءِ فِي الْقُدْسِ

... فإذا جاك كتابي هذا فأنفذ ما فيه مما هو مدرج في حاشيته، وأرسل مع رسولك الرجال الشبان المذكورين القادرين على أداء العمل. وليأخذوا الطريق البرية إلى القدس، وأعطهم أجرهم ومعيشتهم. وابعث مع رسولك نفسه الذهب لنفقتهم لاثني عشر شهراً ليؤديه عند وصوله مكان البناء. ولا تتوان في إرسال هؤلاء الصناع لئلا يحيق بك الخطر.

كتب في ٢٠ (؟) أمشير، ٨ إندكشن (= ٩١ هـ).

حاشية:

الفَعَلَة: رجلان، لكلّ منهما $\frac{1}{4}$ ديناراً:

الأجر: ٨ دنانير لكلّ منهما. المعيشة: ٨ دنانير لكلّ منهما.

نفقة الطريق: $\frac{1}{4}$ دينار لكلّ منهما.

النَّجَّار: رجل واحد، بقيمة $\frac{1}{4}$ ٢٠ (١):

الأجر: ٨ دنانير.

المعيشة: ٨ دنانير:

نفقة الطريق: $\frac{1}{4}$ دينار.

بردية 1366:

: ١٣٦٦

طلب فَعَلَة وصُنَاع للعمل في القدس .

..... الموجود (؟) للعمل نفسه ... اثنان (٢) من الفَعَلَة ونَجَاراً واحداً ... في القدس لمدة اثني عشر شهراً هذا العام . واثنان من الفعلة ونجار واحد ... وكتبت بذلك كتاباً إلى أهل القُرى، أرسل إليك .

فإذا جاك كتابي هذا فأرسل الفعلة والصانع مع رسولك الأمين، وأمره أن يدفعهم إلى ... أجورهم بالذهب ... هم وأجورهم بمقتضى ما جاء في كتابنا، ... وزودهم ... القرى .

كتب في ١ بابه، (phaophi)، ٩ إندكشن (= ٩١ هـ) .

حاشية:

* اثنان من الفَعَلَة بأجر : ٨ دنانير

* لمعيشتهم : ٨ دنانير

* لطعامهم : $\frac{1}{4}$ دينار

* نَجَّار واحد : ١٥ ديناراً

* لمعيشته : ٨ دنانير

* لطعامه : $\frac{1}{4}$ دينار

: ١٤٠٣

العنوان: في فعلة وصنّاع للقدس.

ذكر بل أنّ هذه الرّسالة هي الوحيدة التي أُشير فيها إلى مسجد القدس، وقد يكون هو نفسه الذي أُشير إليه في البردية رقم (١٣٣٤) و (١٣٦٦).
والمسجد المشار إليه هنا هو دون شكّ المسجد الأقصى الذي يُعزى بناؤه إلى الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٣٨٦-٧٠٥م). ولكنّ بعض المؤرّخين يعزّون بناءه إلى الوليد بن عبد الملك (٨٦هـ - ٩٦هـ).

بسم الله الرحمن الرحيم

من قرّة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوة

فإنّي أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أمّا بعد،

فمعيشة الفعلة والصنّاع لجامع القدس، ودار أمير المؤمنين . . .

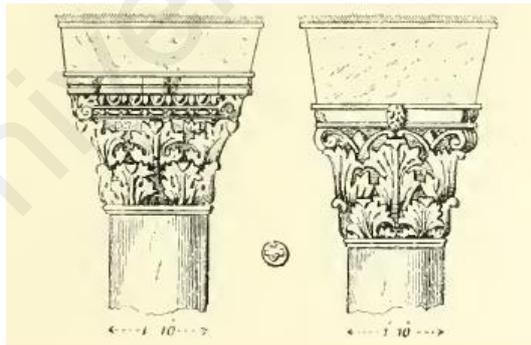
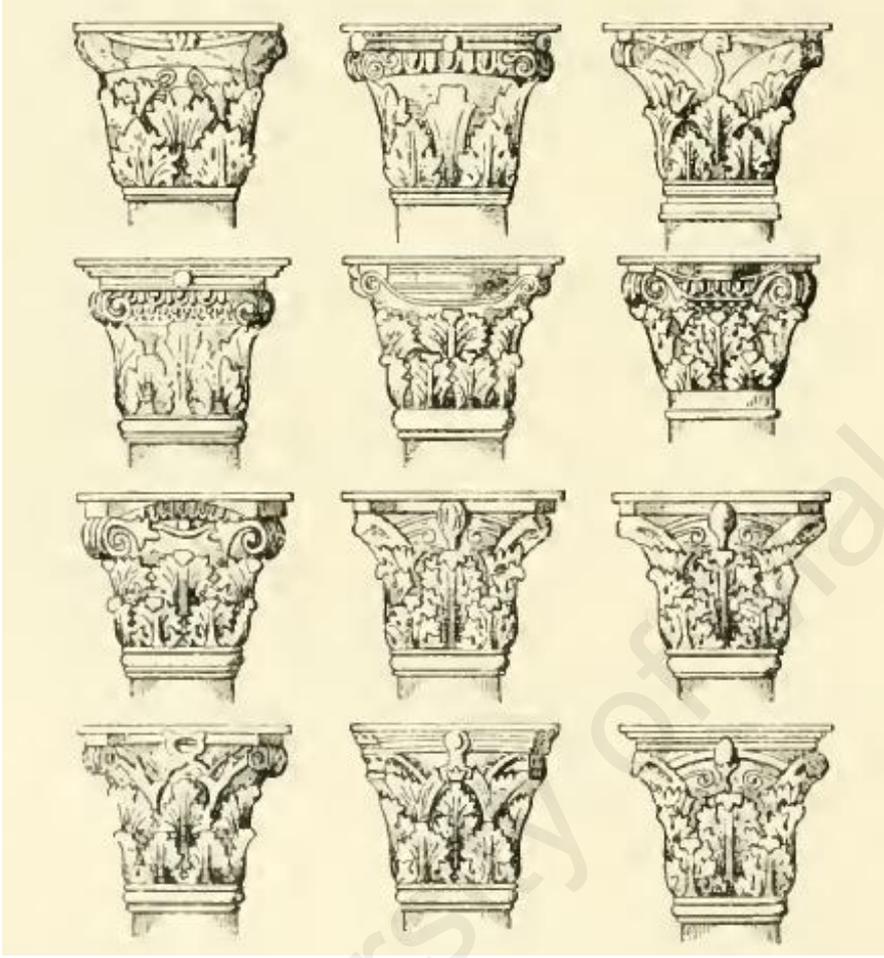
وجاء في العنوان الخارجيّ (على الظاهر):

"قرّة بن شريك بسيل صاحب أشقوة

أرسل مع أبي حسّان البريد في فعلة وصنّاع للقدس.

ملحق (5)

نماذج تيجان أعمدة (Capitals) قبة الصخرة



المصدر: Warren, The survey , pp.246-247.

ملحق رقم (6)

نصوص النقوش على الوجه الخارجي للثمانية الداخلية

The Inscriptions of the Dome of the Rock:

Arabic Text

Outer Face of the Octagon

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد محمد رسول الله صلى
الله عليه*

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله
ان الله وملئكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما*

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده الحمد لله لم يتخذ (5) ولدا
ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا محمد
رسول الله صلى الله عليه وملئكته ورسله والسلم عليه ورحمت الله*

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده ولا شريك له له الملك وله
الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير محمد رسول الله صلى الله عليه
وتقبل شفيعته يوم القيامة في امته*

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله
عليه*

بنى هذه القبلة عبد {الله الامام المأمون امير} المؤمنين في سنة اثنين
وسبعين تقبل (5) الله منه ورضي عنه امين رب العالمين لله الحمد

Inner Face of the Octagon

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير محمد عبد الله ورسوله ان
الله وملئكته (٥) يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا (٥) صلوا عليه
وسلموا تسليما (٥) صلى الله عليه والسلم عليه ورحمت (٥) الله يا اهل
الكتاب (٥) لا تغلوا في دينكم (٥) ولا تقولوا (٥) على الله الا الحق انما (٥)
المسيح عيسى ابن (٥) مريم رسول الله وكلمته (٥) القاها الى مريم
وروح منه (٥) فامنوا (٥) بالله ورسله ولا تقولوا (٥) ثلثه (٥) انتهوا (٥)
خييرا (٥) لكم انما (٥) الله اله وحده سبحانه ان يكون له ولد له ما في
السموت وما في الارض (٥) وكفى بالله (٥) وكيلا (٥) لن

يستنكف (٥) المسيح ان يكون (٥) عبد (٥) الله ولا المليك (٥) المقربون (٥)
ومن يستنكف (٥) عن عبده (٥) ويستكبر (٥) فسيحشرهم (٥) اليه (٥)
جميعا (٥) اللهم صلي على رسولك وعبدك (٥) عيسى ابن (٥) مريم
والسلم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث (٥) حيا (٥) ذلك عيسى ابن
مريم قول الحق الذي فيه (٥) تمترون (٥) ما كان لله تتخذ (٥) من ولد
سبحنه اذا (٥) قضى (٥) امرا قائما (٥) يقول (٥) له كن فيكون ان الله
ربي وربكم (٥) فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٥) شهد الله انه (٥) لا اله
الا هو والملئكة واولوا العلم فيما (٥) بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
ان الذين عند الله الا سلم وما اختلف (٥) الذين اوتوا الكتب (٥) الا من
بعد ما جاهم (٥) العلم بغيا (٥) بينهم (٥) ومن يكفر (٥) باييت (٥) الله
فان الله سريع الحساب

ملحق (7)

عملة عبد الملك ضرب ايليا



Figure 4A: Coin CN_PU31260_OBV, from the collection of Dr. John Wilson



Figure 4B: Coin CN_PU32160_REV, from the collection of Dr. John Wilson

(المصدر :

Tiner, Anna, "A Period of Transition: Early Islamic and Umayyad Coinage" (2014). Pepperdine University, *All Undergraduate Student Research*. Paper 88.

ملحق (8)

نظام التسخين في غرف الحمامات المركزية



المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس - العهد القديم

إبراهيم، معاوية، وزيدان كفاي. العصر الحجري القديم حتى نهاية العصر البرونزي القديم، في: دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، وقائع الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية، (دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع، 2001).

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم مُجَّد بن مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1997م).

ابن الأثير الكاتب، نصر الله بن مُجَّد. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: مُجَّد محي الدين عبد الحميد، (بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1420هـ).

ابن إسحق، مُجَّد بن إسحاق بن يسار المطلي. سيرة ابن إسحق كتاب السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1978م).

الأشقر، أسامة جمعة. مدينة بيت المقدس في القرن الإسلامي الأول، ظلال الصحابة والتابعين وأهل الحكم والديانة في بيت المقدس، (دمشق، مؤسسة فلسطين للثقافة، بيروت، مؤسسة القدس الدولية، ط1، 2012).

أرمسترونج، كارين. القدس مدينة واحدة عقائد ثلاثة، ترجمة: فاطمة نصر، مُجَّد عناني، (القاهرة، سطور، 1998).

أولبرايت، وليم ف. آثار فلسطين، ترجمة: زكي اسكندر، مُجَّد عبد القادر مُجَّد، (مصر، المجلس العلى للشئون الإسلامية، 1971).

الأوني، أبو عبيد البكي. سمط اللاي في شرح أمالي القالي، (بيروت، تصوير: دار الكتب العلمية عن طبعة 1935م).

أيوب، أحمد بن سليمان، وآخرون. موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثة، (قبرص، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، ط1، 2013).

البحيري، صلاح الدين. جغرافية فلسطين، في: جغرافيا فلسطين وتاريخها، (عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، 2003).

البخاري. مُجَّد بن إسماعيل . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه "صحيح البخاري"، تحقيق: مُجَّد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت، دار طوق النجاة، ط1، 2001).

ابن البطريق، أفتيشيوس المكنى سعيد. كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق كتبه إلى أخيه عيسى في معرفة التواريخ الكلية من عهد آدم إلى سني الهجرة الإسلامية، تحقيق: لويس شيخو، (بيروت، مطبعة الآباء اليوسوعيين، 1905م).
البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن مُجَّد. المسالك والممالك، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م).

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود. فتوح البلدان، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988م).
_____، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1996م).

بھادر، شهاب الله. معجم ما ألفت في فضائل وتاريخ المسجد الأقصى والقدس وفلسطين ومدنها، (دبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، 2009).
بھنسي، عفيف. تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار، (دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009).

_____ . فن العمارة والزخرفة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4.
_____ . جمالية الفن العربي، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1979م).
البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني. دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، (دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط1، 1988م).
الترمذي، مُجَّد بن عيسى. الجامع الكبير "سنن الترمذي"، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998).

ابن تغري بردي، يوسف. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت).

الجري، عبد المتعال مُجَّد. أصالة الدواوين والنقود العربية، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1989م).
ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُجَّد. تاريخ بيت المقدس، تحقيق: مُجَّد زينهم مُجَّد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.

_____ . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 12 جزء، تحقيق: مُجَّد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

ابن حبان، مُجَّد. الثقات، (الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1973).

حتى، فيليب. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: حداد، جورج؛ رافق، عبد الكريم، (بيروت، دار الثقافة، 1958).

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُجَدِّد بن أحمد. لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، 1971م).

ابن حنبل، أحمد بن مُجَدِّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (دمشق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001).

الحموي، ياقوت. معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ط2، 1995م).

الحميري، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي، أبو الربيع. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - ﷺ - والثلاثة الخلفاء، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م).

الحميري، مُجَدِّد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980م).

ابن حوقل، مُجَدِّد أبو القاسم. صورة الأرض، (بيروت، دار صادر، 1938).

خاطر، علي حسن. موسوعة القدس والمسجد الأقصى المبارك، (القدس، المجلس العلمي الفلسطيني، ط1، 2004م)، ج1، ص235.

خان، ظفر الإسلام. تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، (بيروت، دار النفائس، ط3، 1981).

ابن خزيمة، أبو بكر مُجَدِّد بن إسحاق. صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. مُجَدِّد مصطفى الأعظمي، (بيروت، المكتب الإسلامي، 1970).

خضر، عبد العليم عبد الرحمن. التطور العمراني لمدينة القدس دراسة في جغرافية المدن، (الرياض، دار عكاظ، 1981).

خطيب، مصطفى عبد الكريم. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996م).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن مُجَدِّد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، ط2، 1998).

_____ . المقدمة،

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُجَدِّد بن أبي بكر بن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، 1900م).

ابن خياط، خليفة الليثي العصفري أبو عمر. تاريخ خليفة، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (دمشق، دار القلم، ط2، 1397هـ).

أبو داود. السنن، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.).

الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، (كفر قرع، دار الهدى، 1991).

الدوري، عبد العزيز. القدس في الفترة الإسلامية الأولى من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر، ضمن: القدس في التاريخ، ترجمة كامل العسلي، (عمان، الجامعة الأردنية، 1992).

_____ . نشأة علم التاريخ عند العرب، (الإمارات، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000م).

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود. الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1960).

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م).

_____ . تاريخ الإسلام، ج6، ص209.

أبو الرب، هاني. تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، (فلسطين، مطبعة المنار الحديثة، ط1، 2002).

رباح، إسحاق. تاريخ القدس عبر العصور، (عمان، كنوز المعرفة، ط1، 2010).

ابن أبي الربيع. شهاب الدين أحمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عا ف عبد الغني، (دمشق، دار كنان، 1996م).

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. الأعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002).

أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب. تاريخ أبي زرعة الدمشقي رواية أبي الميمون بن راشد، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة

الله القوجاني، (دمشق، مجمع اللغة العربية).

الزهري، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001).

سترنج، جون. الملك هيروود وأورشليم: هليئة مدينة مشرقية، في: القدس وأورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، تحرير: توماس ل. تومبسون، سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: فراس السواح،

(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003).

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري. الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م).

السلامين، زياد. معجم المصطلحات الآثارية المصور، (دم، دار ناشري للنشر الإلكتروني، د.ت.).

السلمي، عبد الملك بن حبيب. التاريخ، (بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2008م).

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2000)، ج3، ص259.

سوسة، أحمد. العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، (دمشق، العربي للإعلان والطباعة والنشر، ط2، 1973).

ابن سيده، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي. المحكم واخيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2000).

سيف بن عمر الأسدي. الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق: أحمد راتب عرموش، (القاهرة، دار النفائس، ط7، 1993م)، ص35-183؛

شافعي، فريد محمود. العمارة الإسلامية وماضيها وحاضرها ومستقبلها، (الرياض، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، ط1، 1982م).

شتاينر، مارغريت. حدود متوسعة: تطور أورشليم في عصر الحديد، في: القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، تحرير: توماس ل. تومبسون، سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: فراس السواح، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003).

شراب، محمد محمد حسن. بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة، (دمشق، دار القلم، ط1، 1994).

شعث، شوقي. فلسطين أرض الحضارات، (دمشق، دار الأوائل للنشر والتوزيع وخدمات الطباعة، ط1، 2000).

أبو شمالة، شريف أمين. تاريخ فلسطين في العصر العباسي، (القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، ط1، 2011).

الشهاب المقدسي، شهاب الدين أبي محمود ابن تميم. مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، (بيروت، دار الجيل، ط1، 1994م).

ابن شيث القرشي، عبد الرحيم بن علي. مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس، تحقيق: حاتم عبد اللطيف داود "داود الحمد"، (نابلس، جامعة النجاح الوطنية، قسم التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، 2008م)، ص250.

شيحة، مصطفى عبد الله، المقدسات والمآثر الإسلامية والمسيحية في القدس، (بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي، منشورات أيسيسكو، 1995م).

صالح، محسن. الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الانبياء وحتى أواخر القرن العشرين، (بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط5، 2012).

_____. دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، (كوالالمبور، Fajar Ulung، ط1، 2003)، أبو صفية، جاسر بن خليل، برديات قرّة بن شريك العبسي، (السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2004).

الصلاحي، علي. الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، (بيروت، دار المعرفة، ط2، 2008م).

الضياء المقدسي. مُجّد بن عبد الواحد، فضائل بيت المقدس، تحقيق: مُجّد مطيع الحافظ، (دمشق، دار الفكر، 1988م).

ابن طباطبا، مُجّد بن علي ابن الطقطقا. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (بيروت، دار صادر، د.ت.).

الطبري، مُجّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، (دمشق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م).

_____. تاريخ الرسل والملوك، (بيروت، دار التراث، ط2، 1387هـ).

طه، أحمد يوسف. باب الرحمة والتوبة في القدس الشريف الباب الذهبي في الفترة الإسلامية دراسة تاريخية معمارية، (نابلس، دار الفاروق، ط1، 1999م).

طهوب، نشأت بهجت. العمائر المائية في القدس وعمائرهما في العصور الإسلامية، رسالة ماجستير، (القدس، جامعة القدس، 2000).

طومسون، توماس ل. التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح علي سوداح، (بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، 1995).

_____. هل يمكن كتابة تاريخ لأورشليم وفلسطين؟، في: القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، تحرير: توماس ل. تومسون، سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: فراس السواح، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003).

العارف، عارف. المفصل في تاريخ القدس، (القدس، مطبعة المعارف، ط5، 1999).

_____. تاريخ الحرم القدسي، (القدس، مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، 1947م).

العاملي، بهاء الدين مُجّد بن حسين العاملي. الكشكول، تحقيق: مُجّد عبد الكريم النمري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م).

- عبد الغني، مُجَّد إلياس. تاريخ المسجد النبوي، (المدينة المنورة، ط1، 1996م).
- ابن عبد ربه، أحمد بن مُجَّد بن عبد ربه ابن حبيب. العقد الفريد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ).
- أبو عُبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي. كتاب الأموال، تحقيق: خليل مُجَّد هراس، (بيروت، دار الفكر، 1988م).
- عثامنة، خليل. القدس والإسلام دراسة في قداستها من المنظور الإسلامي، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 2013).
- _____ . فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلامي حتى الغزو الفرنجي (634-1099)، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 2000).
- عثمان. مُجَّد عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988م).
- عراي، رجا عبد الحميد. الكافي في تاريخ القدس دراسة حول تاريخ القدس منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحاضر، (دمشق، دار الأوائل، ط1، 2009م).
- عزب، خالد مُجَّد. تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، (الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1997م).
- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م).
- العش، يوسف. الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها من فتنة عثمان، (دمشق، دار الفكر، ط2، 1985م).
- عكاشة، علي، وآخرون. اليونان والرومان، (إربد، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، 1991).
- علي، عرفة عبده. القدس العتيقة مدينة التاريخ والمقدسات، (القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2007).
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن مُجَّد العسكري الحنبلي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، (دمشق، دار ابن كثير، 1406هـ).
- العويسبي، عبد الفتاح. تقديم بيت المقدس، سلسلة دراسات بيت المقدس (5)، (القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2006م).
- _____ . صناعة التاريخ المستقبلي: نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة وتوجيهها، (الجزائر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، 20113).

عيسى، خالد مطلق. القيم الجمالية وهندسة العمارة في مسجد قبة الصخرة المشرفة وسبل الاستفادة منها في العمارة المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة (غزة، الجامعة الإسلامية، 2011م).

الفاروقي، إسماعيل راجي. أصول الصهيونية في الدين اليهودي، (القاهرة، مكتبة وهبة، 1988).

الفاكهي، مُجَّد بن إسحاق بن العباس أبو عبد الله. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، (بيروت، دار خضر، 1414هـ).

فان برشيم، مارغريت، وسولانج أوري. القدس الإسلامية في أعمال ماكس فان برشيم، ترجمة: عطا الله دهينة وآخرون، (دمشق، دار الشام، 1994م).

أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود. المختصر في أخبار البشر "تاريخ أبي الفداء"، (مصر، المطبعة الحسينية، ط1، 1940م).

فرانكين، هـ. ي. القدس في العصر البرونزي 3000-1000 ق.م، في: القدس في التاريخ، (عمان، الجامعة الأردنية، 1992).

الفرحان، يحيى. قصة مدينة القدس، (د. م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د. ت).

الفرزدق. ديوان الفرزدق، شرح وضبط: علي فاعور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م).

الفسوي، يعقوب. المعرفة والتاريخ، ابن فضل الله العمري. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (نسخة إلكترونية).

ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن مُجَّد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه. البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1996م).

فكري، أحمد. مساجد القاهرة ومدارسها "المدخل" (مصر، دار المعارف، د.ت).

الفني، إبراهيم وطاهر النمري. المسجد الأقصى وقبة الصخرة: التاريخ، العمارة، الأنفاق، الحفريات، الخطط الصهيونية، (رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2001م).

ابن قتيبة، أبو مُجَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. كتاب المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م).

قديد، محمود حميدان. التخطيط الحضري ودور التشريعات التخطيطية في النهوض بعملية التنمية العمرانية، (رسالة ماجستير غير مطبوعة، الأكاديمية العربية، الدنمارك، 2010).

القرطبي، يوسف بن عبد الله بن مُجَّد بن عبد البر بن عاصم النمري. الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي مُجَّد البجاوي، (بيروت، دار الجيل، ط1، 1992م).

القزويني، زكرياء بن مُجَّد بن محمود القزويني. آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، د.ت).

ابن قيم الجوزية، مُجَّد بن أبي بكر. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م).

_____ البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م).

كفاي، زيدان، تاريخ فلسطين القديم، ضمن: جغرافية فلسطين وتاريخها (عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط).

الكندي، محمد بن يوسف. ولاية مصر وقضاؤها، تهذيب وتصحيح: رفن كست، (بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908).

مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات. مسيرة إعمار وإحياء المسجد الأقصى المبارك في صور، (القدس، مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات، د.ت).

مؤنس، حسين. أطلس تاريخ الإسلام، (القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1987م)

الماجدي، خزعل، تاريخ القدس القديم منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الاحتلال الروماني، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005).

_____ المعتقدات الكنعانية (عمان، دار الشروق، 2001).

مجير الدين، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين. الأئمة الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، (عمان، مكتبة دنديس، 1999م).

محاسنة، محمد حسين، وآخرون. تاريخ مدينة القدس، (عمان، دار حنين، ط1، 2003).

ابن المرجى، المشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسي، فضائل بيت المقدس، تحقيق: أيمن نصر الدين الأزهرى، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002).

المرعشي، الحسين بن محمد. غرر السير، تحقيق: د. سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1996م).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. التنبيه والإشراف، تحقق: عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة، دار الصاوي، د.ط، د.ت).

_____ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مصطفى السيد بن أبي ليلة، (مصر، المكتبة التوفيقية، د.ت).

مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ "صحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث، ط2، 1972).

مصطفى، إبراهيم، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار. المعجم الوسيط، (القاهرة، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، د.ت).

المطهر المقدسي، بن طاهر. **البدء والتاريخ**، (بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، 2013م).
مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي. **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحادة،
(بيروت، دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ).

المقدسي، مُجَّد بن أحمد البشاري. **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (ليدن، مطبعة بريل، 1877م).
المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي. **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق:
مُجَّد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م).

المكناسي، إبراهيم بن يحيى. **كتاب فيه فضائل بيت المقدس**، تحقيق: محمود إبراهيم، ضمن: (فضائل بيت
القدس في مخطوطات عربية قديمة، دراسة تحليلية ونصوص مختارة محققة، (الكويت، المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم، ط1، 1985م).

منى، زياد. **مقدمة في تاريخ فلسطين القديم**، (بيروت، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط1، 2000).
المنبجي، أغاببوس بن قسطنطين المنبجي. **المنتخب من تاريخ المنبجي**، انتخبه وحققه: عمر عبد السلام
تدمري، (لبنان، دار المنصور، 1986م).

مندحول جورج. **القدس من 1000-63 ق.م**، في: **القدس في التاريخ**، ترجمة كامل العسلي، (عمان،
الجامعة الأردنية، 1992).

منديل، سارة. **رومة وسوريا والكاهن الأعلى: الأسس الدولية لسلطة الكاهن العلي في دولة - مدينة
أورشليم (175-63 ق.م)**، في: **القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ**، تحرير:
توماس ل. تومبسون، سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: فراس السواح، (بيروت، مركز دراسات
الوحدة العربية، 2003).

ابن منظور، مُجَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي.
لسان العرب، (بيروت، دار صادر، 1414هـ).

ناصر خسرو. **سفر نامه**، تحقيق: يحيى الخشاب، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ط3، 1983).

نجم، رائف يوسف. **الحفريات الأثرية في القدس**، (عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 2009).
_____، وآخرون. **كنوز القدس**، (الكويت، منظمة المدن العربية، ط1، 1983م).

النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. **المجتبى من السنن "السنن الصغرى"**، تحقيق: عبد الفتاح أبو
غدة، (حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط2، 1986).

_____ . **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 2001)،

نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام مُجَّد هارون، (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1382هـ).

نعيم بن حماد المروزي. **الفتن**، تحقيق: سمير أمين الزهيري، (القاهرة، مكتبة التوحيد، ط1، 1412هـ).

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. السيرة النبوية "سيرة ابن هشام"، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1955م).

هيئة الموسوعة العربية، إبلا (تل مردوخ). الموسوعة العربية، مج1، (دمشق، الموسوعة العربية، 1998).
الواقدي، حمد بن عمر بن واقد السهمي. كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس (بيروت، دار الأعلمي، ط3، 1989م).

_____. فتوح الشام، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م).

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر. تاريخ ابن الوردي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1996م).
وزير، يحيى، التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس، (القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 2005).
ولد علي، أمل نمر. الزخارف الإسلامية والعناصر المعمارية في المسجد الأقصى وقبة الصخرة بالقدس الشريف، دراسة تحليلية، (الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، 2009م).
ولكنسون، جون، القدس تحت حكم روما وبيزنطة 63 ق.م - 637 م.م، في: القدس في التاريخ، ترجمة كامل العسلي، (عمان، الجامعة الأردنية، 1992).
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح. تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، (بيروت، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 2001).

الدوريات

صابون، أحمد محمود. القدس أسماؤها بين الحقائق التاريخية وتحديد الهوية العربية، (مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، ع17، 2001)

<http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad17partie5.htm>

الشريف، عبد الله. موقف يهود الشام من الفتح الإسلامي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج16، ع80، ص498-499.

أبو خلف، مروان. التطور المعماري لمدينة القدس في الفترة الإسلامية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع18، (2010).

أبو دية، عدنان. المصلى القبلي في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد الثامن، ع12، (2010).

الخالدي، خالد. الزلازل في بلاد الشام (القرن 1-13هـ/7-19م)، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، مج13، ع1.

أبو ارميس، إبراهيم. قناة السبيل تاريخها وأهميتها وواقعها، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع18، (2010م)، ص 42-64.
علاونة، شامخ. الحفريات الأثرية في مدينة القدس ما بين الأعوام 1863-2009م والحق التاريخي للعرب منذ تأسيسها دراسة تاريخية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع:27، (2012).

نعيرات، حسن محمد. خصائص العمارة والزخرفة الإسلامية في بيت المقدس، مؤتمر يوم القدس العالمي. عبد الباقي إبراهيم. الخصائص العمرانية للمدينة الإسلامية، في: الحلقة الدراسية لأسس ومعايير تصنيف المباني والمدن التراثية الإسلامية وكيفية الحفاظ عليها، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، (1996م)، منشورة على موقع الباحث: (www.cpas-egypt.com).
الكناني، كامل كاظم. تخطيط المدينة العربية الخصوصية والحداثة، في: مجلة المخطط والتنمية، المعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، ع16 (2006).
السنوار، زكريا. نقد أفكار هيكل سليمان من خلال النص التوراتي وعلم الآثار، المؤتمر الخامس لكلية الآداب - الجامعة الإسلامية بغزة، القدس تاريخاً وثقافة، (2011).
سلطان، طارق وصهيب الغضنفرى. القدس في المصادر العربية في العصر العباسي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مجلد 8، عدد 4، (2008).

المراجع الأجنبية

- Abu-Munshar, Maher Y. **Islamic Jerusalem and Its Christians: A History of Tolerance and Tensions**, (London: Tauris Academic Studies, 2007)
- Al-Ratout, Haitham F. **The Architectural Development of Al Aqsa Mosque in the Early Islamic Period: Sacred Architecture in the Shape of the 'Holy'**, (Dundee: Al-Maktoum Institute Academic Press, 2004).
- Al-Samadi, Taleb. **Bait Al-maqdis within a historical and archaeological context until the end of the Umayyad period**, Journal of the College of Humanities and Social Sciences. Vol.24 (2001).

- Amikan, Elad. **Why did Abd Al-Malik Build the Dome of The Rock? A re-examination of the Muslim sources**, In: Raby, J. and Johns, J. (eds.), *Bayt Al-Maqdis Abd al-Malik's Jerusalem, Part 1*, Oxford studies in Islamic art, IX, (Oxford: Oxford University press, 1992)
- Asali, K. J. **Jerusalem in history: notes on the origins of the city and its tradition of tolerance**, Arab Studies Quarterly, Vol. 16, No. 4 (Fall 1994)
- Bahat, Dan. **The Illustrated Atlas of Jerusalem**, (New York: Simon & Schuster, 1990)
- Beazley, C. Raymond. **Madaba Map**, the Geographical Journal, Vol. 17, No. 5 (May, 1901).
- Burgoyne, M. H., **The gates of The haram Al-Sharif**, In: Raby, J. and Johns, J. (eds.), *Bayt Al-Maqdis Abd al-Malik's Jerusalem, Part 1*, Oxford studies in Islamic art, IX, (Oxford: Oxford University press, 1992)
- Conder, C.R., **Tent Work in Palestine: A Record of Discovery and Adventure**, London, 1880.
- Creswell, K.A.C. **Early Muslim architecture**, (Oxford: Clarendon press, 1969)
- _____. **A short Account of Early Muslim Architecture**, (Beirut: librairie du Liban, 1968).
- De Vogue, Melchior. **Le Temple de Jerusalem**, (Paris: Noblet et Baudry, 1864).
- El-Awaisi, Khalid. **Mapping Islamic Jerusalem: A rediscovery of Geographical Boundaries**, (Dundee: Al-Maktoum Institute Academic Press, 2007).
- Foss, C., **A Syrian Coinage of Mu'awiya**, In: *Revue numismatique*, V.6, Issue 158, 2002.
- Free, Joseph P. **Archaeology and Bible History**, (Zondervan, 1992)

- Gibson, S., and Jacobson, D. M. **Below the Temple Mount in Jerusalem: A Sourcebook on the Cisterns, Subterranean Chambers and Conduits of the Haram al-Shartf**, Oxford, British Archaeological Reports (BAR) (1996)
- Grabar, O. **The shape of the holy: Early Islamic Jerusalem**, (New Jersey: Orinceton University Press, 1996)
- _____, **Umayyad Dome of the Rock in Jerusalem**, In: *Ars Orientalis*, Vol. 3 (1959).
- Harold Mare W. **The Archaeology of the Jerusalem Area**, Wipf & Stock Publishers.
- Heidemann, S. **The Standing Caliph Type – the object on the reverse**, in: (The Seventh Century Syrian Numismatic Round table, an informal group of numismatists and historians whose convenors are Tony Goodwin. (London: Archetype Publications Ltd., 2010).
- Hillenbrand, R. **Umayyad Woodwork in the Aqsa Mosque**, In: Johns, J., *Bayt Al-Maqdis Jerusalem and early Islam*, (Oxford: Oxford University press, 1999).
- Hopkins, I.W.J. **Jerusalem: a study in urban geography**, (Michigan: Baker Book House, 1970).
- Hoyland, Robert G. **Seeing Islam as others saw it**, (New Jersey: Princeton, 1997).
- Janin, H. **Four Paths to Jerusalem: Jewish, Christian, Muslim, and Secular Pilgrimages, 1000 BCE to 2001 CE**, (McFarland, 2002).
- Johns, J. **Archeology and the history of early Islam: The first seventy years**, *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, Vol. 46, No. 4 (2003).
- _____. **'The House of prophet and the concept of the mosque**, In: Johns, J., *Bayt Al-Maqdis Jerusalem and early Islam*, (Oxford: Oxford University press, 1999).

- Kenyon, Kathleen M. **Jerusalem, Excavating 3000 Years of History**,
(London: Thames and Hudson, 1967)
- _____. **Digging Up Jerusalem**, (London : Benn, 1974.)
- Macpherson, James R. **The Pilgrimage of Arculfus in the Holy Land**,
(London: Palestine Pilgrimes' Text Society,1895).
- Meen, Joseph A. **Geography of Palestine; historical and descriptive**,
(London: Sunday school union, 1856)
- Raby, J. **In Vitro veritas Glass pilgrim vessels from 7th-century Jerusalem, in: Bayt Al-Maqdis Jerusalem and early Islam**, In: Johns, J., *Bayt Al-Maqdis Jerusalem and early Islam*, (Oxford: Oxford University press, 1999).
- Remler, P. **Egyptian Mythology A to Z**, (USA: Infobase Publishing, 2010).
- Shamma, A. Z. **The Umayyad Dome of the Rock in Jerusalem: A seventh-century cultural paradigm**, PhD dissertation, University of California, Los Angeles, (2004).
- Sharon, M., **Corpus Inscriptionum Arabicarum Palaestinae (CIAP): D-F. Volume three**, BRILL, 2004.
- _____. **Nahr Abi Futrus**, *The Encyclopedia of Islam*, vol. 7, pp. 910-911.
- Strang, **Guy L. Palestine under the Moslems**. A description of Syria and the Holy Land, (UK: Committee of the Palestine exploration fund, 1890).
- Theophanes (The Confessor), **The Chronicle of Theophanes: An English translation of Anni Mundi 6095-6305**, (Oxford: Oxford university press, 1997).
- Tiner, Anna. **A Period of Transition: Early Islamic and Umayyad Coinage**, (Pepperdine University, All Undergraduate Students Research, 2014)

Ussishkin, David. **King Solomon's Palaces**, *The Biblical Archaeologist*, Vol. 36, No. 3 (Sep., 1973),

Warren, Charles. **Underground Jerusalem: An Account of Some of the Principal Difficulties Encountered in Its Exploration and the Results Obtained. With a Narrative of an Expedition through the Jordan Valley and a Visit to the Samaritans**, (London: Richard Bentley and Son, 1876).

Wilkinson, J. **Ancient Jerusalem its water supply and population**, *Palestine Exploration Quarterly*, vol. 106 (1974).

Wright, Thomas. **Early Travels in Palestine: Comprising the Narratives of Arculf, Willibald, Bernard, Saewulf, Sigurd, Benjamin of Tudela, John Maundeville, de la Brocquiere, and Maundrell**, (London: Bohn, 1848).